العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والإبداع

شهر رجب
شهر شعبان
شهر رمضان
شهر شوال
شهر ذي القعدة
شهر ذي الحجة

Al-Sada

Cultural Quavterly Journal For Hegira Events

Issued by the al _abbas holey shrine Department of Intellectual and Cultural Affairs Division of thought and creativity

صدق الله العلي العظيم
سورة الزلزلة: الآية/ ٧.

الإشـــــراف الـعـــام
الـسـيـد لـيـث الـمـوسـوي

السلامة الفكرية
السيد عقيل عبدالحسين الياسري

رئيس التّحرير
صباح نعيم الصافي

مدير التّحرير
محمد الأسدي

هيأة التّحرير
رضوان عبد الهادي
حيدر فائق هادي
حيدر الدفاعي
محمد يوسف محمد صالح

المراجعة اللغوية
محمد رضا جاسم

المشاركون
الشيخ عبدالرزاق فرج الله الأسدي
الشيخ أنور أبو الحب
الشيخ أحمد كاظم
السيد عصام الخرسان

التصميم و الإخراج الفنّي
وحدة التصميم

التنفيذ الطباعي
دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع

.. للاشتراك

تستقبل مجلة الصدى المشاركات (البحوث والمقالات) باللغة العربية، ووفق المحاور التي تغطي أحداث السنة الهجرية وتتناول السيرة العطرة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام.

ترسل المشاركات على العنوان الآتي:
العراق / كربلاء المقدسة / مجمع الكفيل الثقافي / شارع الاسكان / خلف متنزه الحسين عليه السلام الكبير

التواصل مع المجلة :

alsadda@alkafeel.net
info@alkfeel.net

رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق العراقية
٢١٩٤ لسنة ٢٠١٦م

في البدء

الارتباط بالله-تبارك وتعالى- يمنح الإنسان أمناً من كلِّ مكروه، وتجاوزاً لكلِّ عقبة، وإحرازاً لكلِّ نجاح. والاعتماد على الحق -تعالى- يعطي الإنسان القوَّة والعزم؛ لارتباطه بأصل القدرة والقوَّة في عالم الوجود، وبالأخص في الأزمنة المباركة التي أبان الأئمة من أهل البيت -عليهم السلام- فضلها؛ كشهر رجب وشعبان وشهر رمضان وشهر ذي الحجة، فهذه الشهور مليئة بالعبادات، والطَّاعات، وحافلة بالمناسبات المهمة، والتي لها دور كبير في حثِّ الإنسان على اكتساب الفضائل، والقيام بالأعمال الطيبة. فينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يحرصوا على اغتنامها، والاستفادة من إفاضاتها ورحماتها، بالتَّفرغ للعبادة والدعاء والاستغفار وجميع ما ورد في هذا الشهور من أعمال مقربة لله -سبحانه وتعالى-.

إنَّ هذه الأشهر خطوة جدّيّة، وفرصة كبيرة نحو التغيير إن استغلها الإنسان؛ لذا لا بُدَّ من اتباع برنامج للتغيير الحقيقي حتى نتمكَّن من قطف ثمار الرحمة في هذه الفترة الزمنية المهمة من السنة، وأن نكون من المحسنين حتَّى تشملنا رحمته -تعالى- وهذا الإحسان يتضمَّن الجانب العقائدي والسلوكي والأخلاقي، بل ويشمل كلَّ مفاصل حياتنا.

إنَّ المواسم العبادية تمتاز بالتنوّع والجمع بين أنواع العبادات، مثل الطهارة (الوضوء والغسل)، والصَّلاة، والدُّعاء، والذكر، والصَّدقة والصيام ونحوها، وهذا يكشف عن منهج وهدف خاصين بهذه المواسم، وهو أنَّ التكامل الإنساني إنَّما يمكن أن يتحقَّق من خلال هذا المزيج من العبادات، وأنَّ الحاجات الروحية والنفسية في الإنسان متنوّعه ومتعدِّدة؛ و لذا لا بُدَّ من الاهتمام بهذا التنوع في كلِّ موسم؛ ليتحقّق هذا النوع من التكامل، وعدم الاقتصار على لونٍ أو نوعٍ خاصٍّ من العبادة، كما أنَّ الشارع المقدَّس لم يهمل الأبعاد الاجتماعية، بل أكَّدها، وقدَّمها على ألوان العبادة المستحبَّة، فالسعي في كسب المعيشة هو من أفضل العبادات، و طلب العلم ساعة يفضل

عبادة سبعين سنة، وإصلاح الخلافات الاجتماعية أفضل من عامّة الصلاة والصيام، وهكذا في الاجتماع بالمؤمنين والوفاء بحقوقهم الاجتماعية إلى غير ذلك مما يؤكِّد هذا البعد .

إنَّ هذا المنهاج المكثَّف في هذه الشهور العبادية يفسح المجال أمام الإنسان ليحوّل كلَّ أوقاته إلى عبادة لله-تعالى-، مع إعطائه منهجاً في الأولويّات دون الإخلال بالمعادلة الاجتماعية.

المحتوى

شهر رجب

استثمار الفرص ١١
عليّ عليه السلام في إرادة الله الأزليّة ٢٥
العناصر النفسيّة للحوراء زينب عليها السلام ٣٣
الإمام الكاظم عليه السلام فضائل ومكارم ٤٣

شهر شعبان

مظاهر من شخصية الإمام الحسين عليه السلام ٥٩
رسالة الحقوق والإعلان العالمي لحقوق الإنسان ٦٩
آية التطهير ومقام أبي الفضل العباس عليه السلام ٩٧
فلسفة الانتظار ١٠٧
نحن من يعجّل الفرج ١١٥
أوصاف علي الأكبر عليه السلام ١٢٥

شهر رمضان

شهر رمضان والتعاليم الاجتماعية ١٣٣
جوانب مضيئة من حياة السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام ١٥١
معارف وعلوم من صلح الإمام الحسن عليه السلام المظلوم ١٥٩
مع الرحلة الرسالية الخالدة ١٦٧

معركة بدر تجربة تربوية ١٧٣
العبقرية الموهوبة ١٨٣
تساؤلات حول ليلة القدر..... ١٩١

شهر شوال

السعي لبناء البقيع ٢٠١
من فكر الإمام الصادق عليه السلام (التعامل مع الشبهات)..... ٢٠٩

شهر ذي القعدة

قاعدة الإمامة في عصر الإمام الرضا عليه السلام..... ٢١٩
شذرات من حياة الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام..... ٢٢٧

شهر ذي الحجة

رحلة إلى عالم التشريع..... ٢٤٣
الشعار وتأثيره..... ٢٦١
الإمام الباقر عليه السلام مع الشيعة ٢٦٩
نفحات من الغدير ٢٧٩
قصيدة (تسبيح العراق) ٢٨٥

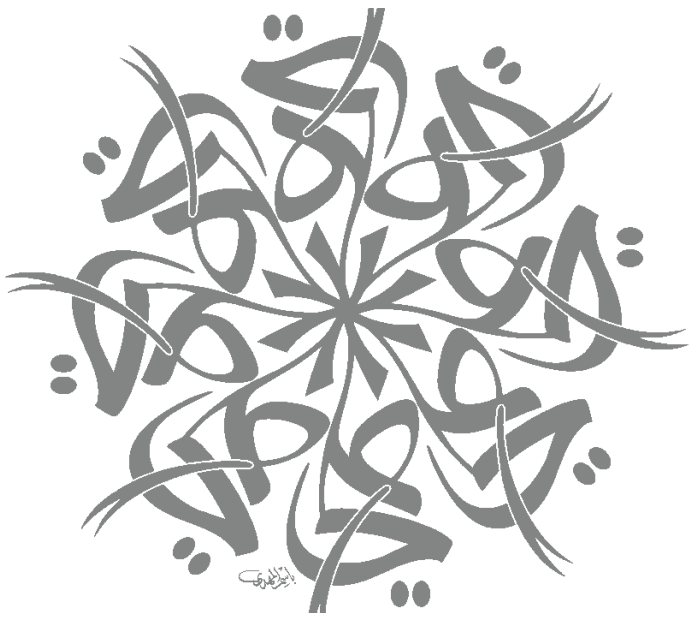

شهـر رجب

- استثمار الفرص
- عليّ عليه السلام في إرادة الله الأزليّة
- العناصر النفسيّة للحوراء زينب عليها السلام
- الإمام الكاظم عليه السلام فضائل ومكارم

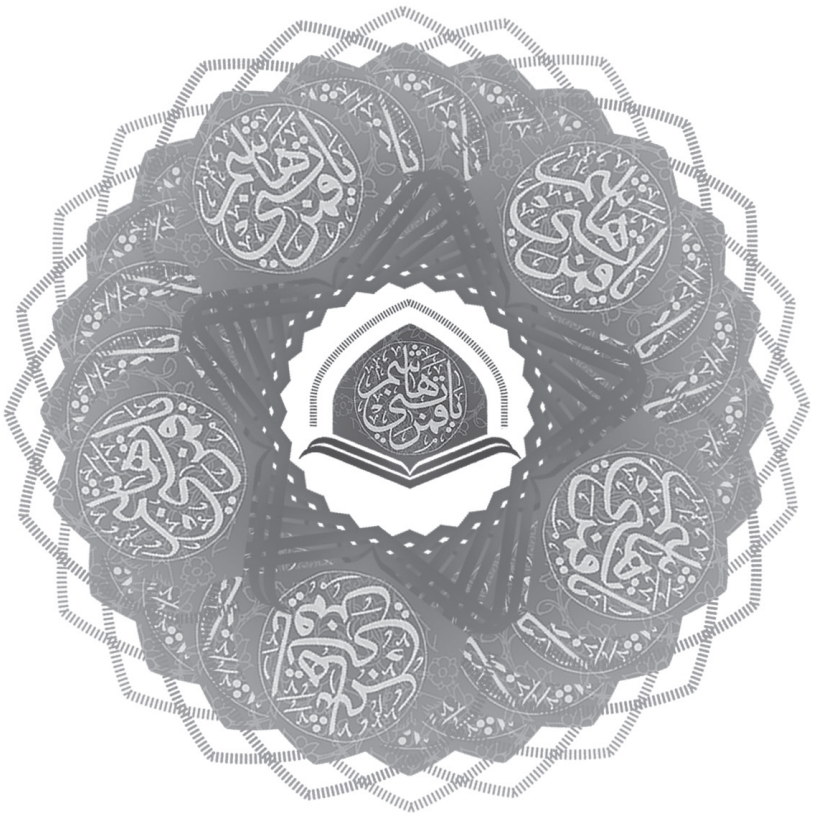

استثمار الفرص

السيد صباح الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين الى يوم الدين.

قال الله –تعالى– في كتابه الكريم: (**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ**)[١] صدق الله العلي العظيم .

من حكمة الله سبحانه وتعالى أن خلق الإنسان مختارًا في أعماله، فيمكن أن يختار الخير، وأن يختار الشر.

ومن نعم الله على الإنسان أن دلَّه على طريق الخير، وحذَّره من طريق الشر (**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**)[٢] أي بيّنّا له طريق الرّشد، وطريق الغي.

---

(١) سورة البقرة/ الآية: ٢١٤.

(٢) سورة البلد/ الآية: ١٠.

والإنسان باختياره أما يختار الحسن، وأما أن يختار السَّيئ، وأحيانًا يغفل عن نفسه، فيتصور نفسه شجاعًا، ولكن في المعركة تراه أوَّل المنهزمين، قد خدعته نفسه، لذلك يحتاج الإنسان إلى تطوير نفسه عن طريق الابتلاء واستثمار الفرص، فالله -سبحانه وتعالى- جعل هذه الدنيا دار امتحان وبلاء، كما أنَّها فرصة ليتزوّد الإنسان من زادها.

والبلاء في اللغة مأخوذ من الثوب البالي الذي يرى ما تحته، وبعبارة أخرى، البلاء يعني الشيء الذي يبين حقيقة الإنسان. والقول المعروف، عند الامتحان يكرم المرء أو يُهان.

كيف يمكن لنا أن نعرف الإنسان الذي يتشهد الشهادتين بلسانه، ويظهر الإيمان بالله ورسوله هل هو صادق؟ أم هو منافق؟

لا يمكن ذلك إلَّا عن طريق الامتحان، كما أنَّنا في المدارس لا يمكن لنا أن نعرف الطالب المجتهد عن غيره إلَّا بواسطة الامتحان فكذلك في عالم الدنيا اليوم لا يمكن ذلك.

وعدم وجود امتحان الله -سبحانه- وتعالى فيمكن يوم القيامة إذا عوقب المنافق الذي يبطن الكفر الاعتراض، ويستطيع القول، أنت أردت منّي الصلاة فصليت، وأردت منِّي الصوم فصمت، وأردت مني أن أتلفَّظ الشهادتين فتلفَّظت، فعلى أيّ أساس يدخل الآخرون الجنة، ولا أدخلها؟ فيأتيه النداء: **(قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ)**[1].

ومعنى (البالغة) التي تبلغ قطع عذر المحجوج، وتزيل كل لبس وشبهة عمّن نظر فيها واستدل أيضًا بها. وإنَّما كانت حجّة الله صحيحة بالغة، لأنَّه لا يحتج إلَّا بالحق وما يؤدِّي إلى العلم.

وهناك قاعدة مسلمة أنَّ دخول الجنة لا يمكن أن يكون باستحقاق ولو كنَّا مؤمنين، وقضينا جميع ساعات عمرنا، بالصوم والصلاة والطاعة، وإنَّما دخول الجنة يكون برحمة الله وعطائه- سبحانه وتعالى-؛ لأنَّ الله -سبحانه- غمرنا بالنعم: **(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)**[2] ونحن كل عباداتنا هي جزء بسيط من شكر النعمة، وصلاتنا وأعمالنا وطاعاتنا، وكل ما نقوم به من أعمال الخير إنَّما هي جزء بسيط من شكر المنعم-تبارك وتعالى-.

---

(١) سورة الأنعام/ الآية: ١٤٩.

(٢) سورة إبراهيم/ الآية: ٣٤.

قال الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: " اِبْتَدَأْتَني بِنِعْمَتِكَ قَبْلَ اَنْ اَكُونَ شَيْئاً مَذكوراً، وَخَلَقْتَني مِنَ التُّرابِ، ثُمَّ اَسْكَنْتَنِي الأَصْلابَ، آمِناً لِرَيْبِ الْمَنُونِ، وَاخْتِلافِ الدُّهُورِ والسِّنينَ، فَلَمْ اَزَلْ ظاعِناً مِنْ صُلْب اِلى رَحِم، في تَقادُم مِنَ الأَيّامِ الْماضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْخالِيَةِ، لَمْ تُخْرِجْني لِرَأفَتِكَ بي، وَلُطْفِكَ لي، وَاِحْسانِكَ اِلَيَّ، في دَوْلَةِ اَئِمَّةِ الْكُفْرِ الَّذينَ نَقَضُوا عَهْدَكَ، وَكَذَّبُوا رُسُلَكَ، لكِنَّكَ اَخْرَجْتَني للَّذي سَبَقَ لي مِنَ الْهُدى، الَّذي لَهُ يَسَّرْتَني، وَفيهِ اَنْشَأْتَني، وَمِنْ قَبْلِ رَؤُفْتَ بي بِجَميلِ صُنْعِكَ، وَسَوابِغِ نِعَمِكَ، فابْتَدَعْتَ خَلْقي مِنْ مَنِي يُمْني، وَاَسْكَنْتَني في ظُلُماتٍ ثَلاث، بَيْنَ لَحْم وَدَم وَجِلْد، لَمْ تُشْهِدْني خَلْقي، وَلَمْ تَجْعَلْ اِلَيَّ شَيْئاً مِنْ اَمْري، ثُمَّ اَخْرَجْتَني لِلَّذي سَبَقَ لي مِنَ الْهُدى اِلَى الدُّنْيا تامّاً سَوِيّاً، وَحَفِظْتَني فِي الْمَهْدِ طِفْلاً صَبِيّاً، وَرَزَقْتَني مِنَ الْغِذآءِ لَبَناً مَرِيّاً، وَعَطَفْتَ عَلَى قُلُوبَ الْحواضِنِ، وَكَفَّلْتَني الأُمَّهاتِ الرَّواحِمَ، وَكَلاْتَني مِنْ طَوارِقِ الْجآنِّ، وَسَلَّمْتَني مِنَ الزِّيادَةِ وَالنُّقْصانِ، فَتَعالَيْتَ يا رَحيمُ يا رَحْمنُ، حتّى اِذَا اسْتَهْلَلْتُ ناطِقاً بِالْكَلامِ، اَتْمَمْتَ عَلَيَّ سَوابِغَ الانْعامِ، وَرَبَّيْتَني آيِداً في كُلِّ عام، حَتّى إذَا اكْتَمَلَتْ فِطْرَتي، وَاعْتَدَلَتْ مِرَّتي، اَوْجَبْتَ عَلَيَّ حُجَتَّكَ، بِاَنْ اَلْهَمْتَني مَعْرِفَتَكَ، وَرَوَّعْتَني بِعَجايِبِ حِكْمَتِكَ، وَاَيْقَظْتَني لِما ذَرَأتَ في سَمآئِكَ وَاَرْضِكَ مِنْ بَدائِعِ خَلْقِكَ، وَنَبَّهْتَني لِشُكْرِكَ، وَذِكْرِكَ، وَاَوجَبْتَ عَلَيَّ طاعَتَكَ وَعِبادَتَكَ، وَفَهَّمْتَني ما جاءَتْ بِهِ رُسُلُكَ، وَيَسَّرْتَ لي تَقَبُّلَ مَرْضاتِكَ، وَمَنَنْتَ عَلَيَّ في جَميعِ ذلِكَ بِعَوْنِكَ وَلُطْفِكَ، ثُمَّ اِذْ خَلَقْتَني مِنْ خَيْرِ الثَّرى، لَمْ تَرْضَ لي يا اِلهي نِعْمَةً دُونَ اُخرى، وَرَزَقْتَني مِنْ اَنواعِ الْمَعاشِ، وَصُنُوفِ الرِّياشِ بِمَنِّكَ الْعَظيمِ الأَعْظَمِ عَلَيَّ، وَاِحْسانِكَ الْقَديمِ اِلَيَّ، حَتّى اِذا اَتْمَمْتَ عَلَيَّ جَميعَ النِّعَمِ، وَصَرَفْتَ عَنّي كُلَّ النِّقَمِ، لَمْ يَمْنَعْكَ جَهْلي وَجُرْأَتي عَلَيْكَ اَنْ دَلَلْتَني اِلى ما يُقَرِّبُني اِلَيْكَ، وَوفَّقْتَني لِما يُزْلِفُني لَدَيْكَ، فَاِنْ دَعَوْتُكَ اَجَبْتَني، وَاِنْ سَأَلْتُكَ اَعْطَيْتَني، وَاِنْ اَطَعْتُكَ شَكَرْتَني، وَاِنْ شَكَرْتُكَ زِدْتَني، كُلُّ ذلِكَ اِكْمالٌ لاِنْعُمِكَ عَلَيَّ، وَاِحْسانِكَ اِلَيَّ، فَسُبْحانَكَ سُبْحانَكَ، مِنْ مُبْدِئٍ مُعيد، حَميد مجيد، تَقَدَّسَتْ اَسْماؤُكَ، وَعَظُمَتْ آلاؤُكَ، فَأَي نِعَمِكَ يا اِلهي اُحْصي عَدَداً وَذِكْراً، أَمْ اَي عَطاياكَ أَقُومُ بِها شُكْراً، وَهِي يا رَبِّ اَكْثَرُ مِنْ اَنْ يُحْصِيَهَا الْعآدّونَ، أَوْ يَبْلُغَ عِلْماً بِهَا الْحافِظُونَ، ثُمَّ ما صَرَفْتَ وَدَرَأْتَ عَنّي اَللّهُمَّ مِنَ الضُرِّ وَالضَّرّآءِ، أَكْثَرَ مِمّا ظَهَرَ لي مِنَ الْعافِيَةِ وَالسَّرّآءِ، وَاَنَا اَشْهَدُ يا اِلهي بِحَقيقَةِ ايماني، وَعَقْدِ عَزَماتِ يَقيني، وَخالِصِ صَريحِ تَوْحيدي، وَباطِنِ مَكْنُونِ ضَميري، وَعَلائِقِ مَجاري نُورِ بَصَري، وَاَساريرِ صَفْحَةِ جَبيني، وَخُرْقِ مَسارِبِ نَفْسي، وَخَذاريفِ مارِنِ عِرْنَيني، وَمَسارِبِ سِماخِ سَمْعي، وَما ضُمَّتْ وَاَطبَقَتْ عَلَيْهِ شَفَتاي، وَحرِكاتِ لَفظِ لِساني، وَمَغْرَزِ حَنَكِ فَمي وَفَكّي، وَمَنابِتِ اَضْراسي، وَمَساغِ مَطْعَمي وَمَشْرَبي، وَحِمالَةِ اُمِّ رَأْسي، وَبُلُوغِ فارِغِ حبائِلِ عُنُقي، وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ تامُورُ صَدري، وَحمائِلِ حَبْلِ وَتيني، وَنِياطِ حِجابِ قَلْبي، وَأَفْلاذِ حَواشي كَبِدي، وَما حَوَتْهُ شَراسيفُ اَضْلاعي، وَحِقاقُ مَفاصِلي، وَقَبضُ عَوامِلي، وَاَطرافُ اَنامِلي وَلَحْمي وَدَمي، وَشَعْري وَبَشَري،

وَعَصَبي وَقَصَبي، وَعِظامي وَمُخّي وَعُرُوقي، وَجَميعُ جَوارِحي، وَمَا انْتَسَجَ عَلى ذلِكَ اَيّامَ رَضاعي، وَما اَقَلَّتِ الأَرْضُ مِنّي، وَنَوْمي وَيقَظَتي وَسُكُوني وَحرَكاتِ رُكُوعي وَسُجُودي، اَنْ لَوْ حاوَلْتُ وَاجْتَهَدْتُ مَدَى الأَعصارِ وَالأَحْقابِ لَوْ عُمِّرْتُها اَنْ أُؤَدِّيَ شُكْرَ واحِدَة مِنْ أَنْعُمِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ذلِكَ اِلاّ بِمَنِّكَ المُوجَبِ عَلَيَ بِهِ شُكْرَكَ اَبَداً جَديداً، وَثَنآءً طارِفاً عَتيداً، اَجَلْ وَلوْ حَرَصْتُ اَنَا وَالْعآدُّونَ مِنْ اَنامِكَ، أَنْ نُحْصِيَ مَدى اِنْعامِكَ، سالِفِهِ وَآنِفِهِ ما حَصَرْناهُ عَدَداً، وَلا اَحْصَيناهُ اَمَداً، هَيْهاتَ أَنّي ذلِكَ وَاَنْتَ المُخْبِرُ في كِتابِكَ النّاطِقِ، وَالنَّبَأِ الصّادِقِ، وَاِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لا تُحْصُوها، صَدَقَ كِتابُكَ اَللّهُمَّ وَاِنْباَؤُكَ، وَبَلَّغَتْ اَنْبِياَؤُكَ وَرُسُلُكَ، ما اَنْزَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ وَحْيِكَ، وَشَرَعْتَ لَهُمْ وَبِهِمْ مِنْ دينِكَ، غَيْرَ أَنّي يا اِلهي اَشْهَدُ بِجُهْدي وَجِدّي، وَمَبْلَغِ طاعَتي وَوُسْعي، وَأَقُولُ مُؤْمِناً مُوقِناً، اَلْحَمْدُ لله الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً فَيَكُونُ مَوْرُوثاً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَريكٌ في مُلْكِهِ فَيُضآدَّهُ فيما ابْتَدَعَ، وَلا وَلِيَ مِنَ الذُّلِّ فَيُرْفِدَهُ فيما صَنَعَ، فَسُبْحانَهُ سُبْحانَهُ، لَوْ كانَ فيهِما آلِهَةٌ اِلاَّ الله لَفَسَدَتا وَتَفَطَّرَتا، سُبْحانَ الله الْواحِدِ الأَحَدِ الصَّمَدِ الَّذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً اَحَدٌ، اَلْحَمْدُ لله حَمْداً يُعادِلُ حَمْدَ مَلائِكَتِهِ المُقَرَّبينَ، وَاَنْبِيآئِهِ المُرْسَلينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلى خِيَرَتِهِ مُحَمَّد خاتَمِ النَّبِيّينَ، وَآلِهِ الطَّيِبينَ الطّاهِرينَ الْمخلَصينَ وَسَلَّمَ" (١).

فالنوع الأول: من البلاء يعني هذا الشيء الذي يظهر باطن الإنسان هل هو مؤمن أم لا؟ كما أنَّ الثوب البالي يبين ما تحته، فالامتحان يبين باطن الإنسان، لذا البلاء في القرآن في النعمة والنقمة (**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**)(٢).

النوع الثاني: البلاء الذي يكفر الذنوب والمعاصي، وهذا يشمل مؤمنين، ولكنهم قد يقوموا ببعض الأعمال التي تؤثر على صفاء نفوسهم وأعمالهم، لذلك الله -تبارك وتعالى- يصيبهم بهذا النوع من البلاء حتى تسقط وتزول هذه العوائق الملتصقة بهم، فيأتون يوم القيامة وقد كفرت عنهم تلك العوالق، ويسمى هذا البلاء في القرآن الكريم التمحيص، والتمحيص في اللغة ورد له عدة معاني أغلبها تشير إلى هذا النوع من البلاء.

مُحيصٌ - [محص]، (مصدر: مَحَّصَ):

١ - تَمْحيصُ الأُسْلوبِ: تَنْقيحُهُ، الاِعْتِناءُ بِهِ.

٢ - أَرادَ تَمْحيصَ الرَّجُلِ: اِبْتِلاءَهُ، اِخْتِبَارَهُ(٣).

---

(١) مفاتيح الجنان/ ص١٢٤.

(٢) سورة الأنفال/ الاية: ٢٨.

(٣) المعجم الغني/ عبدالغني أبوالعزم.

و(مَحَصَ) الذَّهَبَ بِالنَّارِ أَخْلَصَهُ مِمَّا يَشُوبُهُ وَبَابُهُ قَطَعَ، وَ(التَّمْحِيصُ) الِابْتِلَاءُ وَالِاخْتِبَارُ[١].

فالدنيا هي دار البلاء والامتحان والاختبار فالإنسان فيها يحتاج إلى تصفية وتهذيب بعد أن يمر بالكدورات والأوساخ الأخلاقية والعقائدية التي تعلَّق به جراء وجوده في هذه الدنيا فلا بد من تصفيته وتطهيره ودعوته إلى الله وليس ذلك أن الامتحان كما في الامتحانات الدنيوية من أنَّ الأستاذ يجهل تلميذه فيمتحنه فالله أعلم به قبل أن يخلقه، والامتحان هو الغربلة والتصفية والتطهير والتربية الأخلاقية والروحية، وقد تعدَّدت الرّوايات إلى أنَّ المؤمن مبتلى وممتحن أكثر من غيره، وأنَّ ذلك من باب محبّة الله له ولأن يقرّبه إليه أكثر فأكثر وإليك بعضها.

فأحيانًا الإنسان مؤمن لكن لديه أشياء زائدة، أو ناقصة، والله -سبحانه وتعالى- يمتحن هذا الإنسان ببلايا في الدنيا ومصائب حتى تنفصل عنه هذه الأشياء العالقة، والشوائب، والأوساخ اللاصقة، لأنَّ افتضاح المؤمن يوم القيامة مشكلة وطامة كبرى عليه، بل هي أشد من العقاب نفسه.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في المناجاة الشَّعبانية:**" إلهي قد سترت عليَّ ذنوباً في الدُّنيا وأنا أحوج إلى سترها عليّ منك في الأخرى، إلهي قد أحسنت إليّ إذ لم تظهرها لأحد من عبادك الصالحين، فلا تفضحني يوم القيامة على رؤوس الأشهاد..."**[٢].

فكم من الذُّنوب التي يرتكبها العبدُ في الخلوات، ولو شاء الله -تعالى- لجعل علامةً -كالسَّواد مثلاً- لكلِّ معصية، وتختلف شدّة هذا السواد بحسب شدّة المعصية، ولكنَّ الله ستّار على عباده، قد أظهر الجميل وستر القبيح... ولهذا يطلب الإمام عليه السلام أن يديم الله هذا السّتر حتَّى في الآخرة.

وأحيانًا حتى لا يفتضح الإنسان بتلك المعاصي يبتليه الله -تعالى- بنوعٍ من البلاء رحمة منه ورأفة. ولذلك ينبغي للمؤمن أن يدعو الله تعالى أن لا يفضحه، بل وأن يبتليه ببلاءٍ يكفّر عنه ما يؤدِّي إلى تلك الفضيحة، ورد في الدعاء : **" يا سَيِّدي فَاَسْئَلُكَ بِعِزَّتِكَ اَنْ لا يَحْجُبَ عَنْكَ دُعائي سُوَّءُ عَمَلي وَفِعالي وَلا تَفْضَحْني بِخَفِيِّ مَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ سِرّي وَلا تُعاجِلْني بِالْعُقُوبَةِ عَلى ما عَمِلْتُهُ في خَلَواتي مِنْ سُوَّءِ فِعْلي وَاِسائَتي وَدَوامِ تَفْريطي وَجَهالَتي وَكَثْرَةِ شَهَواتي وَغَفْلَتي وَكُنِ اللهُمَّ بِعِزَّتِكَ لي في كُلِّ الْاَحْوالِ رَؤُفاً وَعَلَيَّ في جَميعِ الْاُمُورِ عَطُوفاً "**[٣].

وهناك نوع آخر من الابتلاء يصيب الإنسان لا لأنَّه في بعض أعماله زيادة أو نقيصة وإنَّما لأجل رفع المقامات

(١) مختار الصحاح/ محمد بن أبي بكر الرازي.
(٢) إقبال الأعمال/ ج٣/ ص٢٩٧.
(٣) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب و السنة و التاريخ/ ج١٠/ ص١٤٩.

والدّرجات، ورد في الحديث : « **إنَّ أشد الناس بلاءً النبيون ثمّ الوصيّون ثم الأمثل فالأمثل، وإنَّما يُبتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة ، فمن صح دينه وحسن عمله اشتدّ بلاؤه ، ومن سخف دينه وضعف عمله قلَّ بلاؤه ، والبلاء أسرع إلى المؤمن التقي من المطر إلى قرار الأرض، وذلك أنَّ الله عزَّ وجلّ لم يجعل الدنيا ثواب المؤمن ولا عقوبة الكافر**»[١].

فأهل الدَّرجات العالية يمتحنون، ويبتلون بأعظم من غيرهم، وكل ما كبروا وعلوا اشتدّ بلاؤهم .

عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو فِي خَبَرٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلْبَاقِرِ ﷺ: " وَ اللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ قَالَ ﷺ: (فَاتَّخِذِ الْبَلَاءَ جِلْبَاباً فَوَاللهِ إِنَّهُ لَأَسْرَعُ إِلَيْنَا وَ إِلَى شِيعَتِنَا مِنَ السَّيْلِ فِي الْوَادِي وَ بِنَا يُبْدَأُ الْبَلَاءُ ثُمَّ بِكُمْ وَ بِنَا يُبْدَأُ الرَّخَاءُ ثُمَّ بِكُمْ)[٢]؛ لأنَّ أهل البيت ﷺ معرضون إلى البلاء أكثر من غيرهم، وكذلك من يحبّهم ويتقرّب إليهم ويواليهم فليستعدّ للبلاء، وقد أثبت التاريخ أنَّ الموالين لأهل البيت ﷺ قد مرّوا بالبلاء والقتل والتشريد والسجن والظلم ما لم يمر به غيرهم .

فالأنبياء والأئمةﷺ ومن على شاكلتهم معصومون، وليس لديهم ذنب، ولكن يبتلون بأنواع البلاء؛ لرفع درجاتهم؛ وكذلك المؤمنين، يبتليهم الله -تعالى سبحانه-؛ ليرفع درجاتهم بمرض، أو بمشكلة، أو بظلم من ظالم.

عن الإمام الصادق ﷺ قال: " لو يعلم المؤمن ما له في المصائب من الأجر، لتمنَّى أن يقرض بالمقاريض".

وعن أبي الحسن ﷺ قال: ما أحد من شيعتنا يبتليه الله عز وجل ببلية فيصبر عليها إلَّا كان له أجر ألف شهيد"[٣].

وعن عبد الله بن أبى يعفور قال: شكوت الى أبي عبد الله ﷺ ما ألقى من الأوجاع - وكان مسقمًا فقال: لي يا عبد الله لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب لتمنّى أنَّه قرض بالمقاريض"[٤].

وعدم ابتلاء الآخرين لا يعني أنَّ ذلك أمر جيد بل بالعكس، فالبعض يستشكل عليك بأنَّ الكفار عادة في نعمة والمؤمنين عادة في بلاء، ولكن من يدقّق الأمر يجد أنَّ الدنيا لا قيمة لها، لذا ورد في في الحديث الشريف أنَّ الدنيا ليس لها قيمة عند الله -تعالى-، عن أبي عبد الله ﷺ قال: " إنَّ رجلًا من الأنصار أهدى إلى رسول الله

(١) جامع الأخبار/ ص٧.
(٢) مستدرك الوسائل/ ج ٢/ ص ٤٣٨.
(٣) بحار الأنوار / ج٧١ / ص ٩٧.
(٤) الكافي/ ج٢ / ص٢٥٥.

ﷺ صاعًا من رطب، فقال رسول الله ﷺ للخادم التي جائت به: ادخلي فانظري هل تجدين في البيت قصعة أو طبقا فتأتيني به؟ فدخلت ثمَّ خرجت إليه فقالت: ما أصبت قصعة ولا طبقًا، فكنس رسول الله ﷺ بثوبه مكانًا من الأرض، ثم قال لها: ضعيه ههنا على الحضيض، ثم قال: والذي نفسي بيده لو كانت الدنيا تعدل عند الله مثقال جناح بعوضة ما أعطى كافرًا ولا منافقًا منها شيئا"[١].

على العكس من الدنيا الجنة فلا يوجد فيها ما ينغص عيش الإنسان، فأين الثّرى من الثّريّا، وأين الجنة من الدنيا، ولذلك عبّر عن يوم القيامة أنَّه يوم الحسرة.

إنَّ أحد أوصاف يوم القيامة هو " يوم الحسرة والندامة"، قال الله تعالى: **(وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)**[٢]، ويستفاد من الآية:

أوّلاً: إنّه في يوم الحسرة والندامة يندم الكافر على كفره، والظَّالم على ظلمه، والمقصِّر في طاعة ربِّه على تقصيره، لكن المشكلة أنَّه يوم لا ينفع فيه النَّدم.

ثانياً: ينبغي أن لا يكون المؤمن في غفلةٍ، بل على استعدادٍ دائمٍ للقاء الله تعالى، واستغلال الفرص مهما أمكن استغلالها، وعدم تضييعها، والتّزوّد كلّما حانت الفرصة لذلك.

عن الإمام عليّ عليه السلام – لمّا أشرف على القبور وهو يرجع من صفّين –: **" يا أهل الديار الموحشة، والمحالّ المقفرة، والقبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق. أمّا الدور فقد سُكنت، وأمّا الأزواج فقد نُكحت، وأمّا الأموال فقد قُسمت. هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم ؟ ثمّ التفت إلى أصحابه فقال: أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أنَّ خير الزّاد التقوى"** [٣].

ولكي نستطيع صيد الفرص علينا:

١. الاستعداد المسبق:

فالخطوة الأولى لصيد الفرص هي التزود المسبق بأسباب اغتنام الفرص، فالناجحون والفاشلون يجدون معاً الفرصة لكن الناجح يستعد لها فيصيدها.

---

(١) سورة الكهف/ الايات٨٣- ٨٥.

(٢) سورة مريم/ الآية: ٣٩.

(٣) نهج البلاغة/ ج٤/ ص ٢٩٦٨.

٢. القفز على الفرصة حينما تأتي دون تأخير:

فالفرص لا تبالي بمن لا يبالي بها، وهي لا تتكرّر وهذا يعني أن نتصرّف تجاهها وكأنَّها الفرصة الأخيرة، فإذا رأينا شبح الفرصة فعلينا أن نبادر إليها؛ ولا ننتظر إلى أن تتحول إلى كتلة، فعندما تتراءى الفرصة فهذا مجال الاستعجال والمناهزة وليس مجال الركون.

٣. استغلال الفرصة من دون وضع شروط لها:

فالفرصة هي التي تفرض شروطها، وهذا يتطلب أن نقبل بواقع الفرص.

٤. التمسك بالفرصة بقوة وعدم التردد في ذلك:

فالكثير يخشى النجاح إذا كان فجائياً فلا يبادرون إلى الفرصة.

إنَّ من أعظم الخسارة أن تضيع من العبد مواسم الخيرات والطاعات دون أن يغتنمها، ويخرج منها فائزًا برحمات الله وبركاته، ولا تزيده هذه المواسم المباركة هدىً واستمساكًا بالله -سبحانه- والمعصومين -صلوات الله عليهم-، وإنَّ المؤمن اللبيب ليغتنم أنفاسه ويقبل على ربه، ويكثر من الطاعات، يرجو رضى رب الأرض والسماوات.

وشهر رجب وشعبان وشهر رمضان فرص مناسبة وعظيمة يجب أن نستغلها ونستثمرها، ولا نتحجج بالبلاء والظروف التي نعيشها، بل علينا أن نقاوم كل ضغط في هذا الطريق، ولأنقل لك بعض الروايات في فضل هذه الشهور المباركة حتى تكون دافعًا للعمل أكثر فأكثر:

شهر رجب:

لشهر رجب المعظم منزلة عظيمة عند الله -عز وجل-، ومكانة كريمة في الشرع الإسلامي وفي مدرسة أهل البيت عليهم السلام دلّت عليها الروايات والأخبار الشريفة، فضلاً عن تلك المناسبات المباركة التي حدثت فيه، والأعمال المهمّة التي ندب إليها أبان هذا الشهر المبارك.

سُمّي شهر رجب بالأصب أيضاً لكون الرحمة تُصبّ على العباد فيه صبّاً، وهذه شرافة لشهر رجب وخصوصية لا تضاهيه فيها سائر شهور السنة ما عدا شهري شعبان ورمضان.

فعن عبد الله بن العبّاس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا جاء شهر رجب جمع المسلمين حوله وقام فيهم خطيباً،

فحمد الله وأثنى عليه، وذكر من كان قبله من الأنبياء فصلّى عليهم ثمّ قال: "أيّها المسلمون قد أظلّكم شهر عظيم مبارك وهو شهر الأصبّ، يصيب فيه الرحمة على من عبده إلّا عبداً مشركاً أو مظهر بدعة في الإسلام، ألا إنَّ في شهر رجب ليلة من حرّم النوم على نفسه قام فيها حرّم الله تعالى جسده على النار، وصافحه سبعون ألف ملك ويستغفرون له إلى يوم مثله فإن عاد عادت الملائكة" ثمّ قال:

"من صام يوماً واحداً من رجب أؤمن الفزع الأكبر وأُجير من النار "[1].

أكّد رسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام في أخبارهم على صيام هذه الأشهر الثلاثة والتي منها شهر رجب، ودعوا المسلمين قاطبة إلى الالتزام بصيامه(أي صيام رجب) وصيامها(أي صيام الأشهر الثلاثة)..

فمن الأخبار الواردة في استحباب صيام شهر رجب الأصبّ ما يلي:

عن ثوبان قال: كنّا والنبي ﷺ في مقبرة فوقف، ثمّ مرّ ثمّ وقف ثمّ مرّ، فقلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ما وقوفك بين هؤلاء القبور؟

فبكى رسول الله ﷺ بكاءً شديداً وبكيت، فلمّا فرغ قال: "يا ثوبان، هؤلاء معذّبون في قبورهم، سمعت أنينهم فرحمتهم ودعوت الله أن يخفّف عنهم ففعل، ولو صاموا هؤلاء أيّام رجب وقاموا فيها ما عذّبوا في قبورهم".

فقلت: يا رسول الله، صيامه وقيامه أمان من عذاب القبر؟

قال: "نعم يا ثوبان، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً، ما من مسلم ولا مسلمة يصوم يوماً من رجب، وقام ليله يريد بذلك وجه الله تعالى، إلاّ كتب الله تعالى له عبادة ألف سنة، صيام نهارها وقيام ليلها، وكأنّما حجّ ألف حجّة واعتمر ألف عمرة من مال حلال، وكأنّما غزا ألف غزوة وأعتق ألف رقبة من ولد إسماعيل، وكأنّما تصدّق بألف دينار، وكأنّما اشترى أُسارى أُمّتي فأعتقهم لوجه الله، وكأنّما أشبع ألف جائع، وآمنه الله تعالى من عذاب القبر وهول منكر ونكير".

قيل: يا رسول الله، هذا الثواب كلّه لمن صام يوماً واحداً أو قام ليلة من شهر رجب؟

فقال رسول الله ﷺ: "هذا لمن لا ينكر قدرة الله عزّ وجلّ".

ثمّ قيل: يا رسول الله، ثواب رجب أبلغ أم ثواب شهر رمضان؟

---

(١) مستدرك الوسائل/ ج٧/ ص٥٣١.

فقال رسول الله ﷺ: " ليس على ثواب رمضان قياس، ولكن شهر رجب شهر عظيم "[١].

شهر شعبان:

اللازم على الإنسان أن يستفيد من هذا الشهر المبارك، لبناء نفسه وغيره من بني نوعه ومجتمعه، حيث قال رسول الله ﷺ: "كلكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته" [٢].

ففي البعد النفسي عليه أن يبني روحه، ويهذب نفسه من الصفات الذميمة، ويحلّيها بمكارم الأخلاق والصفات الحميدة، فيدأب في شهر شعبان في صيامه وقيامه في لياليه وأيّامه، كما كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك، ولنا برسول الله ﷺ أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

قال -تعالى-: **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً)** [٣].

وفي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ قال: "وإنَّما سمّي شعبان لأنَّه يتشعّب فيه أرزاق المؤمنين"[٤].

ولا يخفى أنَّ الرزق أعم من الرزق المادي والمعنوي، وربما يكون الحديث إشارة إلى ما ورد من تقسيم الأرزاق في ليلة النصف منه.

وقال رسول الله ﷺ: " شهر شعبان تشعب فيه الخيرات"[٥].

إنَّ الله-تعالى- قد ميّز الأمة الإسلامية عن سائر الأمم بميزات، كان منها شهر شعبان. فخصّهم في هذا الشهر برحمة خاصّة منه، وخصّ الشهر برسول الإسلام ﷺ فعرف بشهر النبي ﷺ.

فعن جعفر بن محمد عليه السلام قال: "أعطيت هذه الأمة ثلاثة أشهر لم يعطها أحد من الأمم: رجب وشعبان وشهر رمضان "[٦].

ومن أسماء شهر شعبان شهر الشفاعة، فقد قال رسول الله ﷺ: "وسمي شهر شعبان شهر الشفاعة؛ لأنَّ

---

(١) مستدرك الوسائل/ ج٧ / ص٥٣١ / ٢٣٢.
(٢) جامع الأخبار/ ص١١٩.
(٣) سورة الأحزاب/ ٢١
(٤) بحار الأنوار/ ج٩٤ / ص٦٩.
(٥) المصدر نفسه/ ج٩٤/ ص٧٣.
(٦) وسائل الشيعة/ ج٨ / ص٢٤.

رسولكم يشفع لكلّ من يصلّي عليه فيه"[١] وعن الإمام الصادق ﷺ قال: "صيام شعبان ذخر للعبد يوم القيامة، وما من عبد يكثر الصيام في شعبان إلا أصلح الله له أمر معيشته، وكفاه شر عدوه، وإنَّ أدنى ما يكون لمن يصوم يومًا من شعبان أن تجب له الجنة"[٢] .

شهر رمضان

شهر أوّله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، العمل فيه مضاعف، والدعاء فيه مستجاب، والنَّوم فيه عبادة، والنَّفَس فيه تسبيح، الحسنات فيه مقبولة، والسّيّئات فيه مغفورة، وقراءة آية فيه تعدل ختم القرآن في غيره، إنَّه سيّد الشهور. ولو أردنا أن نذكر جميع صفات وفضائل شهر رمضان والتي وردت عن أئمة أهل البيت المعصومين ﷺ لطال بنا المقام.

وفي هذا الشهر أيضاً قد نزلت الكتب السماوية على الأنبياء ﷺ من أجل هداية البشر، ونقلهم من الظلمات إلى النور، ففي أوَّل ليلة منه نزلت صحف إبراهيم ﷺ، والتوراة لستّ مضين منه، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت منه، والزّبور لثماني عشرة منه، وأمَّا القرآن فقد أنزل في ليلة القدر. لذا ينبغي الاستفادة من هذا الشهر في التبليغ وإرشاد الناس وهدايتهم إلى معالم الإسلام وأحكامه. فإنَّ الملاحظ هو إقبال الجميع على العبادة والطاعة، وتفتح النفوس لقبول الموعظة.

وخصّ الشهر بأُمور كثيرة منها:

١: الشياطين في هذا الشهر مغلولة.

٢: أنفاس العباد في هذا الشهر تسبيح.

٣: نوم العباد في شهر رمضان عبادة.

٤: اشتماله على ليلة القدر أو ليالي القدر، ففي هذا الشهر الشريف تقع ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر كما في نصّ القرآن الحكيم، وفي هذه الليلة تقدّر أعمال العباد خلال السنة وتعرض على الإمام الحجّة ﷺ وهو يقرها.

---

(١) نوادر الأشعري/ ص١.

(٢) بحار الأنوار/ ج٩٤/ ص٦٨.

٥: عظم الثواب ومضاعفة الأعمال، ففي شهر رمضان يضاعف للعباد طاعاتهم، خاصّة ما يرتبط بتلاوة القرآن.

قال رسول الله ﷺ: " إنَّ شهر رمضان شهر عظيم، يُضاعف الله فيه الحسنات، ويمحو فيه السيئات، ويرفع فيه الدرجات، من تصدّق في هذا الشهر بصدقة غفر الله لـه، ومن أحسن فيه إلى ما ملكت يمينه غفر الله لـه، ومن حسن فيه خلقه غفر الله لـه، ومن كظم فيه غيظه غفر الله لـه، ومن وصل فيه رحمه غفر الله لـه".

ثم قال عليه السلام: " إنَّ شهركم هذا ليس كالشهور، إنَّه إذا أقبل إليكم أقبل بالبركة والرحمة، وإذا أدبر عنكم أدبر بغفران الذنوب، هذا شهر الحسنات فيه مضاعفة، وأعمال الخير فيه مقبولة، من صلّى منكم في هذا الشهر لله عزوجل ركعتين يتطوّع بهما غفر الله لـه".

ثم قال عليه السلام: " إنَّ الشقي حق الشقي من خرج عنه هذا الشهر ولم تُغفر ذنوبه، فحينئذ يخسر حين يفوز المحسنون بجوائز الرّب الكريم"(٣).

عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام قال: إنَّ رسول الله ﷺ خطبنا ذات يوم فقال:

" أيُّها الناس إنَّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيّامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فاسألوا الله ربكم بنيّاتٍ صادقة، وقلوب طاهرة، أن يوفّقكم لصيامه وتلاوة كتابه، فإنَّ الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدَّقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقّروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصِلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، وغضّوا عمّا لا يحل النظر إليه أبصاركم، وعمّا لا يحل الاستماع إليه أسماعكم، وتحنَّنوا على أيتام الناس يُتحنّن على أيتامكم، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم، فإنَّها أفضل الساعات ينظر الله عزوجل فيها بالرحمة إلى عباده، يجيبهم إذا ناجوه، ويلبيهم إذا نادوه، يعطيهم إذا سألوه، ويستجيب لـهم إذا دعوه. أيُّها الناس إنَّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخفّفوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أنَّ الله تعالى ذكره أقسم بعزَّته أن لا يعذّب المصلّين والساجدين، وأن لا يروّعهم بالنار يوم يقوم الناس لربِّ العالمين. أيُّها الناس من فطَّر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان لـه بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لما مضى من ذنوبه.

(٣) وسائل الشيعة/ ج١٠/ ص٣١٢-٣١٣.

قيل: يا رسول الله فليس كلنا يقدر على ذلك؟

فقال ﷺ: اتقوا النار ولو بشقّ تمرة، اتقوا النار ولو بشربة من ماء، أيُّها الناس من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان لـه جوازاً على الصراط يوم تزل فيه الأقدام، ومن خفَّف في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه خفَّف الله عليه حسابه، ومن كف فيه شره كفَّ الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه وصلـه الله برحمته يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه، ومن تطوّع فيه بصلاة كتب الله لـه براءةً من النار، ومن أدَّى فيه فرضاً كان لـه ثواب من أدَّى سبعين فريضةً فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة عليّ ثقل الله ميزانه يوم تخف الموازين، ومن تلا فيه آيةً من القرآن كان لـه مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور، أيُّها الناس إنَّ أبواب الجنان في هذا الشهر مفتّحة فاسألوا ربَّكم أن لايغلقها عنكم، وأبواب النيران مغلقة فاسألوا ربكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة فاسألوا ربكم أن لا يسلِّطها عليكم.

قال أمير المؤمنين ﷺ: فقمت فقلت: يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟

فقال: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله"[1].

(١) بحار الأنوار/ ج٩٣/ ص٣٥٦-٣٥٨.

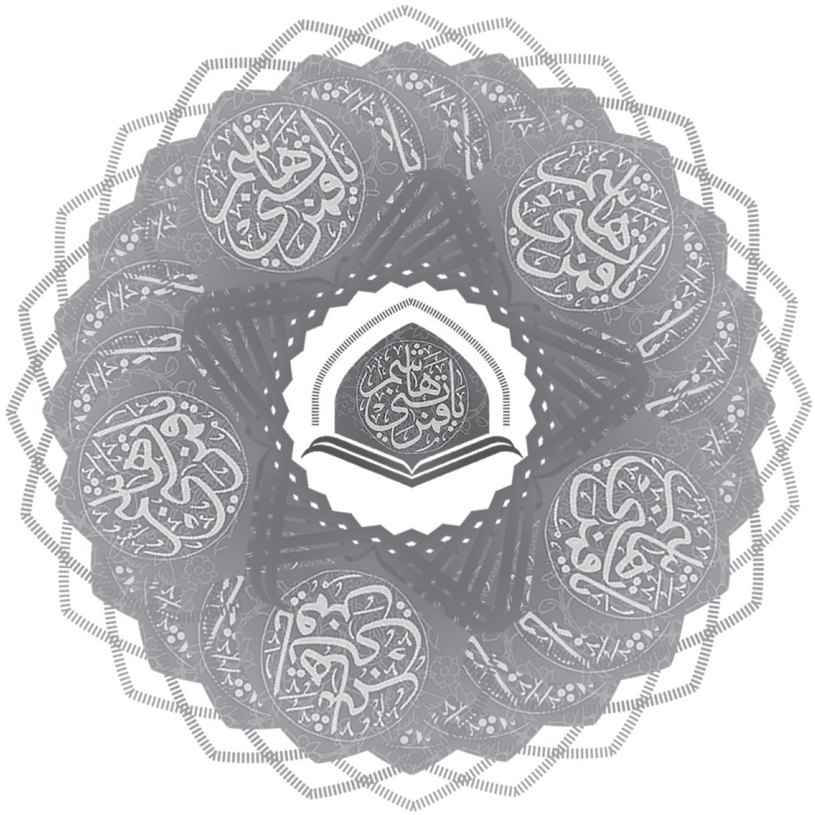

عليّ عليه السلام في إرادة الله الأزليّة

الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي

لسنا في شك بأنّ الغاية التي اقتضت خلق رسول الله صلى الله عليه وآله لتلقي بنود وأحكام الرسالة وتبليغها، قد دعت إلى خلق الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لتحقيق الامتداد الصادق لهذا الدور، وللحفاظ على هذه الرسالة وحمايتها، قال تعالى: (**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**)[١].

وعن ابن عباس، قال : لمّا نزل قوله -تبارك وتعالى- : (**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**)، وضع صلى الله عليه وآله يده على صدره وقال: (أنا المنذر وعليّ الهادي، وبك يا علي يهتدي المهتدون)[٢].

فهذه الغاية المركبة من أمرين متلازمين في الضّرورة، وهما الإنذار والهداية، ترتكز على أساسين، يشكلان الرّابط بين رسول الله صلى الله عليه وآله، وبين الإمام عليّ عليه السلام وهذان الأساسان هما :

---

(١) سورة الرعد/ الآية : ٨.

(٢) ينابيع المودة / ج٢ / ص ٣٨٠.

الأساس الأول: اتحاد المنشأ النوراني

وهو كونهما من نور الله -عزّ وجل- ، كما ورد عن سلمان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كنت أنا وعلي نورًا بين يدي الله قبل أن يخلق آدم، فقسّم ذلك النور جزأين، فجزء أنا وجزء عليّ)[١].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سألت رسول الله ﷺ عن ميلاد عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال :

(قد سألتني عن خير مولود ولد في شبه المسيح، إنّ الله تبارك وتعالى خلق عليًّا من نوري، وخلقني من نوره، وكلانا نور واحد، ثم أنَّ الله عزّ وجل، نقلنا من صلب آدم في أصلاب طاهرة إلى أرحام زكيّة، فما نقلت من صلب إلّا ونقل عليّ معي فلم يزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنة، واستودع عليًّا خير رحم وهي فاطمة بنت أسد)[٢].

الأساس الثاني: أزلية الوجود النّوراني

فلقد كانا في إرادة الله الأزليّة نورين متعانقين بساق عرشه، فلسنا مبالغين إن قلنا : إنّ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وجودًا في الإرادة الأزليّة الربانيّة.

بمعنى: أنَّ الله عزّ وجل قد قرّر في سابق علمه لهذا النور الذي أحدقه بساق العرش، أن ينزل إلى الأصلاب الطاهرة من آدم عليه السلام، حتى يصل إلى صلب أبي طالب عليه السلام، ثم ليحلّ هذا النور في رحم طاهر مطهّر، وليدخل هذا الوجود منتجًا مباركًا، فيعمر الحياة بالهدى والنّور والاستقامة، لأنَّه النّور الذي يتّسع لهذه الحياة بقلبه وروحه وفكره وسلوكه وبكلّ خلاله وخصاله.

فقد برز من الغيب، هذا الوجود المبارك المعطاء، الذي لم يكن يزهو بحركة العصب والدّم، بل بحركة المعنى الثابت في الدّم.

فهو يحمل في وجوده معنى عظمته وسموّه، ليقف كلّ ما في هذا الوجود خاشعًا أمام إطلالة ذلك الفجر الساطع، وروعة شمسه المضيئة، قانتًا في محراب الحبّ والولاء، مؤمنًا بما توحيه له هذه الإطلالة من صور حيّة، وعبقريّة فذّة، تلوح من أقاصي التأريخ كالبرج العتيد الذي يعلو على لحظ العيون.

---

(١)مناقب آل أبي طالب/ ج ٣ / ص ٦٦٢.

(٢) الرياض النضرة في مناقب العترة/ ج٣ / ص : ١٢٠.

حدث الميلاد في بيت الله -تبارك وتعالى-.

إنّ إيواء الله عزّ وجل لفاطمة بنت أسد ﷺ في بيته الحرام إجلال لوليدها الذي تحمله، هو جزء من التخطيط الرّباني لهذا الوجود المبارك، حيث لم يسبق لرسول أو نبيّ من أنبياء الله عزّ وجل أن نال ذلك من قبله، ولم يحدث أن حظي ولا يحظى بهذا أحد من بعده.

الرّواية: في مناقب بن المغازلي، وفيما ذكره الفقيه المالكي، وعن بشائر المصطفى، عن يزيد بن قعنب، قال : كنت جالسًا مع العباس بن عبد المطلب، وفريق من بني عبد العزى، بأزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد، وكانت حاملًا لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت:

(يا ربّ إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل، وإنه بنى البيت الحرام، فبحق البيت ومن بناه، والمولود الذي في بطني إلّا ما يسرت عليّ ولادتي).

قال يزيد بن قعنب : فرأينا البيت قد انشق عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا وعاد إلى حاله، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أنَّ ذلك من أمر الله تعالى.

وبعد أربعة أيّام خرجت فاطمة وعلى يدها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، ثمَّ قالت: (إنّي فضّلت على من تقدّمني من النساء، لأنّ آسيا بنت مزاحم عبدت الله سرًّا في موضع لا يحبّ الله أن يعبد فيه إلا اضطرارًا، وإنّ مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطبًا جنيًّا، وإنّي دخلت بيت الله الحرام، فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها.

فلمّا أردت أن أخرج هتف بي هاتف: (يا فاطمة سمّيه عليًّا، فهو عليّ، والله هو العليّ الأعلى، يقول قد شققت اسمه من اسمي وأدّبته بأدبي، وأوقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسّر الأصنام في بيتي)[1].

وللسيّد الحميري -رحمة الله عليه- بهذا الصّدد قوله:

ولدته في حرم الإله وأمنه ... والبيت حيث فناؤه والمسجد

بيضاء طاهرة الثياب كريمة ... طابت وطاب وليدها والمولد

في ليلة غابت نحوس نجومها ... وبدا مع القمر المنير الأسعد

(١) كشف الغمة/ ج١ / ص : ١٢٥ - ١٢٦.

ما لفّ في خرق القوابل مثله إلا ابن آمنة النبيّ محمّد

وفي الثالث عشر من رجب الأصب عام ١٤٠٣هـ، كانت لي وقفة تأمّل، في مناسبة ميلاد بطل الإسلام الخالد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، الذي لم يسبقه ولم يلحقه أحد في شرف الميلاد في بيت الله الحرام.

وخلال هذه الوقفة اهتزت القريحة وربت، عن مقطوعة شعرية متواضعة، لم تشأ لها الظروف أن تطرق حفلًا بهذه المناسبة تحت ظل التّعسّف والظلم الصدامي.

إذ لم يستطع أن يتحرّك لسان في إطراء مناسبة من هذه المناسبات المقدسة، ما لم يكن فيها للطاغية صدام حظ من الثناء والإطراء، فآليت أن أخبّئ تلك الأحرف ضمن باقة الذكريات المخبأة :

ته في جلال علي واسمُ يا قلمي وحيّ فجرًا جلا سدفا من الظلم

واخرق دجى الليل بالأنغام وارو لنا إشراقة النور واشف النفس من سقم

واقشع سحابة همّ لوّنت مقلي واسكب رؤى الحق لحنا عاطرًا بفمي

وطف بدنيا من الآثار روّ بها قريحتي كي تروّي بالهدى كلمي

واسكب مدادك طهرًا واسق قافيتي من فيض ذكراه وارعف دونما سأم

واصنع بيانك من عطر الولاء ومن أبهى شروق نمته دوحة الكرم

قد جئت أنشد مشتاقًا إلى عبق من عطر ذكرى وليد البيت والحرم

وأجتلي الحق في نهج الوصي ولا أخشى ملامة جاف عن هداه عمي

فذا عليّ الهدى قد طاب محتده من أصل طه براه بارئ النسم

فكان نورًا بساق العرش مدّرعا مجدا تسامى علوّا في دنى العظم

حتى تبسّم بيت الله مبتهجًا فكان فجر الهدى من ثغر مبتسم

حتى أطل مهيبًا يرتدي حللًا من الجلال نقيات من الظلم

فقام في جنبات الرّكن منتضيًا عضبًا لينذر دنيا الشرك والصّنم

حدّا من الحق لا ينبو لأنّ به سرّ الإله وعدل الفاصل الحكم

في كلِّ قلب وميض من هداه ومن نور الولاء وكان العهد في الذمم
لم أدر كيف تعامى منكروه ولم باتوا عن الذكر والتذكير في صمم
لولا استبانوا به الإسلام والتمسوا من الهدى خير نبراس ومعتصم
فذا فؤاد عليّ عنده يقظ ولامع الحق فيه قط لم ينم
من لم يرُمْه منارًا في مسيرته من سوف يرحم فيه زلة القدم

من دلالات حدث الميلاد

ولقد جاء هذا الحدث التأريخي الخالد، لتستوحي الأمّة منه الدلالات التي من شأنها أن تؤكِّد رابطتها بالامتداد الرسالي، ومن الجدير الإشارة هنا إلى ثلاث دلالات تتعلق بشأن الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

الأولى : تدخّل العناية الرّبانيّة في كلّ شأن يرتبط بوجود الإمام عليّ عليه السلام، منذ ولادته إلى استشهاده، ممّا يدلّ على أنّ هذا الوجود، رشحة من لطف الله عزّ وجل، وإطلالة من نوره على هذه الخليقة، قد فرضتها حاجة الإنسانية إلى هذا اللطف الرّباني.

الثانية: إنّ هذا التخطيط من أوضح الإشارات إلى طهر هذه الذات المصطفاة، التي من أجلها استثنيت اعتبارات شرعيّة هامّة، ألزم الله عزّ وجل بها سائر الناس تجاه بيته الحرام، كحرمة دخول النفساء، والجنب.

وقد استمر هذا الاستثناء من المادة الشرعيّة لخصوص رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام عليّ عليه السلام ليشمل كافة فصول حياتهما، ممّا يشير إلى وحدة الأصل بينهما كما سبق.

عن خارجة بن سعد، عن أبيه سعد، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ : (يا عليّ لا يحلّ لأحد أن يجنب في المسجد غيري وغيرك)[1].

وعن أبي سعيد الخدري، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا عليّ لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك)[2].

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ ج٩ / ص١١٥ .
(٢)سنن الترمذي/ ج ٤ / ص ٤٧٩ .

الثالثة: إنّ الله عزّ وجل قد أعدّ هذه الشخصيّة المطهّرة لعمليّة تغييريّة هامّة في بيت الله الحرام، وهي تطهيره من رجس الوثنيّة الجاهليّة.

فقد أعطاه الله عزّ وجل هذا الاختصاص بالولادة في بيته، وفاء مقدّما منه تعالى لهذا الوجود المطهّر المعطاء، لكونه يستحق هذا الوفاء الرّباني المقدم؛ لأنّه الإمام الصادق بكلّ خلاله وخصاله وعطائه.

كما كرّمه الله عزّ وجل مع ذلك الشرف والقدر، أن جعل محط قدمه منكب رسول الله ﷺ، إذ لم يتسنّ له الصّعود إلى سطح الكعبة إلَّا على كتف النبيّ ﷺ.

فكان هذا الحدث محلاً ومثارًا لقول الشاعر العمري في قصيدته التي كان مطلعها :

أنت العليّ الذي فوق العلى رفعا ببطن مكة وسط البيت إذ وضعا

إلى أن يقول :

وأنت حيدرة الغار الذي أسد الـ ـبرج السماوي عنه خاسئًا رجعا

وأنت باب تعالى شأن حارسه بغير راحة روح القدس ما قرعا

وأنت ذاك الذي حطت له قدم في موضع كفه الرّحمن قد وضعا

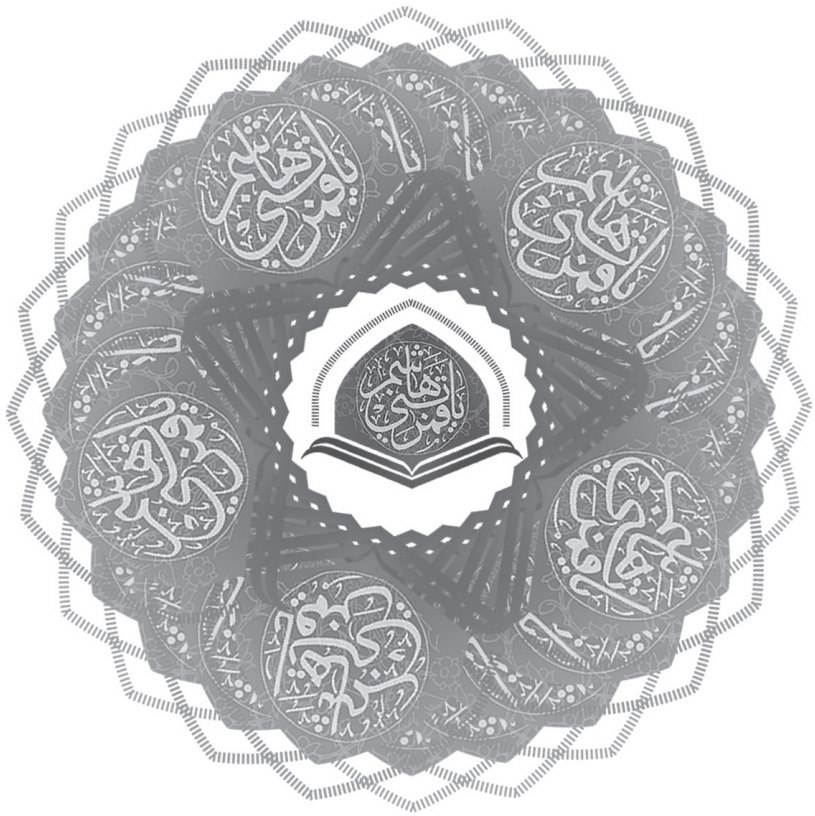

العناصر النفسيّة للحوراء زينب عليها السلام

العلامة باقر شريف القرشي -رحمه الله-

ما من صفةٍ كريمةٍ أو نزعةٍ شريفةٍ يفتخر بها الإنسان، ويسمو بها على غيره من الكائنات الحيّة إلّا وهي من عناصر عقيلة بني هاشم.

وسيّدة النساء زينب عليها السلام قد تحلّت بجميع الفضائل التي وهبها الله تعالى لجدّها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وأبيها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأُمّها سيّدة نساء العالمين عليها السلام، وأخويها الحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنّة وريحانتي رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقد ورثت خصائصهم، وحكت مميّزاتهم، وشابهتهم في سموّ ذاتهم ومكارم أخلاقهم.

لقد كانت حفيدة الرسول بحكم مواريثها وخصائصها أعظم وأجلّ سيّدة في دنيا الإسلام؛ فقد أقامت صروح العدل، وشيّدت معالم الحق، وأبرزت قيم الإسلام ومبادئه على حقيقتها النازلة من ربّ العالمين، فقد جاهدت هي وأُمّها زهراء الرسول كأعظم ما يكون الجهاد، ووقفتا بصلابة لا يُعرف لها مثيل أمام التيارات الحزبية التي حاولت بجميع ما تملك من وسائل القوة أن تلقي الستار على قادة الأُمّة وهداتها الواقعيين الذين أقامهم الرسول صلى الله عليه وآله أعلاماً لأُمّته، وخزنة لحكمته وعلومه.

فقد أظهرت زهراء الرسول بقوّة وصلابة عن حقّ سيد العترة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، رائد العدالة الاجتماعية في الإسلام، فناهضت حكومة أبي بكر في خطابها التأريخي الخالد، وسائر مواقفها المشرّفة التي وضعت

فيها الأساس المشرق لمبادئ شيعة أهل البيت عليهم السلام؛ فهي المؤسّسة الأولى بعد أبيها صلى الله عليه وآله لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

وكذلك وقفت ابنتها العقيلة أمام الحكم الأُموي الأسود الذي استهدف قلع الإسلام من جذوره ومحو سطوره، وإقصاء أهل البيت عليهم السلام عن واقعهم الاجتماعي والسياسي، وإبعادهم عن المجتمع الإسلامي؛ فوقفت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله مع أخيها أبي الأحرار في خندقٍ واحد، فحطّم أخوها بشهادته، وهي بخطبها في أروقة بلاط الحكم الأُموي، ذلك الكابوس المظلم الذي كان جاثماً على رقاب المسلمين.

وعلى أي حال، فإنّا نعرض بصورة موجزة لبعض العناصر النفسيّة لحفيدة الرسول صلى الله عليه وآله، وما تتمتّع به من القابليات الفذة التي جعلتها في طليعة نساء المسلمين، وفيما يلي ذلك:

الإيمان الوثيق

وتربّت عقيلة بني هاشم في بيت الدعوة إلى الله تعالى، ذلك البيت الذي كان فيه مهبط الوحي والتنزيل، ومنه انطلقت كلمة التوحيد وامتدَّت أشعّتها المشرقة على جميع شعوب العالم وأُمم الأرض، وكان ذلك أهمّ المعطيات لرسالة جدّها العظيم.

لقد تغذّت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله بجوهر الإيمان وواقع الإسلام، وانطبع حبّ الله تعالى في عواطفها ومشاعرها حتّى صار ذلك من مقوّماتها وذاتياتها، وقد أحاطت بها المحن والخطوب منذ نعومة أظفارها، وتجرّعت أقسى وأمرّ ألوان المصائب، كلّ ذلك من أجل رفع كلمة الله-سبحانه- عالية خفّاقة.

إنّ الإيمان الوثيق بالله تعالى والانقطاع الكامل إليه كانا من ذاتيات الأُسرة النبويّة ومن أبرز خصائصهم.

ألم يقل سيّد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في دعائه: «ما عبدتك طمعاً في جنّتك، ولا خوفاً من نارك، ولكنّي وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك» ؟

وهو القائل: «لو كُشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً» .

أمّا سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه السلام، فقد أخلص لله تعالى كأعظم ما يكون الإخلاص، وذاب في محبّته، وقد قدّم نفسه والكواكب المشرقة من أبنائه وإخوته وأبناء عمومته قرابين خالصة لوجه الله، وقد طافت به المصائب والأزمات التي يذوب من هولها الجبال، وامتحن بما لم يمتحن به أحدٌ من أنبياء الله وأوليائه، كلّ ذلك في سبيل الله تعالى.

فقد رأى أهل بيته وأصحابه المجّدين صرعى، ونظر إلى حرائر النبوّة وعقائل الوحي وهنّ بحالة تميد من هولها الجبال، وقد أحاطت به أرجاس البشرية وهم يوسعونه ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح؛ ليتقرّبوا بقتله إلى سيّدهم ابن مرجانة. لقد قال وهو بتلك الحالة كلمته الخالدة، قال: «لك العتبى يا ربّ، إن كان يرضيك هذا فهذا إلى رضاك قليل» .

ولمّا ذُبح ولده الرضيع بين يديه قال:«هوّن ما نزل بي أنّه بعين الله»[١]. أرأيتم هذا الإيمان الذي لا حدود له؟ أرأيتم هذا الانقطاع والتبتّل إلى الله؟

وكانت حفيدة الرسول زينب عليها السلام كأبيها وأخيها في عظيم إيمانها وانقطاعها إلى الله؛ فقد وقفت على جثمان شقيقها الذي مزّقته سيوف الشرك وهو جثة هامدة بلا رأس، فرمقت السماء بطرفها وقالت كلمتها الخالدة التي دارت مع الفلك وارتسمت فيه: "اللهمّ تقبّل منّا هذا القربان"[٢].

إنّ الإنسانيّة تنحني إجلالاً وخضوعاً أمام هذا الإيمان الذي هو السرّ في خلودها وخلود أخيها. لقد تضرّعت بطلة الإسلام بخشوع إلى الله تعالى أن يتقبّل ذلك القربان العظيم الذي هو ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأيّ إيمان يُماثل هذا الإيمان؟ وأيّ تبتّل إلى الله تعالى يُضارع هذا التبتّل؟

لقد أظهرت حفيدة الرسول بهذه الكلمات الخالدة معاني الوراثة النبويّة، وأظهرت الواقع الإسلامي وأنارت السبيل أمام كلّ مصلح اجتماعي، وأنَّ كلّ تضحية تُؤدّى للأُمّة يجب أن تكون خالصة لوجه الله غير مشفوعة بأيّ غرض من أغراض الدنيا.

ومن عظيم إيمانها الذي يبهر العقول ويحيّر الألباب أنّها أدّت صلاة الشكر إلى الله تعالى ليلة الحادي عشر من المحرّم على ما وفّق أخاها ووفّقها لخدمة الإسلام ورفع كلمة الله. لقد أدّت الشكر في أقسى ليلة وأفجعها، والتي لم تمرّ مثلها على أيّ أحدٍ من بني الإنسان.

لقد أحاطت بها المآسي التي تذوب من هولها الجبال؛ فالجثث الزواكي من أبناء الرسول وأصحابهم أمامها لا مغسّلين ولا مكفّنين، وخيام العلويات قد أحرقها الطغاة اللئام، وسلبوا ما على بنات رسول الله صلى الله عليه وآله من حُلي وما عندهنّ من أمتعة، وهنَّ يعجنَ بالبكاء لا يعرفنَ ماذا يجري عليهنَّ من الأسر والذلّ، إلى غير ذلك من المآسي التي

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام / ٣ / ٢٧٦.
(٢) المصدر نفسه / ٣٠٤.

أحاطت بحفيدة الرسول ﷺ، وهي تؤدّي صلاة الشكر لله تعالى على هذه النعمة التي أضفاها عليها وعلى أخيها.

تدول الدول وتفنى الحضارات وهذا الإيمان العلوي أحقّ بالبقاء، وأجدر بالخلود من هذا الكوكب الذي نعيش فيه.

الصبر

من النزعات الفذّة التي تسلّحت بها مفخرة الإسلام وسيّدة النساء زينب عليها السلام هي الصبر على نوائب الدنيا وفجائع الأيّام، فقد تواكبت عليها الكوارث منذ فجر الصبا، فرُزئت بجدّها الرسول ﷺ الذي كان يحدب عليها، ويفيض عليها بحنانه وعطفه، وشاهدت الأحداث الرَّهيبة المروّعة التي دهمت أباها وأُمّها بعد وفاة جدّها؛ فقد أُقصي أبوها عن مركزه الذي أقامه فيه النبي ﷺ، وأجمع القوم على هضم أُمّها حتّى توفّيت وهي في روعة الشباب وغضارة العمر، وقد كوت هذه الخطوب قلب العقيلة إلّا أنّها خلدت إلى الصبر.

وتوالت بعد ذلك عليها المصائب، فقد رأت شقيقها الإمام الحسن الزكي عليه السلام قد غدر به أهل الكوفة حتّى اضطر إلى الصلح مع معاوية الذي هو خصم أبيها وعدوّه الألدّ، ولم تمضِ سنين يسيرة حتّى اغتاله بالسّمّ، وشاهدته وهو يتقيّأ دماً من شدّة السمّ حتّى لفظ أنفاسه الأخيرة.

وكان من أقسى ما تجرّعته من المحن والمصاعب يوم الطفّ؛ فقد رأت شقيقها الإمام الحسين عليه السلام قد استسلم للموت لا ناصر له ولا معين، وشاهدت الكواكب المشرقة من شباب العلويِّين صرعى قد حصدتهم سيوف الأُمويِّين، وشاهدت الأطفال الرّضّع يُذبحون أمامها.

إنّ أي واحدة من رزايا سيّدة النساء زينب لو ابتُلي بها أيّ إنسان مهما تدرّع بالصبر وقوّة النفس لأوهنت قواه، واستسلم للضعف النفسي، وما تمكن على مقاومة الأحداث، ولكنّها عليها السلام قد صمدت أمام ذلك البلاء العارم، وقاومت الأحداث بنفس آمنة مطمئنة راضية بقضاء الله تعالى، وصابرة على بلائه، فكانت من أبرز المعنيين بقوله تعالى:(**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولئك عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ**) [1].

وقال تعالى:(**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**) [2]، وقال تعالى:(**وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ**

(١) سورة البقرة/ ١٥٥ – ١٥٧.
(٢) سورة الزمر/ ١٠.

بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [١].

لقد صبرت حفيدة الرسول ﷺ وأظهرت التجلّد وقوّة النفس أمام أعداء الله، وقاومتهم بصلابة وشموخ، فلم يشاهد في جميع فترات التأريخ سيّدة مثلها في قوّة عزيمتها وصمودها أمام الكوارث والخطوب.

يقول الحجّة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء في صبرها وعظيم محنتها:

لله صبرُ زينبَ العقيلهْ كم شاهدت مصائباً مهولهْ
رأت مِنَ الخطوبِ والرزايا أمراً تهونُ دونهُ المنايا
رأت كرامَ قومِها الأماجد مجزّرينَ في صعيدٍ واحد
تسفي على جسومِها الرياحُ وهي لذؤبانِ الفلا تُباحُ
رأت رؤوساً بالقنا تُشالُ وجثثاً أكفانُها الرمالُ
رأت رضيعاً بالسهامِ يفطمُ وصبيةً بعدَ أبيهم أُيتموا
رأت شماتةَ العدو فيها وصنعهُ ما شاءَ في أخيها
وإنّ من أدهى الخطوبِ السودِ وقوفها بين يدي يزيدِ

وقال السيد حسن البغدادي:

يا قلبَ زينبَ ما لاقيتَ من محنٍ فيكَ الرزايا وكلّ الصبرِ قد جمعا
لو كانَ ما فيكَ من صبرٍ ومن محنٍ في قلبِ أقوى جبالِ الأرضِ لانصدعا
يكفيكَ صبراً قلوبَ الناسِ كلّهمُ تفطّرت للذي لاقيتهُ جزعا

لقد قابلت العقيلة ما عانته من الكوارث المذهلة والخطوب السود بصبر يذهل كلّ كائن حي.

العزّة والكرامة

من أبرز الصفات النفسيّة الماثلة في شخصية سيدة النساء زينب عليها السلام هي العزّة والكرامة؛ فقد كانت من

---

(١) سورة النحل / الآية: ٩٦.

سيّدات نساء الدنيا في هذه الظاهرة الفذّة، فقد حُملت بعد مقتل أخيها من كربلاء إلى الكوفة سبيّة، ومعها بنات رسول الله ﷺ قد نُهب جميع ما عليهنّ من حُلي وما عندهنّ من أمتعة، وقد أضرّ الجوع بأطفال أهل البيت وعقائلهم، فترفّعت العقيلة أن تطلب من أُولئك الممسوخين – من شرطة ابن مرجانة – شيئاً من الطعام لهم.

ولمّا انتهى موكب السبايا إلى الكوفة، وعلمنَ النساء أنّ السبايا من أهل بيت النبوّة، سارعنَ إلى تقديم الطعام إلى الأطفال الذين ذوت أجسامهم من الجوع، فانبرت السيّدة زينب مخاطبة نساء أهل الكوفة قائلة: الصدقة محرّمة علينا أهل البيت.

ولمّا سمع أطفال أهل البيت ﷺ من عمّتهم ذلك ألقوا ما في أيديهم وأفواههم من الطعام، وأخذ بعضهم يقول لبعض: إنّ عمّتنا تقول: الصدقة حرام علينا أهل البيت.

أيّ تربية فذّة تربّى عليها أطفال أهل البيت ﷺ! إنّها تربية الأنبياء والصدّيقين التي تسمو بالإنسان فترفعه إلى مستوى رفيع يكون من أفضل خلق الله.

ولمّا سُيّرت سبايا أهل البيت ﷺ من الكوفة إلى الشام لم تطلب السيدة زينب طيلة الطريق أيّ شيء من الإسعافات إلى الأطفال والنساء مع شدّة الحاجة إليها؛ فقد أنفت أن تطلب أيّ مساعدة من أُولئك الجفاة الأنذال الذين رافقوا الموكب.

لقد ورثت عقيلة بني هاشم من جدّها وأبيها العزّة والكرامة، والشرف والإباء، فلم تخضع لأيّ أحدٍ مهما قست الأيام وتلبّدت الظروف، إنّها لم تخضع إلاّ إلى الله تعالى.

الشجاعة

ولم يشاهد الناس في جميع مراحل التأريخ أشجع ولا أربط جأشاً ولا أقوى جناناً من الأُسرة النبويّة الكريمة؛ فالإمام أمير المؤمنين (سلام الله عليه) عميد العترة الطاهرة كان من أشجع خلق الله بعد الرسول الكريم، وهو القائل: «لو تضافرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها» .

وقد خاض أعنف المعارك وأشدّها قسوة، فجندل الأبطال وألحق بجيوش الشرك أفدح الخسائر، وقد قام الإسلام عبل الذراع مفتول الساعد بجهاده وجهوده، فهو معجزة الإسلام الكبرى، وكان ولده أبو الأحرار الإمام الحسين ﷺ مضرب المثل في بسالته وشجاعته؛ فقد حيّر الألباب وأذهل العقول بشجاعته وصلابته وقوّة بأسه.

فقد وقف يوم العاشر من المحرّم موقفاً لم يقفه أيّ أحدٍ من أبطال العالم؛ فإنّه لم ينهار أمام تلك النكبات المذهلة التي تعصف بالحلم والصبر، فكان يزداد انطلاقاً وبشراً كلّما ازداد الموقف بلاءً ومحنةً. فإنّه بعدما صُرِعَ أصحابه وأهل بيته زحف عليه الجيش بأسره – وكان عدده فيما يقول الرواة ثلاثين ألفاً – فحمل عليهم وحده، وقد طارت أفئدتهم من الخوف والرعب، فانهزموا أمامه كالمعزى إذا شدّ عليها الذئب – على حدّ تعبير بعض الرواة – وبقي صامداً كالجبل يتلقى الطعنات والسهام من كلّ جانب، لم يوهن له ركن ولم تضعف له عزيمة.

يقول العلوي السيّد حيدر:

فتلقّى الجموعَ فرداً ولكن كلُّ عضو في الروعِ منهُ جموعُ
رمحهُ من بنانهِ و كأنّ من عزمهِ حدُّ سيفهِ مطبوعُ
زوّج السيفَ بالنفوسِ ولكن مهرُها الموت والخضابُ النجيعُ

ولمّا سقط (سلام الله عليه) على الأرض جريحاً قد أعياه نزف الدماء تحامى الجيش الأُموي من الإجهاز عليه؛ خوفاً ورعباً منه. يقول السيد حيدر:

عفيراً متى عاينتهُ الكماة يختطف الرعبُ ألوانَها
فما أجلت الحربُ عن مثلهِ صريعاً يجبّنُ شجعانَها

وتمثّلت هذه البطولة العلوية بجميع صورها وألوانها عند حفيدة الرسول وعقيلة بني هاشم السيدة زينب (سلام الله عليها)؛ فإنّها لمّا مثلت أمام الإرهابي المجرم سليل الأدعياء ابن مرجانة احتقرته واستهانت به، فاندفع الأثيم يظهر الشماتة بلسانه الألكن قائلاً: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم، وكذّب أُحدوثتكم.

فانبرت حفيدة الرسول بشجاعة وصلابة قائلة: " الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه، وطهّرنا من الرجس تطهيراً، إنّما يُفتضح الفاسق ويُكذب الفاجر، وهو غيرنا يابن مرجانة...[1].

لقد قالت هذا القول الصارم الذي هو أمضى من السلاح، وهي والمخدّرات من آل محمّد في قيد الأسر، وقد رفعت فوق رؤوسهنَّ رؤوس حماتهنَّ، وشهرت عليهنَّ سيوف الملحدين. لقد أنزلت العقيلة – بهذه الكلمات – الطاغية من عرشه إلى قبره، وعرّفته أمام خدمه وعبيده أنّه المفتضح والمنهزم، وأنّ أخاها هو المنتصر.

(١) تاريخ الطبري/ ٦ / ٢٦٣.

ولم يجد ابن مرجانة كلاماً يقوله سوى التشفّي بقتل عترة رسول الله ﷺ، قائلاً: كيف رأيت صنع الله بأخيك[١] ؟

وانطلقت عقيلة بني هاشم ببسالة وصمود، فأجابت بكلمات الظفر والنصر لها ولأخيها قائلة: ما رأيت إلاّ جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتُحاجّ وتُخاصم، فانظر لَمَنْ الفلج يومئذ، ثكلتك أُمّك يابن مرجانة!

أرأيتم هذا التبكيت الموجع؟ أرأيتم هذه الشجاعة العلوية؟ فقد سجّلت حفيدة الرسول ﷺ بموقفها وكلماتها فخراً للإسلام وعزّاً للمسلمين، ومجداً خالداً للأُسرة النبويّة.

أمّا موقفها في بلاط يزيد، وموقفها مع الشامي وخطابها الثوري الخالد فقد هزّ العرش الأُموي، وكشف الواقع الجاهلي ليزيد ومن مكّنه من رقاب المسلمين، وسنعرض لخطابها وسائر مواقفها المشرّفة في البحوث الآتية.

الزهد في الدنيا

ومن عناصر سيّدة النساء زينب عليها السلام الزهد في الدنيا؛ فقد بذلت جميع زينتها ومباهجها مقتدية بأبيها الذي طلّق الدنيا ثلاثاً لا رجعة له فيها، ومقتدية بأُمّها سيّدة نساء العالمين، زهراء الرسول.

فقد كانت – فيما رواه المؤرّخون – لا تملك في دارها سوى حصير من سعف النخل، وجلد شاة، وكانت تلبس الكساء من صوف الإبل، وتطحن بيدها الشعير، إلى غير ذلك من صنوف الزهد والإعراض عن الدنيا. وقد تأثّرت عقيلة الرسول ﷺ بهذه الروح الكريمة فزهدت في جميع مظاهر الدنيا، وكان من زهدها أنّها ما ادّخرت شيئاً من يومها لغدها حسب ما رواه عنها الإمام زين العابدين عليه السلام[٢] .

وقد طلقت الدنيا وزهدت فيها وذلك بمصاحبتها لأخيها أبي الأحرار؛ فقد علمت أنّه سيستشهد في كربلاء، أخبرها بذلك أبوها، فصحبته وتركت زوجها الذي كان يرفل بيته بالنعيم ومتع الحياة، رفضت ذلك كلّه وآثرت القيام مع أخيها لنصرة الإسلام والذبّ عن مبادئه وقيمه، وهي على علم بما تشاهده من مصرع أخيها، وما يجري عليها بالذّات من الأسر والذلّ. لقد قدّمت على ذلك خدمة لدين الله تعالى.

---

(١) زينب الكبرى / ٦١.

(٢) صحيح الترمذي ٢ / ٣١٩.

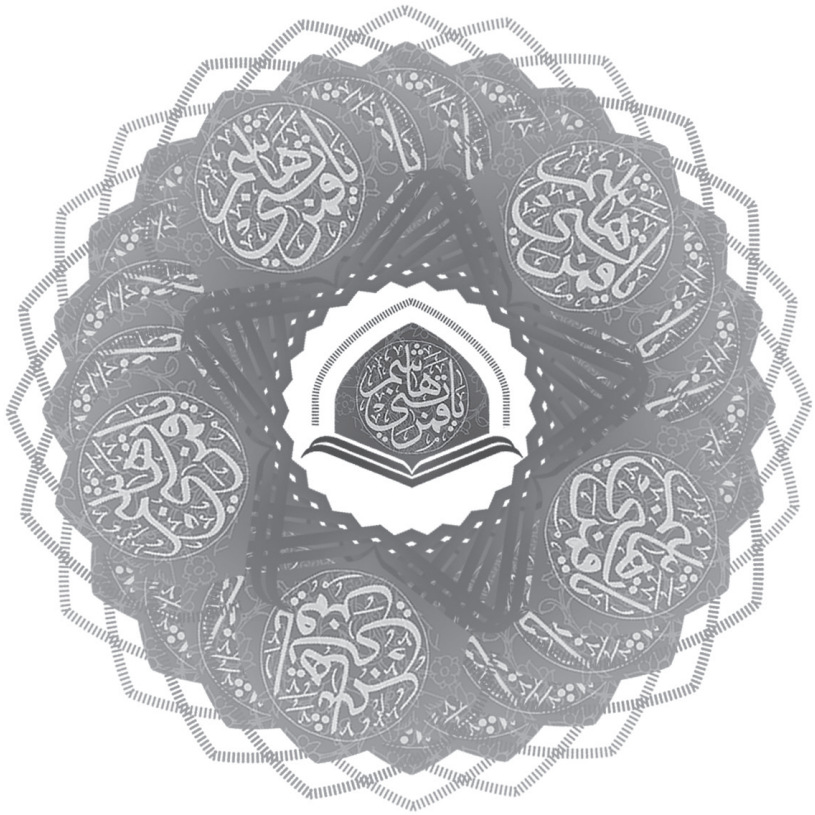

الإمام الكاظم عليه السلام
فضائل ومكارم

حسين الشاكري

من البديهي أنّ للإمامة عند الشيعة صفاتًا لا يمكن للإمام أن يكون إماماً دونها، وهي صفات الإنسان الكامل التي ترفع قدره حتّى تجعله فوق مستوى الناس من حيث التقوى والعدل والأمانة وحبّ الخير وإسداء المعروف والبعد عن كلّ خُلق شائن، هذا إضافةً إلى غزارة العلم وسعة الاطلاع؛ لكي يصلح أن يكون قدوة في دنيا الناس، ولقد أُوتي الإمام الكاظم عليه السلام كلّ الصفات التي أُوتيها آباؤه الأئمة من قبله عليهم السلام.

فخلقه عليه السلام وأدبه ينطق من واقع عراقته وأصالته بالنّبوّة، والشامخ بالإمامة، حيث تجتمع الكمالات الإنسانية في أروع مثلها وقيمها قولاً وعملاً وإطاراً ومحتوىً، وخلقه وأدبه امتداد طبيعي لخُلق رسول الله صلى الله عليه وآله وأدبه، فهو عليه السلام وغيره من الأئمة عليهم السلام ما ورثوا عن جدّهم صلى الله عليه وآله صفراء ولا بيضاء، وإنّما هي علومه وصفاته المثلى ومكارم أخلاقه، فكان لهم شرف احتوائها والحفاظ عليها، فهم الأُمناء على معطيات رسالته، والحفظة لسنّته ومبادئه ومُثُله، يروونها عنه قولاً، ويجسّدونها في ممارساتهم عملاً.

قال الشيخ المفيد: كان موسى بن جعفر عليه السلام أجلّ ولد أبي عبد الله عليه السلام قدراً، وأعظمهم محلاً، وأبعدهم في الناس صيتاً، ولم يُرَ في زمانه أسخى منه ولا أكرم نفساً وعشرة، وكان أعبد أهل زمانه وأورعهم وأجلّهم وأفقههم[1].

(١) الارشاد / ٢ / ٢١٤ .

وقال ابن شهرآشوب: كان أفقه أهل زمانه، وأحفظهم لكتاب الله، وأحسنهم صوتاً بالقرآن، وكان أجلّ الناس شأناً، وأعلاهم في الدين مكاناً، وأسخاهم بناناً، وأفصحهم لساناً، وأشجعهم جناناً، قد خصّ بشرف الولاية، وحاز إرث النبوّة، وبُوّئ محلّ الخلافة، سليل النبوّة، وعقيد الخلافة[١].

وفيما يلي نورد نبذة من فضائله وخصائصه التي ورثها عن آبائه المعصومين عليهم السلام، فتميّز بها عن أهل زمانه.

أوّلاً - العلم:

كان من بعض مظاهر العظمة عند الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنّه كان أعلم أهل زمانه وأفضلهم بشهادة الأكابر من معاصريه بما فيهم خصمه وقاتله هارون الرشيد. فعندما شاهد المأمون الحفاوة والتكريم من قبل أبيه الرشيد في استقبال الإمام الكاظم عليه السلام حينما كان في المدينة وقد استأذن عليه، قال لأبيه: لقد رأيتك عملت بهذا الرجل شيئاً ما رأيتك فعلته بأحد من أبناء المهاجرين والأنصار ولا ببني هاشم، فمن هذا الرجل؟ ! فقال الرشيد: يا بني، هذا وارث علم النّبيّين، هذا موسى بن جعفر بن محمد، إن أردت العلم الصحيح فعند هذا[٢].

ولقد استقى الإمام الكاظم عليه السلام علمه من أبيه الصادق عليه السلام مؤسس المدرسة العلمية الكبرى لأهل البيت عليهم السلام، فقد نشأ ودرج في حجره وأخذ عنه العلم وورث منه مصادر الإيمان والحقّ. وكان علمه عليه السلام إلهامياً كعلم الأنبياء والأوصياء، لا كَسْبِيًّا كعلم بقية الناس، وقد أقام المتكلّمون من الشيعة على ذلك سيلاً من الأدلّة التي لا تقبل الجدل والشّكّ.

وقد كان عليه السلام يعرف بالعالم لما روي عنه في فنون العلم المختلفة العقلية والنقلية، ولتميّزه من بين أقرانه منذ صباه عليه السلام .

وقد نقل المؤرّخون والمحدّثون الشيء الكثير من آثاره الدالّة على سعة علمه، وعمق حكمته، ورفعة أدبه.

قال الشيخ المفيد: وقد روى الناس عن أبي الحسن موسى عليه السلام فأكثروا، وكان أفقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب الله[٣].

وتوفّر أصحابه على رواية العلم عنه، حتّى في ظروف السجن القاهرة، كأبي عمران موسى بن إبراهيم

---

(١) المناقب/ ٤/ ٣٢٣ .
(٢) أمالي الصدوق/ ٣٠٧ .
(٣) الارشاد/ ٢ / ٢٣٥ .

المروزي، معلّم ولد السندي بن شاهك، الذي كان الإمام عليه السلام وديع سجنه، حيث ألّف المروزي مسنداً عن الإمام الكاظم عليه السلام رواه عنه وهو في السجن[١].

وبلغ عدد أصحابه عليه السلام ومن روى عنه أكثر من ٥٠٠ صحابي وراوٍ[٢]، منهم: أخوه علي بن جعفر عليه السلام، قال عنه الشيخ المفيد (رحمه الله): كان شديد التمسّك بأخيه موسى، والانقطاع إليه، والتوفّر على أخذ معالم الدين منه، وله مسائل مشهورة عنه وجوابات رواها سماعاً منه[٣].

وترك الإمام الكاظم عليه السلام من المواعظ والحكم والوصايا ما يضرب به المثل، ولاسيّما وصيّة لهشام بن الحكم، والتي تعدّ منهاجاً تربوياً في الحكمة والادب والاخلاق.

وفيما يلي نورد أهمّ الروايات وأكثرها ذيوعاً في المصادر التي ترجمت له عليه السلام، والدالّة على غزارة علمه الذي لا يحدّ، وفقهه الذي لا يُجارى:

١ - روي عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت، قال: دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام فسلّمت عليه، وخرجت من عنده فرأيت ابنه موسى في دهليزه قاعداً في مكتبه، وهو صغير السنّ[٤]، فقلت: أين يضع الغريب إذا كان عندكم، إذا أراد ذلك؟ فنظر إليَّ ثمّ قال: يجتنب شطوط الأنهار، ومساقط الثمار، وأفنية الدار، والطرق النافذة، والمساجد، ويضع بعد ذلك أين شاء.

فلمّا سمعت هذا القول نبل في عيني، وعظم في قلبي، وقلت له: جعلت فداك، ممّن المعصية؟ فنظر إليَّ ثمّ قال: اجلس حتّى أُخبرك. فجلست فقال: إنّ المعصية لا بدّ أن تكون من العبد، أو من ربّه، أو منهما جميعاً. فإن كانت من الربّ فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويؤاخذه بما لم يفعله، وإن كان منهما جميعاً فهو شريكه، فالقويّ أولى بإنصاف عبده الضعيف، وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر، وإليه توجّه النهي، وله حقّ الثواب والعقاب، ولذلك وجبت له الجنّة والنار. فلمّا سمعت ذلك قلت: **(ذُرِّيَّةٌ بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**[٥].

---

(١) هذا المسند متداول في عصرنا الحالي، ومطبوع في سبع صفحات بتحقيق السيّد محمد حسين الحسيني الجلالي.

(٢) أُنظر كتاب أحسن التراجم لاصحاب الامام الكاظم عليه السلام، تأليف عبد الحسين الشبستري، مطبوع بجزءين.

(٣) الارشاد ٢ : ٢٢٠.

(٤) في بعض المصادر : كان خماسياً، أو سداسياً.

(٥) سورة آل عمران / الآية : ٢٤.

وقد نظم بعض الشعراء معنى قوله عليه السلام شعراً، فقال:

لم تَخْلُ أفعالنا اللاتي نُذمّ بها ... إحدى ثلاث خلال حين نبديها

إمّا تفرّد بارينا بصنعتها ... فيسقط اللوم عنّا حين نأتيها

أو كان يشركنا فيها فيلحقه ... ما سوف يلحقنا من لائم فيها

أو لم يكن لاهي في جنايتها ... ذنبٌ فما الذنبُ إلاّ ذنب جانيها[1]

ولا شكّ أنَّ صبيّاً مهما بلغ من النضج لا يمكنه أن يحدّد الموضوع هذا التحديد الفقهي الجامع ما لم يكن فوق مستوى أقرانه من الفطنة والذكاء والإحاطة الكافية بالفقه والشريعة، وما لم يكن علمه إلهامياً كعلم الأنبياء والأوصياء.

٢ – وعن أبي عاصم، عن الرضا عليه السلام، قال: إنّ موسى بن جعفر عليهما السلام تكلّم يوماً بين يدي أبيه عليه السلام فأحسن، فقال له: يا بني، الحمد لله الذي جعلك خلفاً من الآباء، وسروراً من الأبناء، وعوضاً عن الأصدقاء[2].

٣ – وعن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم، في خبر النصراني الذي أسلم على يديه عليه السلام، قال مطران عليا دمشق واصفاً الإمام الكاظم عليه السلام ومرشداً النصراني إليه: وإن كنت تريد علم الإسلام، وعلم التوراة، وعلم الإنجيل، وعلم الزبور، وكتاب هود، وكلّ ما أُنزل على نبيّ من الأنبياء في دهرك ودهر غيرك، وما أُنزل من خبر فعلمه أحد أو لم يعلم به أحد، فيه تبيان كلّ شيء، وشفاء للعالمين، وروح لمن استروح إليه، وبصيرة لمن أراد الله به خيراً، وأنس إلى الحقّ، فأُرشدك إليه، فائته ولو مشياً على رجليك، فإن لم تقدر فحبواً على ركبتيك... الخبر[3].

ثانياً – العبادة والتهجّد:

لقد ترعرع الإمام الكاظم عليه السلام في مهد العبادة والطاعة والزهد، ودرج في بيت القداسة والتقوى، حتّى صار مثالاً يقتدى به، حيث أجمع أغلب المترجمين له على أنّه كان أعبد أهل زمانه، حتّى لُقّب بالعبد الصالح لشدّة انقطاعه إلى ربّه واجتهاده في العبادة والتقوى، ولُقّب بزين المجتهدين، إذ لم يُرَ أحدٌ نظيراً له في الطاعة والعبادة.

وفيما يلي نورد بعض الأقوال والأحاديث الدّالّة على عبادته وتقواه عليه السلام:

---

(١) الكافي/ ٣/ ١٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام/ ٢/ ١٢٧ .

(٣) الكافي/ ١/ ٤٧٨ .

١ – قال الخطيب البغدادي: أخبرنا الحسن بن أبي بكر، أخبرنا الحسن ابن محمد بن يحيى العلوي، حدّثني جدي، قال: كان موسى بن جعفر يُدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده. روى أصحابنا أنّه دخل مسجد رسول الله ﷺ فسجد سجدة في أوّل الليل، وسُمع وهو يقول في سجوده: «عظيمٌ الذنب عندي فليحسن العفو عندك، يا أهل التقوى، ويا أهل المغفرة»، فجعل يردّدها حتّى أصبح[١].

٢ – عن الحسن بن أبي بكر، أخبرنا الحسن بن محمد العلوي، حدّثني جدي، حدّثني عمّار بن أبان، قال: حُبِس أبو الحسن موسى بن جعفر عند السندي، فسألته أُخته أن تتولى حبسه – وكانت تتديّن – ففعل، فكانت تلي خدمته، فحكي لنا أنّها قالت: كان إذا صلّى العتمة حمد الله ومجّده ودعاه، فلم يزل كذلك حتّى يزول الليل، فإذا زال الليل قام يصلي حتّى يصلي الصبح، ثمّ يذكر قليلاً حتّى تطلع الشمس، ثمّ يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثمّ يتهيّأ ويستاك ويأكل، ثمّ يرقد إلى قبل الزوال، ثمّ يتوضّأ ويصلي حتّى يصلّي العصر، ثمّ يذكر في القبلة حتّى يصليّ المغرب، ثمّ يصلي العشاء ما بين المغرب والعتمة، فكان هذا دأبه، فكانت أُخت السندي إذا نظرت إليه قالت: خاب قومٌ تعرّضوا لهذا الرجل، وكان عبداً صالحاً[٢]. وقد ترك هذا أثراً في حفيدها – وهو كشاجم شاعر أهل البيت عليهم السلام –.

٣ – قال الشيخ المفيد (رحمه الله): كان أبو الحسن عليه السلام أعبد أهل زمانه، وأفقههم، وأسخاهم كفّاً، وأكرمهم نفساً.

٤ – روى الشيخ الصدوق (رحمه الله) بالإسناد عن عبد الله القروي أنّه قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح، فقال لي: ادنُ، فدنوت حتّى حاذيته، ثمّ قال لي: أشرف على البيت في الدار، فأشرفت، فقال: ما ترى في البيت؟ قلت: ثوباً مطروحاً، فقال: انظر حسناً، فتأمّلت ونظرت، فقلت: رجلاً ساجداً.

فقال لي: تعرفه؟ قلت: لا. قال: هذا مولاك، قلت: ومن مولاي؟ فقال: تتجاهل عليّ؟ فقلت: ما أتجاهل، ولكنيّ لا أعرف لي مولىً.

فقال: هذا أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، إنّي أتفقّده الليل والنهار فلم أجده في وقت من الأوقات إلاّ على الحال التي أُخبرك بها، إنّه يصلي الفجر فيعقّب ساعة في دبر صلاته إلى أن تطلع الشمس، ثمّ يسجد سجدةً فلا يزال ساجداً حتّى تزول الشمس، وقد وكّل من يترصّد له الزوال فلست أدري متى يقول الغلام: قد زالت الشمس، إذ يثب فيبتدئ بالصلاة من غير أن يجدّد وضوءاً، فاعلم أنّه لم ينم في سجوده ولا أغفى، فلا يزال كذلك إلى أن يفرغ من صلاة العصر.

---

(١) تأريخ بغداد/ ١٣/ ٢٧ .

(٢)المصدر نفسه/ ١٣/ ٣١ .

فإذا صلّى العصر سجد سجدة فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت الشمس وثب من سجدته فصلّى المغرب من غير أن يحدث حدثاً، ولا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يصليّ العتمة، فإذا صلّى العتمة أفطر على شويّ يؤتى به، ثمّ يجدّد الوضوء، ثمّ يسجد ثمّ يرفع رأسه، فينام نومة خفيفة، ثمّ يقوم فيجدّد الوضوء، ثمّ يقوم، فلا يزال يصليّ في جوف الليل حتّى يطلع الفجر، فلست أدري متى يقول الغلام: إنّ الفجر قد طلع، إذ قد وثب هو لصلاة الفجر، فهذا دأبه منذ حُوّل إليّ.

فقلت: اتّقِ الله ولا تحدثنّ في أمره حدثاً يكون منه زوال النعمة، فقد تعلم أنّه لم يفعل أحدٌ بأحد منهم سوءاً إلاّ كانت نعمته زائلة.

فقال: قد أرسلوا إليّ في غير مرّة يأمروني بقتله فلم أجبهم إلى ذلك، وأعلمتهم أنيّ لا أفعل ذلك، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني[١].

٥ – وعن هشام بن الأحمر، قال: كنت أسير مع أبي الحسن عليه السلام في بعض أطراف المدينة إذ ثنى رجله عن دابّته فخرّ ساجداً، فأطال وأطال، ثمّ رفع رأسه وركب دابّته، فقلت: جعلت فداك، قد أطلت السجود! فقال: إنّني ذكرت نعمة أنعم الله بها عليّ فأحببتُ أن أشكر ربيّ[٢].

ثالثاً – الزهد:

كان الإمام الكاظم عليه السلام في طليعة الزاهدين في الدنيا والمعرضين عن نعيمها وزخارفها، فقد اتّجه إلى الله ورغب فيما أعدّه له في دار الخلود من النعيم والكرامة، وكان عليه السلام دوماً يتلو على أصحابه سيرة أبي ذرّ الصحابي العظيم الذي ضرب المثل الأعلى لنكران الذات والتجرّد عن الدنيا والزهد في ملاذها، فقال عليه السلام: رحم الله أبا ذرّ، فلقد كان يقول: جزى الله الدنيا عنيّ مذمّة بعد رغيفين من الشعير أتغدّى بأحدهما وأتعشّى بالآخر، وبعد شملتي الصوف أتّزر بإحداهما وأرتدي بالأُخرى[٣].

وفيما يلي نورد بعض ما جاء من سيرته الدالّة على زهده وإعراضه عن الدنيا:

---

(١) عيون الأخبار/ ١/ ١٠٦ .
(٢) الكافي/ ٢ / ٩٨ .
(٣) المصدر نفسه / ٢/ ١٣٤ .

عن إبراهيم بن عبد الحميد، قال: دخلت على أبي الحسن الأوّل عليه السلام في بيته الذي يصلّي فيه، فإذا ليس في البيت إلاّ خصفة وسيف معلّق[١]. وهذا يدلّ على منتهى الزهد وغاية البساطة في حياة الإمام عليه السلام، فقد كان بيته بسيطاً ولا يحتوي على شيء من الأمتعة البسيطة التي تضمّها بيوت الفقراء، وقد كانت تُجبى له الأموال الطائلة والحقوق الشرعية من مختلف ديار الإسلام، وكان يملك اليسيرية وساية وغيرهما من الضياع والأراضي الزراعية في ساية ونقمى وسواهما التي تدرّ عليه الأموال الطائلة، فاختار عليه السلام أن ينفقها بسخاء على البائسين والمحرومين في سبيل الله وابتغاء مرضاته معرضاً عن الدنيا متجرّداً عن زخارفها.

رابعاً – الحلم:

كان الإمام الكاظم عليه السلام مضرب المثل في حلمه، وكظمه للغيظ، ومجازاة المسيئين إليه بالإحسان إليهم، قال الشيخ المفيد: وسمّي بالكاظم لما كظمه من الغيظ وصبر عليه من فعل الظالمين به حتّى مضى قتيلاً في حبسهم ووثاقهم[٢].

كان عليه السلام يصفح عمّن اعتدى عليه، ويعفو عمّن أساء إليه، ولم يكتفِ بذلك وإنّما كان يحسن لهم، ويغدق عليهم بالمعروف؛ ليمحو بذلك روح الشرّ والأنانية من نفوسهم، فقد روي أنّه كان يبلغه عن الرجل أنّه يؤذيه فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار[٣].

وكان عليه السلام يوصي أبناءه بالتحلّي بالحلم والصّفح عمّن أساء إليهم، فقد جاء في وصيّته لهم: «يا بنيّ، إنّي أُوصيكم بوصيّة من حفظها انتفع بها، إذا أتاكم آت فأسمَعَ أحدكم في الأُذن اليمنى مكروهاً ثمّ تحوّل إلى اليسرى فاعتذر لكم وقال: إنّي لم أقل شيئاً، فاقبلوا عذره».

وقد روى المؤرّخون مزيداً من الروايات في سعة حلمه وكظمه للغيظ ومقابلته الإساءة بالإحسان، منها:

١ – روى الحسن بن محمد بن يحيى العلوي، عن جدّه يحيى بن الحسن، عن غير واحد من أصحابه، أنَّ رجلاً من ولد عمر بن الخطّاب كان بالمدينة يؤذيه ويشتم علياً، قال: وكان قد قال له بعض جلسائه: دعنا نقتله، فنهاهم عن ذلك أشدّ النهي، وزجرهم أشدّ الزجر، وسأل عن العمري: فذُكِر له أنّه يزدرع بناحية من نواحي المدينة، فركب إليه في مزرعته فوجده فيها، فدخل المزرعة بحماره فصاح به العمري: لا تطأ زرعنا، فوطئه بالحمار حتّى وصل إليه،

(١) البحار/ ٤٨ / ١٠٠ .
(٢) الارشاد/ ٢ / ٢٣٥ .
(٣)دلائل الإمامة / ١٤٨ .

فنزل فجلس عنده وضاحكه، وقال له: كم غرمت في زرعك هذا؟ قال له: مائة دينار. قال: فكم ترجو أن يصيب؟ قال: أنا لا أعلم الغيب. قال: إنّما قلت لك: كم ترجو أن يجيئك فيه؟ قال: أرجو أن يجيئني مائتا دينار. قال: فأعطاه ثلاثمائة دينار، وقال: هذا زرعك على حاله. قال: فقام العمري فقبّل رأسه وانصرف، قال: فراح إلى المسجد فوجد العمري جالساً، فلمّا نظر إليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالته. قال: فوثب أصحابه فقالوا له: ما قصّتك؟ قد كنت تقول خلاف هذا! قال: فخاصمهم وشاتمهم، قال: وجعل يدعو لأبي الحسن موسى عليه السلام كلّما دخل وخرج.

قال: فقال أبو الحسن موسى لجلسائه الذين أرادوا قتل العمري: أيّما كان خير، ما أردتم أو ما أردت أن أُصلح أمره بهذا المقدار الذي عرفتم وكفيت به شرّه؟ [١].

٢ - عن حمّاد بن عيسى، قال: بينا موسى بن عيسى في داره التي في المسعى يشرف على المسعى، إذ رأى أبا الحسن موسى عليه السلام مقبلاً من المروة على بغلة، فأمر ابن هياج رجلاً من همدان منقطعاً إليه أن يتعلّق بلجامه ويدّعي البغلة، فأتاه فتعلّق باللجام وادّعى البغلة، فثنى أبو الحسن عليه السلام رجله فنزل عنها وقال لغلمانه: خذوا سرجها عنها وادفعوها إليه[٢].

٣ - قال ابن أبي الحديد: روي أنّ عبداً لموسى بن جعفر عليه السلام قدّم إليه صحفة فيها طعام حار، فعجّل فصبّها على رأسه ووجهه، فغضب فقال له: **(وَالكاظِمِينَ الغَيْظَ)**، قال: قد كظمت. قال: **(وَالعافِينَ عَنِ النَّاسِ)**، قال: قد عفوت. قال: **(وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ)**، قال: أنت حرّ لوجه الله، وقد نحلتك ضيعتي الفلانية[٣].

خامساً - الكرم والصدقات:

من المظاهر البارزة في سيرة الإمام عليه السلام كرمه وسخاؤه وبرّه ومعروفه، إذ يجد المتصفّح لتأريخه عليه السلام صوراً فريدة من الجود والإحسان قلَّما يجد نظيراً لها إلاّ عند آبائه المعصومين عليهم السلام الذين ضربوا أسمى وأروع الأمثلة في مكارم الأخلاق.

وقد أجمع المؤرّخون أنّه عليه السلام أنفق جميع ما عنده على البائسين والمحرومين لينقذهم من كابوس الفقر وجحيم البؤس، فكان عليه السلام لا يرى للمال أدنى قيمة حتّى يشبع به جائعاً أو يكسو به عارياً، وكان عليه السلام يبذل عن طيب نفس وبداعي التقرّب إلى الله تعالى والخير والإحسان، ولم يبتغِ من أحد جزاءً ولا شكوراً، حتّى إنّه كان عليه السلام في صدقاته

(١) تأريخ بغداد / ١٣/ ٢٨ .
(٢) الكافي ٨ : ٨٦ .
(٣) شرح نهج البلاغة ١٨ : ٤٦ . والآية من سورة آل عمران : ١٣٤ .

وبرّه يتوخّى الكتمان وعدم الذيوع لئلّا يشاهد على الفقير ذلّة الحاجة ملتمساً بذلك وجه الله ورضاه، وقد أعال بهباته وصِلاته الخفيّة فقراء المدينة دون أن يعلموا من أيّ جهة تصلهم إلّا بعد حبسه وشهادته ﷺ، فكانت صدقاته ﷺ كصدقات آبائه معروفاً من غير سؤال وسرّاً من غير إعلان.

وكان ﷺ يوصي أصحابه ويحثّهم على التحلي بالسخاء، قال ﷺ: «السخيّ الحسن الخلق في كنف الله، لا يستخلي الله عنه حتّى يدخله الجنّة، وما بعث الله عزّ وجلّ نبياً إلاّ سخياً، وما زال أبي يوصيني بالسخاء حتّى مضى...»[١].

وفيما يلي نورد طرفاً من أقوال وروايات المؤرّخين عن كرمه وسخائه ﷺ:

١ – قال ابن الصبّاغ: "كان موسى الكاظم ﷺ أعبد أهل زمانه، وأعلمهم، وأسخاهم كفًّا، وأكرمهم نفسًا، وكان يتفقّد فقراء المدينة ويحمل إليهم الدراهم والدنانير إلى بيوتهم والنفقات، ولا يعلمون من أيّ جهة وصلهم ذلك، وما علموا بذلك إلاّ بعد موته ﷺ "[٢].

٢ – قال الخطيب البغدادي: كان سخياً كريماً، وكان يبلغه عن الرجل أنّه يؤذيه فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار، وكان يصرّ الصرر ثلاثمائة دينار، وأربعمائة دينار، ومائتي دينار، ثمّ يقسّمها بالمدينة، وكان مثل صرر موسى بن جعفر ﷺ إذا جاءت الإنسان الصرّة فقد استغنى[٣].

٣ – وعن محمد بن عبد الله البكري، قال: قدمت المدينة أطلب بها ديناً فأعياني، فقلت: لو ذهبت إلى أبي الحسن موسى بن جعفر فشكوت ذلك إليه، فأتيته بنَقَمى[٤] في ضيعته، فخرج إليَّ ومعه غلام له معه مَنسَف فيه قَديد مُجَزّع[٥] ليس معه غيره، فأكل وأكلت معه، ثمّ سألني عن حاجتي، فذكرت له قصّتي، فدخل فلم يُقِم إلّا يسيراً حتّى خرج إليّ، فقال لغلامه: اذهب. ثمّ مدّ يده إليّ، فدفع إليّ صرّة فيها ثلاثمائة دينار، ثمّ قام فولّى، فقمت فركبت دابّتي وانصرفت[٦].

---

(١) الكافي/ ٤/ ٣٩ .
(٢) الفصول المهمّة / ٢٣٤ .
(٣) تأريخ بغداد/ ١٣/ ١٧ .
(٤) نقمى : موضع من أعراض المدينة كان لآل أبي طالب .
(٥) المنسف / ما يفرّق به الطعام ، والقديد : اللحم المملوح المجفّف في الشمس ، والمجزّع: المقطّع .
(٦) روضة الواعظين / ٢١٥ .

سادساً – التَّواضع:

لقد بلغ الإمام الكاظم عليه السلام من رقّة الحاشية والتواضع حتّى أصبح حديث أهل زمانه، على الرغم ممّا كان يحوطه من الوقار الذي يفرض احترامه وهيبته على الناس عفواً، وهذا الوقار وذاك التواضع المقرون بالهيبة والتجليل بين صفوف الناس هما من جملة الأسباب التي أثارت تخوّف هارون الرشيد من إقبال الناس عليه. قال أبو العلاء المعرّي في قصيدة يرثي بها حفيد الإمام أبا أحمد الموسوي والد الشريفين الرضي والمرتضى:

ويُخــالُ موسى جدّكم لجلالــه في النفس صاحب سورة الأعراف[1].

ومن الأخبار الدالّة على تواضعه وبساطته عليه السلام ما رواه الحرّاني في «تحف العقول»، قال: روي أنّه مرّ برجل من أهل السواد دميم المنظر، فسلّم عليه، ونزل عنده، وحادثه طويلاً، ثمّ عرض عليه السلام عليه نفسه في القيام بحاجة إن عرضت له، فقيل له: يا بن رسول الله، أتنزل إلى هذا، ثمّ تسأله عن حوائجه، وهو إليك أحوج؟ !

فقال عليه السلام: عبدٌ من عبيد الله، وأخٌ في كتاب الله، وجارٌ في بلاد الله، يجمعنا وإيّاه خير الآباء آدم عليه السلام، وأفضل الأديان الإسلام، ولعلّ الدهر يردّ من حاجاتنا إليه، فيرانا بعد الزهو عليه متواضعين بين يديه، ثمّ قال عليه السلام:

نواصل من لا يستحقّ وصالنا مخافة أن نبقى بغير صديق[2].

وفي هذا الخبر موعظةٌ جليلة وحكمةٌ بالغة تدلّ على سماحة الإمام عليه السلام ورحمته، وهو مصداق قوله تعالى: **(أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)**[3].

سابعاً – الإرشاد والتوجيه:

لقد كان الإمام عليه السلام يحرص على إرشاد الناس إلى الحقّ وهدايتهم إلى الصواب وفعل الخير، ويدلّهم على التقوى والعمل الصالح ويحذّرهم لقاء الله واليوم الآخر، فقد سمع رجلاً يتمنّى الموت، فانبرى عليه السلام له قائلاً: هل بينك وبين الله قرابة يحابيك لها؟ قال: لا. قال عليه السلام: فأنت إذن تتمنّى هلاك الأبد[4].

وكان عليه السلام يدعو الناس إلى الإصلاح بمكارم أخلاقه وحسن سيرته وتواضعه وإحسانه، وببركة إرشاده

---

(١) سقط الزند/ ٣٦ .
(٢)تحف العقول/ ٤١٣ .
(٣) سورة المائدة / الآية: ٥٤ .
(٤) بحار الأنوار / ٧٨/ ٣٢٧ .

ووعظه استطاع أن ينقذ جماعة ممّن أغرتهم الدنيا وجرفتهم متاهاتها، فتركوا ما هم فيه من الغيّ والضلال وصاروا من عيون المؤمنين، وسنذكر بعض نصائحه الرفيعة وإرشاداته القيّمة الحافلة بالتوجيه والنصح في باب حكمه ومواعظه عليه السلام، وفيما يلي نذكر بعض النوادر التي ذكرها المؤرّخون في هذا المجال:

١ - قال العلاّمة في «منهاج الكرامة» في سبب توبة بشر بن الحارث المروزي المعروف ببشر الحافي[١]: إنّه اجتاز مولانا الإمام موسى بن جعفر عليه السلام على داره ببغداد فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب تخرج من تلك الدار، فخرجت جارية وبيدها قمامة، فرمت بها في الدرب، فقال عليه السلام لها: يا جارية، صاحب هذه الدار حرّ أم عبد؟ فقالت: بل حرّ. فقال: صدقتِ لو كان عبداً خاف من مولاه. فلمّا دخلت قال مولاها وهو على مائدة السكر: ما أبطأكِ؟ فقالت: حدّثني رجلٌ بكذا وكذا، فخرج حافياً حتّى لقي مولانا الكاظم عليه السلام، فتاب على يده، واعتذر وبكى لديه استحياءً من عمله[٢].

٢ - نقل ابن شهرآشوب عن كتاب «الأنوار»، قال العامري: إنّ هارون الرشيد أنفذ إلى موسى بن جعفر جارية حصيفة(٣)، لها جمال ووضاءة لتخدمه في السجن، فقال [للخادم] : قل له: (بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحونَ)[٤] لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها.

قال: فاستطار هارون غضباً وقال: ارجع إليه وقل له: ليس برضاك حبسناك، ولا برضاك أخدمناك، واترك الجارية عنده وانصرف.

قال: فمضى ورجع، ثمّ قام هارون عن مجلسه، وأنفذ الخادم إليه ليتفحّص عن حالها، فرآها ساجدةً لربّها لا ترفع رأسها، تقول: قدّوس، سبحانك سبحانك! فقال هارون: سحرها والله موسى بن جعفر بسحره[٥]، علّي بها...[٦].

---

(١) هو أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن المروزي البغدادي ، العارف الزاهد المشتهر، أحد أركان رجال الطريقة ، قيل : إنّه كان من أولاد الرؤساء والكتّاب، وكان من أهل المعازف والملاهي فتاب، ونُقل في سبب توبته جملة أخبار منها ما ذكرناه، ونُقِل عنه كلمات رائعة في الحكمة وأشعار في الزهد، أُنظر تأريخ بغداد ٧ : ٦٧ .

(٢)روضات الجنّات/ ٢ : ١٣٠ .

(٣) أي جيّدة الرأي محكمة العقل .

(٤) سورة النمل/ الآية : ٣٦ .

(٥) هذا هو شأن الطواغيت يجعلون الهداية سحراً .

(٦) بحار الأنوار/ ٤٨ / ٢٣٨ .

٣ – عن محمد الرافعي، قال: كان لي ابن عمّ يقال له الحسن بن عبد الله، وكان زاهداً، وكان من أعبد أهل زمانه، وكان يتّقيه السلطان لجدّه في الدين واجتهاده، وربما استقبل السلطان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يغضبه، فكان يحتمل ذلك له لصلاحه، فلم تزل هذه حاله حتّى دخل يوماً المسجد وفيه أبو الحسن موسى عليه السلام، فأومأ إليه فأتاه، فقال له: يا أبا علي، ما أحبّ إليّ ما أنت فيه وأسرّني به، إلاّ أنّه ليست لك معرفة، فاطلب المعرفة.

فقال له: جعلت فداك، وما المعرفة؟ قال: إذهب تفقّه، واطلب الحديث.

قال: عمّن؟ قال: عن فقهاء أهل المدينة، ثمّ اعرض عليّ الحديث.

قال: فذهب فكتب، ثمّ جاء فقرأه عليه فأسقطه كلّه، ثمّ قال له: اذهب فاعرف، وكان الرجل معنيّاً بدينه، قال: فلم يزل يترصّد أبا الحسن حتّى خرج إلى ضيعة له، فلقيه في الطريق فقال له: جعلت فداك، إنّي أحتجّ عليك بين يدي الله، فدلّني على ما تجب عليّ معرفته.

قال: فأخبره أبو الحسن عليه السلام بأمر أمير المؤمنين عليه السلام وحقّه وما يجب له، وأمر الحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد عليهم السلام، ثمّ سكت، فقال له: جعلت فداك، فمن الإمام اليوم؟ قال: إن أخبرتك تقبل؟ قال: نعم. قال: أنا هو، قال: فشيء أستدلّ به؟ قال: اذهب إلى تلك الشجرة – وأشار إلى بعض شجر أُمّ غيلان[1] فقل لها: يقول لك موسى بن جعفر: أقبلي. قال: فأتيتها فرأيتها والله تخدّ[2] الأرض خدّاً حتّى وقفت بين يديه، ثمّ أشار إليها بالرجوع فرجعت. قال: فأقرّ به، ثمّ لزم الصمت والعبادة، فكان لا يراه أحد يتكلّم بعد ذلك[3]. وهكذا هُدي الرجل إلى نهج الصواب واستبصر باعتناقه مذهب أهل البيت عليهم السلام الحقّ.

---

(١) أُمّ غيلان: من الأشجار عند العرب، وتسمّى أيضاً: السمرة .

(٢) تخدّ الأرض: تشقّها .

(٣) الكافي/ ١ / ٢٨٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم
قُلْ
لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ

شهـر شعبان المعظم

- مظاهر من شخصية الإمام الحسين عليه السلام
- رسالة الحقوق والإعلان العالمي لحقوق الإنسان "دراسة مقارنة"
- آية التطهير ومقام أبي الفضل العباس عليه السلام
- فلسفة الانتظار
- نحن من يعجّل الفرج
- أوصاف علي الأكبر عليه السلام

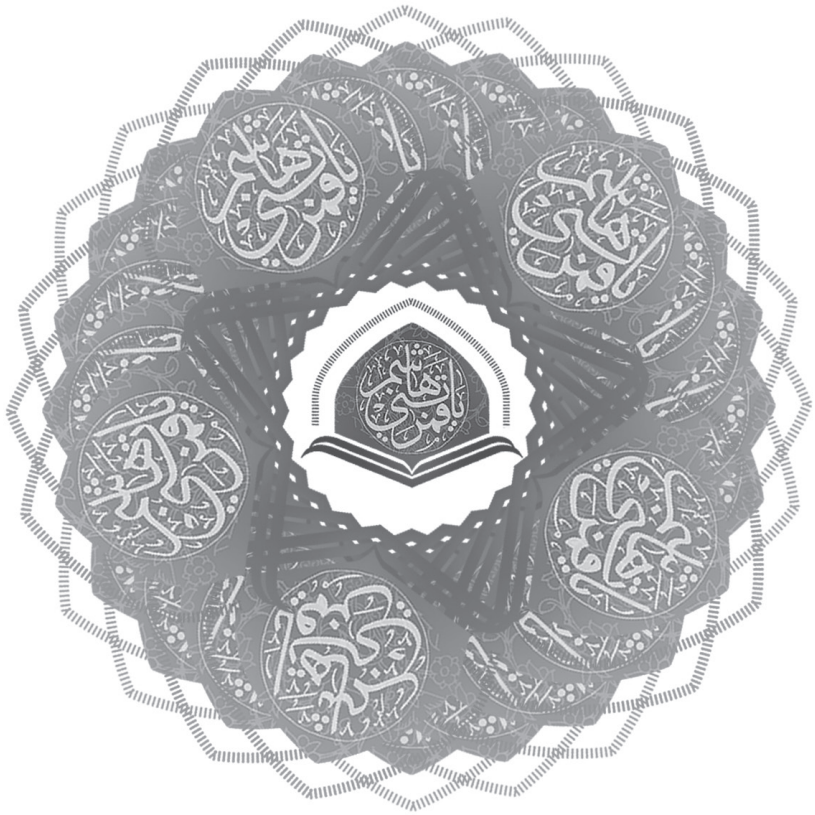

مظاهر من شخصية الإمام الحسين عليه السلام

السيد منذر الحكيم

ولد الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام في بيت كان محطّ الملائكة ومهبط التنزيل، في بقعة طاهرة تتصل بالسّماء طوال يومها بلا انقطاع، وتتناغم مع أنفاسه آيات القرآن التي تُتلى آناء الليل والنهار، وترعرع بين شخصيّات مقدّسة تجلّلت بآيات الله، ونهل من نمير الرسالة عذب الارتباط مع الخالق، وصاغ لبنات شخصيته نبي الرحمة صلى الله عليه وآله بفيض مكارم أخلاقه وعظمة روحه.

فكان الإمام الحسين عليه السلام صورة للنبي محمّد صلى الله عليه وآله في أُمتّه، يتحرّك فيها على هدى القرآن، ويتحدّث بفكر الرسالة، ويسير على خُطى جدّه العظيم ليبيّن مكارم الأخلاق، ويرعى للأُمّة شؤونها، ولا يغفل عن هدايتها ونصحها ونصرتها، جاعلاً من نفسه المقدّسة أُنموذجاً حيّاً لما أرادته الرسالة والرسول؛ فكان عليه السلام نور هدىً للضالّين، وسلسبيلاً عذباً للراغبين، وعماداً يستند إليه المؤمنون، وحجّة يركن إليها الصّالحون، وفيصل حقّ إذ يتخاصم المسلمون، وسيف عدل يغضب لله ويثور من أجل الله، وحين نهض كان بيده مشعل الرسالة الذي حمله جدّه النبي صلى الله عليه وآله يدافع عن دينه ورسالته العظيمة.

ومن الإمعان في شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام الفذّة نتلمّس المظاهر التالية:

تواضعه عليه السلام

جُبل أبو عبد الله الحسين عليه السلام على التواضع، وهو صاحب النّسب الرفيع، والشّرف العالي، والمنزلة الخصيصة لدى الرّسول صلى الله عليه وآله، فكان عليه السلام يعيش في الأُمّة لا يأنف من فقيرها، ولا يترفّع على ضعيفها، ولا يتكبّر على أحد فيها.

يقتدي بجدّه العظيم المبعوث رحمةً للعالمين، يبتغي بذلك رضا الله وتربية الأُمّة، وقد نُقلت عنه عليه السلام مواقف كثيرة تعامل فيها مع سائر المسلمين بكلّ تواضع، مُظهراً سماحة الرسالة ولطف شخصيّته الكريمة، ومن ذلك:

إنّه عليه السلام قد مرّ بمساكين وهم يأكلون كسراً (خبزاً يابساً) على كساء، فسلّم عليهم، فدعوه إلى طعامهم فجلس معهم، وقال: «لولا أنّه صدقة لأكلت معكم». ثمّ قال: «قوموا إلى منزلي»، فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم.

وروي: أنّه عليه السلام مرّ بمساكين يأكلون في الصُّفَة، فقالوا: الغداء. فقال عليه السلام: «إنَّ الله لا يُحبّ المتكبّرين». فجلس وتغدّى معهم، ثمّ قال لهم: «قد أجبتكم فأجيبوني». قالوا: نعم. فمضى بهم إلى منزله وقال لزوجته: «أخرجي ما كنتِ تدّخرين»[1].

حلمه وعفوه عليه السلام

تأدّب الحسين السّبط عليه السلام بآداب النبوّة، وحمل روح جدّه الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله يوم عفا عمّن حاربه ووقف ضدّ الرسالة الإسلاميّة، لقد كان قلبه يتّسع لكلّ النّاس، وكان حريصاً على هدايتهم متغاضياً في هذا السبيل عن إساءة جاهلهم، يحدوه رضى الله تعالى، يقرّب المذنبين ويطمئنهم، ويزرع فيهم الأمل برحمة الله، فكان لا يردّ على مسيء إساءة، بل يحنو عليه ويرشده إلى طريق الحقّ وينقذه من الضلال.

فقد روي عنه عليه السلام أنّه قال: «لو شتمني رجل في هذه الأُذن -وأومأ إلى اليمنى- واعتذر لي في اليسرى لقبلت ذلك منه؛ وذلك أنَّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حدّثني أنّه سمع جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يرد الحوض مَنْ لم يقبل العذر من محقّ أو مبطل»[2].

كما روي أنّ غلاماً له جنا جنايةً كانت توجب العقاب، فأمر بتأديبه، فانبرى العبد قائلاً: يا مولاي، والكاظمين

(١) تفسير البرهان/ ٢ / ٣٦٣.
(٢) إحقاق الحقّ/ ١١ / ٤٣١.

الغيظ. فقال عليه السلام: «خلّوا عنه». فقال: يا مولاي، والعافين عن النّاس. فقال عليه السلام: «قد عفوت عنك». قال: يا مولاي، والله يحبّ المحسنين. فقال عليه السلام: «أنت حرّ لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك»[١].

جوده وكرمه عليه السلام

وبنفس كبيرة كان الإمام الحسين بن علي عليهما السلام يعين الفقراء والمحتاجين، ويحنو على الأرامل والأيتام، ويثلج قلوب الوافدين عليه، ويقضي حوائج السّائلين من دون أن يجعلهم يشعرون بذلّ المسألة، ويصل رحمه دون انقطاع، ولم يصله مال إلاّ فرّقه وأنفقه، وهذه سجيّة الجواد وشنشنة الكريم وسمة ذي السّماحة.

فكان يحمل في دجى الليل البهيم جراباً مملوءاً طعاماً ونقوداً إلى منازل الأرامل واليتامى حتّى شهد له بهذا الكرم معاوية بن أبي سفيان، وذلك حين بعث لعدّة شخصيات بهدايا، فقال متنبّئاً: أمّا الحسين فيبدأ بأيتام مَنْ قُتل مع أبيه بصفّين، فإن بقي شيء نحر به الجزور وسقى به اللبن[٢].

وفي موقف مفعم باللّطف والإنسانيّة والحنان جعل العتق ردّاً للتحية، فقد روى عن أنس أنّه قال: كنت عند الحسين فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان فحيّته بها، فقال لها: «أنتِ حرّة لوجه الله تعالى».

وانبهر أنس وقال: جارية تحيئك بطاقة ريحان فتعتقها؟! فقال عليه السلام: «كذا أدّبنا الله، قال تبارك وتعالى: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** ... ﴾[٣]، وكان أحسن منها عتقها»[٤].

ومن كرمه وعفوه أنّه وقف عليه السلام ليقضي دين أُسامة بن زيد، وليفرّج عن همّه الذي كان قد اعتراه وهو في مرضه[٥]، رغم أنّ أُسامة كان قد وقف في الصفّ المناوئ لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

ووقف ذات مرّة سائل على باب الحسين عليه السلام وأنشد قائلاً:

لم يخب الآن مَنْ رجاك ومَن ... حرّك من دون بابك الحلقهْ

أنت جوادٌ وأنت معتمدٌ ... أبوك قد كان قاتل الفسقهْ

---

(١)كشف الغمّة ٢ / ٣١.

(٢)حياة الإمام الحسين ١ / ١٢٨.

(٣) سورة النساء/ الآية: ٨٦.

(٤) كشف الغمّة/ ٢ / ٣١.

(٥)بحار الأنوار/ ٤٤ / ١٨٩.

فأسرع إليه الإمام الحسين عليه السلام وما أن وجد أثر الفاقة عليه حتّى نادى بقنبر، وقال متسائلاً: «ما تبقّى من نفقتنا؟».

قال: مئتا درهم أمرتني بتفرقتها في أهل بيتك.

فقال عليه السلام: «هاتها فقد أتى مَنْ هو أحقّ بها منهم».

فأخذها ودفعها إلى السائل معتذراً منه، وأنشد قائلاً:

«خذها فإنّي إليك معتذرٌ ... واعلم بأنّي عليك ذو شفقهْ

لو كان في سيرنا الغداة عصاً ... أمست سمانا عليك مندفقهْ

لكنّ ريب الزمان ذو غِيرٍ ... والكفّ منّي قليلة النفقهْ»

فأخذها الأعرابي شاكراً وهو يدعو له عليه السلام بالخير، وأنشد مادحاً:

مطهّرون نقيّات جيوبهمُ ... تجري الصلاةُ عليهم أينما ذكروا

وأنتمُ أنتمُ الأعلون عندكمُ ... علمُ الكتاب وما جاءت به السورُ

مَنْ لم يكن علويّاً حين تنسبُه ... فما له في جميع النّاس مفتخرُ[1]

شجاعته عليه السلام

إنّ المرء ليعجز عن الوصف والقول حين يطالع صفحة الشّجاعة من شخصية الإمام الحسين عليه السلام؛ فإنّه ورثها عن آبائه وتربّى عليها ونشأ فيها، فهو من معدنها وأصلها، وهو الشّجاع في قول الحقّ والمستبسل للدفاع عنه، فقد ورث ذلك عن جدّه العظيم محمّد صلى الله عليه وآله الذي وقف أمام أعتا قوّة مشركة حتّى انتصر عليها بالعقيدة والإيمان والجهاد في سبيل الله تعالى.

ووقف مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام يُعيد الإسلام حاكماً، وينهض بالأُمّة في طريق دعوتها الخالصة، يُصارع قوى الضلال والانحراف بالقول والفعل وقوّة السّلاح؛ ليعيد الحقّ إلى نصابه.

ووقف مع أخيه الإمام الحسن عليه السلام موقف الأبطال المضحّين من أجل سلامة الأُمّة، ونجاة الصّفوة المؤمنة

(١) تأريخ ابن عساكر / ٤ / ٣٢٣.

المتمسّكة بنهج الرسالة الإسلاميّة.

ووقف صامداً حين تقاعست جماهير المسلمين عن نصرة دينها أمام جبروت معاوية وضلاله، وأزلامه والتيار الذي قاده لتشويه الدين القويم، ولم يخشَ كلّ التهديدات، ولا ما كان يلوح في الأُفق من نهاية مأساوية نتيجة الخروج لطلب الإصلاح، وإحياء رسالة جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله، والوقوف في وجه الظلم والفساد، فخرج وهو مسلّم لأمر الله وساع لابتغاء مرضاته، وها هو عليه السلام يردُّ على الحرّ بن يزيد الرياحي حين قال له: أذكّرك الله في نفسك؛ فإنّي أشهد لئن قاتلت لتُقتلنّ، ولئن قوتلت لتهلكنّ.

فقال له الإمام أبو عبد الله عليه السلام: «أبالموت تخوّفني؟! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟! ما أدري ما أقول لك، ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا مـا نوى خـيراً وجاهد مسـلما

وواسـى رجـالاً صالحين بنفسـه ... وخالـف مثبـوراً وفـارق مجرمـا

فإنْ عشـت لم أندم وإنْ مـتّ لم أُلَم ... كفى بـك ذلاً أن تعيـش وتُرغما»[1]

ووقف عليه السلام يوم الطفّ موقفاً حيّر به الألباب وأذهل به العقول، فلم ينكسر أمام جليل المصاب حتّى عندما بقي وحيداً، فقد كان طوداً شامخاً لا يدنو منه العدوّ هيبةً وخوفاً رغم جراحاته الكثيرة حتّى شهد له عدوّه بذلك، فقد قال حميد بن مسلم: فوالله، ما رأيت مكثوراً قطّ قد قُتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناناً منه؛ إن كانت الرجّالة لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه فيكشفهم عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا اشتدّ عليها الذئب[2].

إباؤه عليه السلام

لقد تجلّت صورة الثائر المسلم بأبهى صورها وأكملها في إباء الإمام الحسين عليه السلام ورفضه للصبر على الحيف والسّكوت على الظلم، فسنّ بذلك للأجيال اللاحقة سنّة الإباء والتضحية من أجل العقيدة وفي سبيلها، حين وقف ذلك الموقف الرسالي العظيم يهزّ الأُمّة ويشجّعها أن لا تموت هواناً وذلاً، رافضاً بيعة الطليق ابن الطليق يزيد بن معاوية قائلاً: «إنّ مثلي لا يبايع مثله».

---

(١) تأريخ الطبري ٤ / ٢٥٤.

(٢) أعلام الورى ١ / ٤٦٨ .

وها هو يصرّح لأخيه محمّد بن الحنفيّة مجسّداً ذلك الإباء بقوله عليه السلام: «يا أخي، والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية»[١].

ورغم أنّ الشيطان كان قد استحكم على ضمائر النّاس فأماتها حتّى رضيت بالهوان، لكن الإمام الحسين عليه السلام وقف صارخاً بوجه جحافل الشرّ والظلم من جيوش الردّة الأُموية قائلاً: «والله، لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ إقرار العبيد، إنّي عذت بربّي وربّكم أن ترجمون»[٢].

لقد كانت كلمات الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام تعبّر عن أسمى مواقف أصحاب المبادئ والقيم وحملة الرسالات، كما تنمّ عن عزّته وإعتداده بالنفس، فقد قال عليه السلام: «ألا وإنّ الدعيَّ ابن الدعيَّ قد ركز بين اثنتين؛ بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلة! يأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأُنوف حميّة، ونفوس أبيّة من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»[٣].

وهكذا علّم الإمام الحسين عليه السلام البشرية كيف يكون الإباء في المواقف، وكيف تكون التضحية من أجل الرسالة.

الصراحة والجرأة بالحقّ

لقد كانت نهضة الإمام الحسين عليه السلام وثورته بركاناً تفجّر في تأريخ الرسالة الإسلاميّة، وزلزالاً صاخباً أيقظ ضمير المتقاعسين عن نصرة الحقّ، والكلمة الطيبة التي دعت كلّ الثائرين والمخلصين للعقيدة والرسالة الإسلاميّة إلى مواصلة المسيرة في بناء المجتمع الصالح وفق ما أراده الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله.

وقد نهج الإمام الحسين عليه السلام منهج الصراحة والمكاشفة، موضّحاً للأُمّة الخلل والزيغ والطريق الصحيح، فها هو بكلّ جرأة يقف أمام الطّاغية يحذّره ويمنعه عن التمادي في الغيّ والفساد... فهذه كتبه عليه السلام إلى معاوية واضحة لا لبس فيها ينذره ويحذّر من الاستمرار في ظلمه، ويكشف للأُمّة مدى ضلالته وفساده[٤].

وبكلّ صراحة وقوّة رفض البيعة ليزيد بن معاوية، وقال -موضّحاً للوليد ابن عتبة حين كان والياً ليزيد-: «إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحلّ الرحمة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد فاسق فاجر،

(١) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٢٩.
(٢) مقتل الحسين - للمقرّم / ٢٨٠.
(٣) الاحتجاج ٢ / ٢٤.
(٤) الإمامة والسياسة/ ١ / ١٨٩ و ١٩٥.

شارب للخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله»[١].

وكانت صراحته ساطعة مع أصحابه ومَنْ أعلن عن نصرته، ففي أثناء المسير باتّجاه الكوفة وصله نبأ استشهاد مسلم بن عقيل وخذلان النّاس له، فقال عليه السلام للذين اتّبعوه طلباً للعافية: «قد خذلنا شيعتنا، فمَنْ أحبّ منكم الانصراف فلينصرف غير حرج، ليس عليه ذمام»[٢].

فتفرّق عنه ذوو الأطماع وضعاف اليقين، وبقيت معه الصفوة الخيّرة من أهل بيته وأصحابه، ولم يخادع ولم يداهن في الوقت الذي كان يعزّ فيه الناصر.

وقبل وقوع المعركة أذن لكلّ مَنْ كان قد تبعه من المخلصين في الانصراف عنه قائلاً: «إنّي لا أعلم أصحاباً أصحّ منكم ولا أعدل، ولا أفضل أهل بيت، فجزاكم الله عنّي خيراً. فهذا الليل قد أقبل، فقوموا واتّخذوه جملاً، وليأخذ كلّ رجل منكم بيد صاحبه، أو رجل من إخوتي، وتفرّقوا في سواد هذا الليل، وذروني وهؤلاء القوم؛ فإنّهم لا يطلبون غيري، ولو أصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم»[٣].

والحقّ أنّ مَنْ يطالع كلّ تفاصيل نهضة الإمام الحسين عليه السلام سيجد الصّدق والصّراحة، والجرأة في كلّ قول وفعل في جميع خطوات نهضته المباركة.

عبادته وتقواه عليه السلام

ما انقطع أبو عبد الله الحسين عليه السلام عن الاتّصال بربّه في كلّ لحظاته وسكناته، فقد بقي يجسّد اتّصاله هذا بصيغة العبادة لله، ويوثّق العُرى مع الخالق جلّت قدرته، ويشدّ التضحية بالطاعة الإلهية متفانياً في ذات الله ومن أجله، وقد كانت عبادته ثمرة معرفته الحقيقية بالله تعالى.

وإنّ نظرة واحدة إلى دعائه عليه السلام في يوم عرفة تُبرهن على عمق هذه المعرفة وشدّة العلاقة مع الله تعالى، وننقل مقطعاً من هذا الدعاء العظيم:

قال عليه السلام: «كيف يُستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟! أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهِر لك؟! متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك؟! ومتى بعدت حتّى تكون الآثار هي التي

(١) بحار الأنوار ٤٤ / ٣٢٥.
(٢) الإرشاد ٢ / ٧٥.
(٣) أعيان الشيعة ١ / ٦٠٠.

توصل إليك؟! عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً...

إلهي هذا ذُلّي ظاهر بين يديك، وهذا حالي لا يخفى عليك. منك أطلب الوصول إليك، وبك استدلّ عليك، فاهدني بنورك إليك، وأقمني بصدق العبودية بين يديك ...

أنت الذي أشرقتَ الأنوار في قلوب أوليائك حتّى عرفوك ووحّدوك، وأنت الذي أزلتَ الأغيار عن قلوب أحبّائك حتّى لم يحبّوا سواك ولم يلجأوا إلى غيرك، أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم ...

ماذا وَجدَ مَنْ فقدك؟! وما الذي فقد مَنْ وجدك؟! لقد خاب مَنْ رضي دونك بَدلاً، ولقد خسر مَنْ بغى عنك مُتحوّلاً ...

يا مَنْ أذاق أحبّاءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملّقين، ويا مَنْ ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بين يديه مستغفرين ...»[١].

ولقد بدا عليه عظيم خوفه من الله وشدّة مراقبته له حتّى قيل له: ما أعظم خوفك من ربّك! فقال عليه السلام: «لا يأمن يوم القيامة إلاّ مَنْ خاف من الله في الدنيا»[٢].

صور من عبادته عليه السلام

إنّ العبادة لأهل بيت النبوّة عليهم السلام هي وجود وحياة، فقد كانت لذّتهم في مناجاتهم لله تعالى، وكانت عبادتهم له متّصلة في الليل والنهار وفي السرّ والعلن، والإمام الحسين عليه السلام -وهو أحد أعمدة هذا البيت الطاهر- كان يقوم بين يدي الجبّار مقام العارف المتيقّن والعالم العابد، فإذا توضّأ تغيّر لونه وارتعدت مفاصله، فقيل له في ذلك فقال عليه السلام: «حقّ لَمَنْ وقف بين يدي الجبّار أن يصفرّ لونه وترتعد مفاصله»[٣].

وحرص عليه السلام على أداء الصّلاة في أحرج المواقف، حتّى وقف يؤدّي صلاة الظهر في قمّة الملحمة في اليوم العاشر من المحرّم[٤] وجيوش الضلالة تحيط به من كلّ جانب وترميه من كلّ صوب.

وكان عليه السلام يخرج متذلّلاً لله ساعياً إلى بيته الحرام يؤدّي مناسك الحجّ بخشوع وتواضع، حتّى حجّ خمساً

(١) المنتخب الحسني للأدعية والزيارات / ٩٢٤ - ٩٢٥.
(٢) بحار الأنوار/ ٤٤ / ١٩٠.
(٣) جامع الأخبار / ٧٦.
(٤) ينابيع المودّة / ٤١٠.

وعشرين حجّة ماشياً على قدميه[١].

وقد اشتهرت بين محدّثي الشيعة ومختلف طبقاتهم مواقفه الخاشعة في عرفات أيّام موسم الحجّ، ومناجاته الطويلة لربّه وهو واقف على قدميه في ميسرة الجبل والناس حوله.

لقد كان عليه السلام كثير البرّ والصدقة، فقد روي أنّه ورث أرضاً وأشياء فتصدّق بها قبل أن يقبضها، وكان يحمل الطعام في غلس الليل إلى مساكين أهل المدينة، لم يبتغِ بذلك إلاّ الأجر من الله والتقرب إليه[٢].

(١) سير أعلام النبلاء ٣ / ١٩٣.
(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام / ١ / ١٣٥.

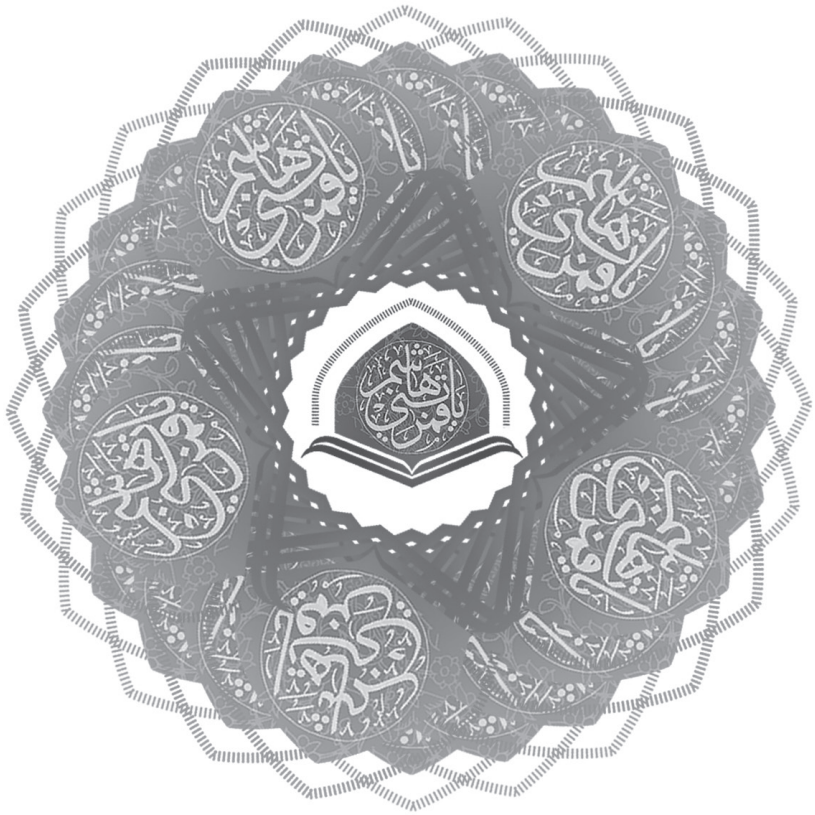

رسالة الحقوق والإعلان العالمي لحقوق الإنسان

"دراسة مقارنة"

الشيخ أنور أبو الحب

قال الحكيم في محكم كتابه الكريم وفصل خطابه: (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**)[١].

إنَّ هذا التكريم والتفضيل جاء بناءً على حكمة بالغة وهدف سام لعظم ما أعدَّه الله-سبحانه- لمخلوقه المفضل وهو الإنسان، لكونه خليفة الله في أرضه: (**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**)[٢].

إنَّ هذا الجعل الإلهي جاء لهدفٍ نبيلٍ؛ لكي يقوم الإنسان بإعمار الأرض التي جعل فيها خليفة الله -سبحانه- خالقها ومالكها (.. **هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ**)[٣] وإذا عمرها الإنسان الهدف من ذلك لينعم فيها ويجعلها طريقًا يرشده إلى الحياة الأبدية الأخروية وتكون دنياه مزرعته لآخرته ؛لأنَّ الدنيا ساعة نتعارف فيها ونتركها حاملين أثقالنا التي احتطبناها على ظهورنا (**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**)[٤]

---

(١) سورة الإسراء / ٧٠.

(٢) سورة البقرة / ٣٠ .

(٣) سورة هود / ٦١.

(٤) سورة يونس / ٤٥.

وهذا من عدالة الله وإنصافه خلائقه بأن جعلهم أحرارًا في اختيارهم طريق آخرتهم عبر ساعات دنياهم الفانية بأن جعلهم على الطريق المستقيم والمحجة البيضاء بما جعل من دلائل ترشدهم إليه وأبرزها العقل، ومن دعوات الرسل والأنبياء ﷺ والذين بلغ عددهم مائة وأربعة وعشرين ألف نبي ومرسل **(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)**[١] كل ذلك مراعاة من الغني المقتدر لعبده الذي خلقه من أديم الأرض وجعل على ذاته المقدسة حقًّا لنصره **(ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ)**[٢] ولتمضي الأمور بحسب ما يتطلبه العقل والمنطق العقلي الذي به يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات الأرضية، عن أبي جعفر ﷺ قال: " لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال: وعزَّتي وجلالي ما خلقت خلقًا هو أحبّ إليَّ منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما أنِّي إياك آمر وإياك أنهى وإياك أعاقب وإياك أثيب " وعن صادق العترة – وكلهم صادقون ﷺ قال: " العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان "[٣] والغاية مما تقدَّم هو رضا الرحمن، وسعادة الإنسان في الدنيا، وسلامة طريقه إلى الآخرة، ولكي لا تشيع شريعة الغاب، وإن شاعت تلك الشريعة النكراء بين بني البشر مع وجود العقل ورسالات الأنبياء والمرسلين فيكون ذلك مصداق قوله تعالى: **(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)**[٤]وهذه الخسارة التي ما بعدها خسارة بل هو الجنون بعينه.

مرَّ رسول الله ﷺ بجمعٍ اجتمعوا على رجل ابتلي بعقله فقال: ماله ؟ فقيل: إنه مجنون، فقال: بل هو مصاب إنَّما المجنون من آثر الدنيا على الآخرة "[٥] ومما لا شكّ فيه ولا ريب بأنَّ جميع الأنبياء والمرسلين المخلصين الذين استخلصهم سبحانه وتعالى لنفسه ودينه مجتمعون على الدعوة للحق سبحانه وبدعوة الحق وجعل للأنبياء والمرسلين ﷺ أوصياء مستحفظًا بعد مستحفظٍ، من مدَّةٍ إلى مدَّة، إقامة لدين الحق، وحجة على العباد... فكان أئمة الهدى ﷺ الاستمرار الطبيعي لخطّ النبوّة الذي اختتم بأفضل الرسل محمدﷺ، فكانوا مثالًا حيًّا يطبّقون ما يدعون إليه على أنفسهم أوَّلاً ثم يدعون الناس لاتخاذهم مثلًا ومنارًا وسبيلًا يسيرون عليه، لقد كانوا جميعًا وهم نور واحد لا يدعون إلى عمل صالح إلَّا كانوا أوَّل العاملين به، ولا ينهون عن عمل طالح إلَّا كانوا أوَّل المنتهين عنه، كما أنَّ العزيز المقتدر قد جعل على نفسه الحق بنصر المؤمنين رغم غناه عن جميع مخلوقاته: **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ**

(١) سورة فاطر / ٣٥.
(٢) سورة يونس/ ١٠٣.
(٣) بحار الأنوار / ج ١ / ص ١١٦.
(٤)سورة الاعراف/ ١٧٩.
(٥) التفسير المعين/ ٥٤٧ .

قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)[١]فمن لطفه سبحانه ورأفته ورحمته جعل نفسه المقدسة تفيض على عباده بحقوق جعلها على نفسه رغم غناه عن كلِّ مخلوقاته، فهو سبحانه وتعالى الراعي والمانح الأوَّل للحقوق، وقد دعا رسله وأنبياءه وأولياءه وحتى سائر الناس أن يؤدّوا الحقوق التي عليهم، فالأنبياء راعون واعظون وسائر الناس متبعون لما جاء لهم عن طريق المرسلين، وهذه من نعم الله سبحانه التي لا تُعد ولا تُحصى: (**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ**)[٢].

إنَّ الدعاة الرّبَّانيين يبدو على دعواتهم الأدب فيقدمون الحق المطلق صاحب الأيدي والمنَّة الدَّائمة على مخلوقاته بإظهار حقّه سبحانه ويقدموها على سائر الحقوق ، لذلك تصدرت رسالة الحقوق لسيدنا وإمامنا علي بن الحسين عليه السلام زين العابدين ، حق الرب سبحانه إذ يقول:

١ – " اعلم أنَّ لله عز وجل عليك حقوقًا محيطة بك في كلِّ حركة تحرّكتها أو سكنة سكنتها أو حال حلتها أو منزلة نزلتها أو جارحة قلبتها أو آلة تصرّفت بها فأكبرحقوق الله تعالى عليك ما أوجب عليك لنفسه من حقّه الذي هو أصل الحقوق " [٣] فحق العبادة لله جل وعلا إظهار العبودية ومنتهى الشكر والحمد إنَّما ذلك لمنفعة المخلوقات ورفعة لهم: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**)[٤] وكل العبادة هي لمنفعتنا نحن العبيد؛ لنرتقي سبل النجاة صعودًا باتجاه رضوان الله سبحانه، ويكون الجزاء الجنة في الآخرة، والعيش الرغيد في الحياة الدنيا " فأمَّا حق الله الأكبر عليك فأن تعبده لا تشرك به شيئًا فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة"[٥].

٢ – ثم أوضح عليه السلام حقًّا للنفس التي هي سيّدة الجوارح وسائقها وقائدها إلى الخير بالصلاح أو مرديتها إلى الطالح من المصير حيث قال تعالى: (**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**)[٦] حيث يقول عليه السلام " وحقّ نفسك عليك أن تستعملها بطاعة الله عز وجل فتؤدِّي إلى لسانك حقه، وإلى

---

(١)سورة الروم / ٤٧ .
(٢) سورة لقمان / ٢٠ .
(٣) بحار الانوار / ٧١ ٤.
(٤) سورة الذاريات / ٥٦.
(٥)بحار الأنوار / ٧١ / ٣.
(٦) سورة الشمس/ ٧-١٠.

سمعك حقه، وإلى بصرك حقه، وإلى يدك حقها، وإلى رجلك حقها، وإلى بطنك حقه، وإلى فرجك حقه، وتستعين بالله على ذلك"[١] إنَّ الإمام عليه السلام أكَّد على حقوق الجوارح الدّنيوية؛ لأنَّها ستكون على الإنسان شهودَ عدلٍ يوم القيامة: (**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)[٢] و(**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**)[٣] و (**حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**)[٤] وشملها الإمام عليه السلام وبدأ بأخطرها وهو اللسان، " وحقّ اللسان إكرامه عن الخنا – السيء من القول –وتعويده الخير–: (**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ**)[٥] وترك الفضول التي لا فائدة فيها والبر بالناس وحسن القول فيهم].

و [حق السمع تنزيهه عن سماع الغيبة: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**)[٦] – وسماع ما لا يحل سماعه].

و [حق البصر أن تغمضه عما لا يحل لك: (**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**)[٧] وتعتبر بالنظر به: (**أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ***

---

(١)بحار الأنوار / ٧١ / ٣.
(٢) سورة النور / ٢٤ .
(٣) سورة يس/ ٦٥ .
(٤) سورة فصلت/ ٢٠-٢١.
(٥) سورة فاطر/ ١٠.
(٦) سورة الحجرات / ١٢.
(٧) سورة النور/ ٣٠-٣١.

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ * فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ)[١] و (**فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ**)[٢] و (**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)**[٣]، " وحق اليدين أن لا تبسطها إلى ما لا يحل لك: (**لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**)[٤]].

و [حق رجليك أن لا تمشي بها إلى ما لا يحل لك تقف على الصراط فانظر أن لا تزل بك فتتردّى في النار: ((**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**[٥]].

و [حق بطنك أن لا تجعله وعاءً للحرام: (**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)**[٦]] و [حقّ فرجك أن تحفظه من الزنا: (**الزَّانِي لاَ يَنْكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**)[٧] وتحفظه من أن ينظر إليه: (**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**)[٨]].

ويوجهنا الإمام عليه السلام على طريقنا الذي يقودنا إلى الترفع والارتفاع عن حطام الدنيا بعبورها قنطرة إلى الحياة الآخرة الدائمة بأداء حقِّ خالقنا الرحيم من أداء فروض الشكر والعبادة وهذا ما تدعونا إليه المقبولة العقلية – وجوب شكر المنعم – والبدء بأمِّ العبادات وهي الصلاة [وحق الصلاة أن تعلم أنَّها وفادة على الله جل وعلا – ولكل وافد كرامة – وأنك فيها قائم بين يدي – رحمة وقدرة – الله عز وجل ، فإذا علمت ذلك قمت مقام الذليل الحقير، الراغب الراهب ، الراجي الخائف، المستكين المتضرع ، المعظم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار – قال الرسول صلى الله عليه وآله : ((لو خشع المرء بالصلاة خشعت جوارحه – وتقبل عليها بقلبك وتقيمها بحدودها – من مقدمات كالوضوء والوقت وغيرها – وحقوقها – بما تتركه على مؤدِّيها من حسن خلق وسلامة التعامل مع الناس بما يرضي الله جل وعلا].

و [حق الصوم أن تعلم أنَّه حجاب ضربه الله جل وعلا على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك–

(١) سورة البلد/ ٨– ١٢.
(٢) سورة الطارق/ ٥.
(٣) سورة الاسراء / ٣٦.
(٤) سورة المائدة/ ٢٨.
(٥) سورة يس/ ٦٥.
(٦) سورة النساء / ١٠.
(٧) سورة النور/ ٣ .
(٨) سورة المؤمنون / ٥–٧.

قال الرسول ﷺ: ((من صام صامت جوارحه – ليسترك من النار فإن تركت الصوم خرقت ستر الله جل وعلا عليك وجاء في الحديث القدسي: ((كل عمل بن آدم له إلا الصوم فإنّه لي وأنا أجزي عليه))]

و[حق الحج أن تعلم أنَّه وفادة إلى ربك وفراراً إليه من ذنوبك وبه قبول توبتك وقضاء الفرض الذي أوجبه الله جل وعلا عليك – حيث النداء الرحماني: ((يا عبدي الحاج قد غفرت جميع ما تقدم من ذنبك، فاستانف العمل كيوم ولدتك أمك] و [وحق الهدي أن تريد به الله عزّ وجل ولا تريد به خلقه ولا تريد به إلا التعرض لرحمة الله سبحانه ونجاة روحك يوم تلقاه] و [وحق الصدقة أن تعلم أنَّها ذخرك عند ربك عز وجل، ووديعتك التي لا تحتاج الى الأشهاد عليها، وكنت بها تستودعه سرًّا أوثق بها تستودعه علانية –قال الرسول ﷺ–: ((صدقة السر تطفئ غضب الرب – سبحانه وتعالى)) وقال أمير الكلام ؈: ((إنَّ أفضل ما توسّل المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى الإيمان به وبرسوله ... وصدقة السر فإنَّها تكفّر عن الخطيئة، وصدقة العلانية فإنَّها تدفع ميتة السوء))]

الحقوق الاجتماعية التي تنظم العلاقات الاجتماعية بين العباد بدءً بالأسرة وسيدتها الأم [وأما حقّ أمّك فأن تعلم أنَّها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحدًا، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحدًا، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبالِ أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتضحى وتظلك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحر والبرد، لتكون لها، فإنَّك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه: (**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**)[1] وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ: (فقال يا رسول الله من أبر ؟ قال: أمك، قال: ثم من ؟ قال: أمك، قال: ثم من ؟ قال: أمك، قال: ثم من ؟ قال: أباك)[2] وقال الرسول ﷺ: (الجنة تحت أقدام الأمهات)[3]].

و [أما حق أبيك فأن تعلم أنَّه أصلك، وأنَّه لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك، فاعلم أنَّ أباك أصل النعمة عليك، فاحمد الله جل وعلا واشكره على قدر ذلك ولا قوة إلا بالله – سأل رجل رسول الله ﷺ ما حق الوالد على ولده ؟ قال ﷺ: ((لا يسميه باسمه، ولا يمشي بين يديه – أمامه – ولا يجلس قبله ولا يستسب له – يسب الناس فيسبوا والديه أو يعمل عملاً يسب الناس والديه بسببه)[4] عن الباقر ؈: (إنَّ العبد ليكون بارًّا بوالديه في حياتهما ثم يموتان فلا يقضي عنهما دينهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عز وجل عاقاً، وإنَّه ليكون عاقًّا لهما

(١) سورة لقمان / ١٤.
(٢) المستدرك / ١٥ / ١٨٠.
(٣) الكافي / ٢ / ١٥٩.
(٤) المصدر نفسه/ ٢ / ١٥٩.

في حياتهما غير بارّ بهما، فإذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله عز وجل بارًّا)[١]].

و [أما حق ولدك – الذكر والانثى– فأن تعلم أنَّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنَّك مسؤول عمّا وليته به من حسن الأدب – قال أمير المؤمنين من وصية لابنه الحسن عليه السلام (لا حسب أبلغ من الأدب ولا حسب كحسن الخلق)[٢] قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم يغفر لكم)[٣] وعنه صلى الله عليه وآله: (لا يخدم العيال إلّا صدّيق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة)[٤]].

و [أمَّا حق أخيك فأن تعلم أنَّه يدك وعزك وقوتك فلا تتخذه سلاحاً على معصيته الله سبحانه ولا عُدّة للظالم لخلق الله جل وعلا ولا تدع نصرته على عدوه والنصيحة له – قال رسول الله صلى الله عليه وآله – : ((انصر أخاك ظالماً و مظلوماً، قالو يا رسول الله ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ قال تأخذون على يده)) – أي تساعدونه على فعل الخير وتجنب الأذى– فإن أطاع الله سبحانه وإلا فليكن الله غز وجل اكرم عليك منه ولا قوة الاّ بالله] قال تعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)**[٥]].

[وأما حق الزوجة فأن تعلم أنَّ الله عز وجل جعلها لك سكناً وأنساً (**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)[٦] فتعلم أنَّ ذلك نعمة من الله عز وجل عليك، قال الرسول صلى الله عليه وآله : (ما افادة عبد فائدة خيرٌ من زوجة صالحه إذا رآها سرته، وإذا غاب حفظته في نفسها وماله) وعنه صلى الله عليه وآله: (خير متاع الدنيا المرأة الصالحة)[٧] فتكرِمها وترفق بها – جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر وصيته عند رحيله الى الرفيق الأعلى (رفقا بالقوارير – النساء–) وإن كان حقها عليك أوجب فإنَّ لها عليك أن ترحمها لأنَّها أسيرك – عن رسول الله صلى الله عليه وآله –: (إنَّ من خير نسائكم الولود الودود الستيرة العفيفة العزيزة في أهلها الذليلة – المطيعة – مع بعلها)[٨]وتطعمها وتكسوها – قال الرسول صلى الله عليه وآله – : (الكاد على عياله كالمتشحّط بدمه في سبيل الله جل وعلا) واذا جهلت عفوت عنها – عن النبي صلى الله عليه وآله–: (ما زال جبرئيل يوصيني بالمرأة حتى ظننت

(١) الكافي/ ٢ / ١٦٣.
(٢) بحار الأنوار / ١ / ٨٨ .
(٣) التفسير المعين / ٧٢
(٤)المستدرك / ١٣ / ٤٩.
(٥) سورة الحجرات / ١٠.
(٦) سورة الروم / ٢١.
(٧) التفسير المعين / ٨١ .
(٨) بحار الأنوار/ ١٠٠ / ٢٣٩ .

أنَّه لا ينبغي طلاقها إلّا مِن فاحشةٍ مبينة)[١] و (إلا وإن الله ورسوله بريئان ممن أضر بامرأة حتى تختلع عنه)[٢] إنَّ إمامنا السجاد عليه السلام كسائر أهل البيت ابتداءً بالخاتم صلى الله عليه وآله وانتهاءً بالمنتظر-عجل الله تعالى فرجه- هديهم ونورهم واحد، وقد أظهر بعض الحقوق الاجتماعية باعتبار أنَّ المؤمن يألف ويؤلف وتكون أفعاله وأقواله مصداقاً لما يؤمن به - عن أمير المؤمنين عليه السلام-: (الإيمان معرفه بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان) و(خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ)[٣] وأول هؤلاء المعلم [وحق سائسك بالعلم التعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه، وأن لا ترفع عليه صوتك ولا تجيب أحد يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب ولا تحدث في مجلسه أحداً ولا تغتاب عنده أحداً وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوءٍ وأن تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدواً، ولا تعادي له ولياً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله سبحانه بأنَّك قصدته وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس] - وقال الرسول صلى الله عليه وآله - : (إنَّما بعثت معلّماً) وكان الصنو للمعلم وهو المتعلم له حق ذكره الإمام عليه السلام [وأما حق رعيتك بالعلم فأن تعلم أنَّ الله عز وجل إنَّما جعلك قيمًا لهم فيما آتاك من العلم وفتح لك من خزائنه فإن أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله، وإن أنت منحت الناس علمك او خرقت بهم عند طلب العلم منك كان حقًّا على الله عز وجل أن يسلبك العلم وبهاءه ويُسقط من القلوب محلك].

وأشار عليه السلام الى علاقة السلطان والرعية [وأما حقّ رعيتك بالسلطان فأن تعلم أنَّهم صاروا رعيّتك لضعفهم وقوّتك فيجب أن تعدل فيهم وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم ولا تعاجلهم بالعقوبة، وتشكر الله عز وجل على ما آتاك من القوة عليهم].

و [حق السلطان أن تعلم أنَّك جعلت له فتنة وأنَّه مبتلى فيك بما جعل الله عز وجل له عليك من السلطان، وأنَّ عليك أن لا تتعرّض لسخطه فتلقي بيديك الى التهلكة وتكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء] .

كما أنَّ الإسلام يدعو بشدة الى أن تسود العلاقات الاجتماعية السليمة ليكون المتجمع المسلم سليمًا معافى وتشمله شآبيب الرحمة الإلهية ومنها [وحق الكبير توقيره لسنه وإجلاله لتقدّمه في الإسلام قبلك وترك مقابلته عند الخصام - قال رسول الله صلى الله عليه وآله -: (من عرف فضل شيخ كبير فوقّره لسنه آمنه الله سبحانه من فزع يوم

(١) بحار الأنوار/ ١٠٠ / ٢٥٣ .
(٢) المصدر نفسه/ ٧٣ / ٣٦٦ .
(٣) نهج البلاغة / ٤ / ٤.

القيامة)) وقال ﷺ: ((من تعظيم الله عز وجل إجلال ذي الشيبة المؤمن)[١] ولا تسبقه الى طريق ولا تتقدمه ولا تستجهله – قال رسول الله –ﷺ: (من إكرام جلال الله جلّ وعلا إكرام ذي الشيبة المسلم) وإن جهل عليك احتملته وأكرمته لحقّ الإسلام وحرمته] .

وللصغير مقابل ذلك حقوق [وحق الصغير رحمته في تعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونة لهُ – قال الرسول ﷺ –: (ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقّر كبيرنا) وقد رسم لنا رسولنا وأئمتنا – صلوات ربي عليهم – كيف نهتم بأولادنا باختيار الرحم الطيب ثم إذا حلّوا فيه نطفه كيف نحافظ عليه حتى يصبح جنيناً في بطن أمه فيراعي أن تكون الأم بحالة إيمانية مطمئنة وحالة غذائية شرعية وسليمة، ويراعي حتى الطفل في بطن أمه أن يعيش أجواء الطاعة والعبادة هو القرآن لأنَّه ثبت علمياً أنَّ الطفل يسمع وهو في بطن أمّه وبعد أن يولد الطفل يؤذّن في أذنه اليمنى ويقيم في اليسرى وأن يسمّي الوالد أولاده بأسماء الأنبياء والأئمة والصالحين][٢]

وجعل إمامنا ﷺ من العلاقات الاجتماعية المطلوبة [وأما حق ذي المعروف عليك فأن تشكره وتذكر معروفه – قال تعالى –: (**وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**)[٣] وقال الرسول ﷺ (لا تخيب راجيك فيمقتك الله ويعاديك)[٤]وتكسبه المقالة الحسنة وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عز وجل فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرًّا وعلانية ثم إن قدرت على مكافأته يوماً كافأته].

وللجيران حق [وأمّا حقّ جارك فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إن كان مظلوماً – قال تعالى –: **(وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا**)[٥] وعن الرسول ﷺ: (ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنَّه سيورثه) – ولا تتبع له عورة فإن علمت عليه سوءًا سترته عليه – عن الباقر ﷺ –: (إنَّ من الفواقر التي تقصم الظهر جار السوء إن رأى حسنة أخفاها وإن رأى سيئة أفشاها)[٦] – وإن علمت أنَّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه ، ولا تُسلمه عند شديدة وتقيل عثرته وتغفر

---

(١) ثواب الاعمال / ١٧١ .
(٢)لآداب الاسلامية / ٩٨ .
(٣) البقرة / ٢٣٧ .
(٤) آمالي الطوسي / ١ / ٣٠٥ .
(٥) سورة النساء / ٣٦ .
(٦) الوسائل / ٨ / ٤٩١ .

ذنبه – عن الإمام الصادق– عليه السلام: (ليس حسن الجوار كفّ الأذى ولكن حسن الجوار صبرك عن الأذى)[١] – وتعاشره معاشرةً كريمةً ولا قوة إلا بالله].

ودعوته عليه السلام الى حُسن الصحبة [وأمّا حقّ الصاحب فأن تصحبه بالتفضل والإنصاف، وتكرمه كما يكرمك – عن الصادق – عليه السلام: (ليس منَّا من لم يحسن صحبة من صحبه، ومرافقة من رافقه، ومماحة من ماحه، ومخالقة من خالقه)[٢] – ولا تدعه يسبق الى مكرمة فإن سبق كافأته وتوده كما يودك – قال الرسول صلى الله عليه وآله – : (ما اصطحب اثنان إلّا كان أعظمهما أجراً عند الله تعالى وأحبّهما عند الله تعالى ارفقهما بصاحبه) وتزجره عما يهم به من معصيه وكن عليه رحمة ولا تكن عليه عذاباً – عن الصادق – عليه السلام: (من رأى أخاه على أمر يكرهه فلم يرده عنه وهو يقدر عليه فقد خانه، ومن لم يجتنب مصادقه الأحمق أوشك أن يتخلّق بأخلاقه)[٣]عن الإمام علي الهادي عليه السلام أنَّه قال لبعض مواليه عاتب فلاناً وقل له: (إنَّ الله إذا أراد بعبدٍ خيراً إذا عوتب قبل)[٤]ولا قوة إلا بالله العلي العظيم].

و [حق الخليط أن لا تغرّه ولا تَغُشَّهُ ولا تخدعه، وتتّقي الله تبارك وتعالى في أمره – عن أمير المؤمنين عليه السلام: (لا تحقروا الضعفاء أخوانكم فإنَّه من احتقر مؤمناً لم يجمع الله عز وجل بينهما في الجنة إلا أن يتوب، المؤمن لا يَغُشّ أخاه ولا يخونه ولا يخذله ولا يتهمه ولا يقول له أنا بريء منك)][٥].

ومن دعوته لصدق العلاقات الاقتصادية [وأمَّا حق الشريك فإن غاب كفيته وإن حضر رعيته ولا تحكم دون حكمه، ولا تعمل برأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، ولا تخونه فيما عزّ أو هان من أمره – قال تعالى –: **(وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ)**[٦]فإنَّ يد الله تعالى على أيدي الشريكين مالم يتخاونا ولا قوة الا بالله].

وللغريم الذي له حق بذمَّة غيره [وأمَّا حق غريمك الذي يطالبك فإن كنت موسراً أعطيته، وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول ورددته عن نفسك ردًّا لطيفاً – عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال الرسول صلى الله عليه وآله: (من أذلّ

---

(١) الوسائل/ ١٢ / ١٩٢.
(٢) مكارم الاخلاق / ٢٥٠ .
(٣) آمالي الصدوق / ١٦٢.
(٤) تحف العقول / ٥٩٠.
(٥)لخصال / ٢ / ١٥٧ .
(٦) سورة ص / ٢٢.

مؤمناً او حقره لفقره وقله يده شهره الله جل وعلا على جسر جهنم يوم القيامة)[١]].

كما أنَّه ﷺ جعل طريقاً سليماً للادعاء [وحق الخصم المدّعي عليك فإن كان ما يدَّعي عليك حقاً كنت شاهده على نفسك ولم تظلمه وأوفيته حقه – عن الصادق – ﷺ : (أحب العباد الى الله عز وجل رجل صدوق في حديثه محافظ على صلواته وما افترض عليه مع أداء الأمانة من أؤتمن على أمانة فأدَّاها فقد حل ألف عقدة من عنقه من عقد النار فبادروا بأداء الأمانة)[٢]وإن كان ما يدَّعي به باطلًا رفقت به ولم تأتِ في أمره غير الرفق ولم تسخط ربك في أمره و لاقوة إلا بالله]. و [حق خصمك الذي تدَّعي عليه إن كنت محقًّا في دعواك أجملت مقاولته ولم تجحد حقه – قال تعالى – : (**وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**)[٣] – وإن كنت مبطلاً في دعواك اتقيت الله عز وجل وتبت إليه وتركت الدعوى – قال تعالى –: (**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**)[٤]].

وجعل ﷺ للفارق بين الناس حقوقًا [وحق المشير عليك أن لا تتهمه فيما لا يوافقك من رأيه وإن وافقك حمدت الله عز وجل – قال تعالى –: (**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**)[٥]] .

و [حق المستشير إن علمت أنَّ له رأياً أشرت عليه وإن لم تعلم أرشدته الى من يعلم – عن الصادق ﷺ: (استشر في أمرك الذين يخشون ربَّهم ومن استشار أخاه فلم ينصحه محض الرَّأي سلبه الله عز وجل رأيه)[٦]] ومثل ذلك [وحق المستنصح أن تؤدِّي إليه النَّصيحة وليكن مذهبك الرَّحمة له والرفق به] و [وحقّ النَّاصح أن تلين له جناحك وتصغي إليه بسمعك فإن أتى بالصواب حمدت الله عزّ وجل وإن لم يوافق رحمته ولم تتّهمه وعلمت أنَّه أخطأ – عن الإمام علي ﷺ –: (من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بلسانه ومعلم نفسه ومؤدِّبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم)[٧] – ولم تؤاخذه بذلك إلّا أن يكون

---

(١) عيون أخبار الرضا / ٢ / ٧٠ .
(٢) آمالي الصدوق / ١٧٧ .
(٣) سورة البقرة / ٢٨٠ .
(٤) سورة المائدة / ٢ .
(٥) سورة التوبة / ١٢٢ .
(٦) المحاسن / ٤٠١ .
(٧) بحار الأنوار / ٢ / ٥٦ .

مستحقًّا للتهمة فلا تعبأ بشيء من أمره على حالٍ ولا قوّة إلا بالله].

كما أنَّه ﷺ جعل للمعوزين حقًّا، وعلى المعطين حقًّا لزيادة الترابط والتراحم في المجتمع [وحقّ السائل إعطاؤه على قدر حاجته -: (**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ**)[١]] .

و[حق المسؤول إن أعطى فاقبل منه بالشّكر والمعرفة بفضله – قال الرسول ﷺ -: (سبعة يظلّهم الله تعالى بظلّه يوم لا ظل إلّا ظلّه منهم رجل تصدَّق بيمينه وأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله جل وعلا خالياً ففاضت عيناه)[٢] – وقال الصادق ﷺ -: (صدقة العلانية تدفع سبعين نوعاً من البلاء) – وإن منع فاقبل عذره].

وللتعامل الاجتماعي حقوق منها [وحق من سرّك الله تعالى به أن تحمد الله عز وجل أوّلاً ثم تشكره – قال الرسول ﷺ – : ((من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها وفرّج كربته لم يزل في ظل الله الممدود بالرحمة ما كان في ذلك] و[حق من ساءك أن تعفو عنه – عن الإمام موسى بن جعفر ﷺ: (إن أتاكم آتٍ فأسمعكم في الأذن اليمنى مكروهاً ثم تحوّل الى الأذن اليسرى فاعتذر وقال لم أقل شيئاً فاقبلوا عذره) وإن علمت أنَّ العفو يضر انتصرت، قال الله تبارك وتعالى (**وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ**)[٣]].

ولكي يسود الوئام بين الناس جميعاً [وحق أهل ملّتك إضمار السَّلامة لهم والرّحمة لهم والرّفق بمسيئهم وتألفهم واستصلاحهم وشكر محسنهم وكفّ الأذى عنهم – قال الرسول ﷺ -: (ألا أنبّئكم بشر الناس قالوا بلى يا رسول الله: قال من أبغض الناس وأبغضه الناس ثم قال: ألا أنبّئكم بشرٍّ من هذا؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: الذي لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنباً ثم قال: ألا أنبِّئكم بشرٍّ من هذا ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: من لا يؤمن شره ولو يرجى خيره)[٤] –وتحب لهم ما تحبّ لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك – قال رسول الله ﷺ -: (لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحب لنفسه)[٥]وأن تكون شيوخهم بمنزلة أبيك – قال الرسول ﷺ -: (إنَّ الله تعالى جواد يحب الجواد ومعالي الأمور، ويكره سفاسفها – الرديء منها – وإنَّ من عظم جلال الله إكرام ثلاثة

(١) سورة البقرة / ٢٧٣.
(٢) التفسير المعين / ٢٥٩.
(٣) سورة الشورى / ٤١.
(٤) معاني الاخبار / ١٩٦.
(٥) التفسير المعين / ٥١٦ .

ذي الشيبة في الإسلام والإمام العادل وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه)[١] وشبابهم بمنزلة أخوتك – عن الإمام العسكري عليه السلام – قال: (أعرف الناسِ بحقوق أخوانه وأشدّهم قضاء لها أعظمهم عند الله شأناً، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصدّيقين ومن شيعة علي بن أبي طالب حقاً) – وعجائزهم بمنزلة أمّك والصغار بمنزلة أولادك].

كما إنَّ أهل الذمة وهم غير المسلمين الذين يعيشون في المجتمع الاسلامي لهم حق [وحق أهل الذِّمّة أن تقبل منهم ما قبل الله عز وجل منهم، ولا تظلمهم ما وفوا لله عز وجل بعهده – عن الرسول صلى الله عليه وآله –: ((من آذى ذمّيًّا فقد آذاني)] .

المقارنة

إنَّ المواد الثلاثين التي تكون منها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي تم إقراره في ١٠ كانون الأوَّل ١٩٤٨م من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة كانت بشكل املاءات فوقيّة دون النظر الى الارتقاء بالشخصية الذاتية للإنسان ليرتفع الى درجات عالية من الانضباط الذاتي ويكون عنصراً اجتماعياً خيراً بأنَّه مؤمن بما يقوم به ابتغاء مرضات الله جل وعلا، كما أنَّ المواد لم تسبق ما جاء به ديننا الحنيف بالقرآن والسيرة النبوية وسيرة أهل البيت – صلوات الله عليهم –.

١ – المادة الأولى: (يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق وقد وهبوا عقلاً وضميرًا وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء) وقد جاء في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام في حقّ أهل ملّتك وأهل الذمة، وقال الأمير عليه السلام ((خالطوا الناس مخالطة إن مُتّم بكوا عليكم، وإن عشتم حنّوا إليكم))[٢].

٢ – المادة الثانية: (لكل إنسان حقّ التمتع بكافّة الحقوق دون تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر دون التفرقة بين الرجال والنساء) وجاء في قرآننا المجيد قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)[٣]وقال الرسول صلى الله عليه وآله " الناس سواء كأسنان

(١) جامع الاخبار / ١٠٧.

(٢) نهج البلاغة / ٤ / ٤ .

(٣) سورة الحجرات / ١٣.

المشط"[١].

٣- المادة الثالثة: (لكل فرد الحق في الحياة والحرية والسلامة شخصه) وعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: " المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، والمؤمن من ائتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم"[٢].

٤- المادة الرابعة: (لا يجوز استرقاق أو استعباد أيّ شخص ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعها) كان ذلك في المجتمعات السابقة في مختلف أرجاء المعمورة وعندما جاء الإسلام جعل عتق الرّقاب وتحرير العبيد من الرق كفارةً عن الذنوب علاوةً على حثِّ المسلمين في إعطاء حرية الموالي وجاء في كتاب الله العزيز: **(وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)**[٣] و**(لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)**[٤] و **(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)**[٥]وجاء في كتاب الصوم (كفّارة إفطار يومٍ من شهر رمضان مخيرة بين عتق رقبة وصوم شهرين متتابعين أو إطعام ستّين مسكيناً لكلّ مسكين مدّ والأحوط الأولى في الإفطار على الحرام الجمع بين الخصال الثلاث وكفارة إفطار اليوم المنذور المعين كفارة يمين وهي عتق رقبة)[٦].

كذلك جاء في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام [وأمّا حق مولاك الذي أنعمت عليه فأن تعلم أنَّ الله عزوجل جعل عتقك له وسيلة إليه وحجابًا لك من النار، وأنَّ ثوابك في العاجل ميراثه، إذا لم يكن له رحم مكافأة بما أنفقت من مالك، وفي الأجل الجنة] [٧] .

(١) بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٢٥١.

(٢) آمالي الصدوق / ١٤.

(٣) سورة المجادلة / ٣ .

(٤) سورة المائدة / ٨٩ .

(٥) سورة النساء / ٩٢ .

(٦) منهاج الصالحين / ٣٠٦ .

(٧) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص٧.

٥- المادة الخامسة: (ولا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة) وجاء في كتاب الله العزيز: (**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**)[١] وقال الرسول ﷺ (كف أذاك عن الناس فإنهَّا صدقة تتصدّق بها على نفسك)[٢] و (من أعان على مؤمن بشطر كلمة لقى الله عز وجل وبين عينيه مكتوب أيس من رحمة الله)[٣] إنَّ الإنسان مخلوق الله جل وعلا الأفضل فعليه أن يكون أهلاً لذلك قال تعالى: (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**)[٤] وعن أبي عبدالله الصادق ﷺ: " من روّع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار ومن روّع مؤمناً بالسلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار "[٥] ومن عهد أمير المؤمنين ﷺ إلى مالك الأشتر النخعي عندما ولاّه على مصر: " واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكن عليهم سبعاً ضارباً تغتنم أكلهم فإنَّهم صنفان إمّا أخٌ لك في الدِّين أو نظيرٌ لك في الخلق "[٦] .

٦- المادة السادسة: (لكل إنسانٍ أينما وجد الحق في أن يعترف بشخصيته القانونية).

٧- المادة السابعة: (كلّ الناس سواسية أمام القانون ولهم حقّ في التّمتّع بحماية متكافئة من دون أيّة تفرقة كما أنَّ لهم جميعاً الحق في حماية متساوية ضدّ أيّ تمييز).

٨- المادة الثامنة: (لكل شخص الحق في أن يلجأ الى المحاكم الوطنية لإنصافه من أعمال فيها اعتداء على الحقوق الأساسيّة التي يمنحها له القانون) ومن هذا يجب أن ينتبه الملتزمون وأصحاب الدين الى عدم جواز الترافع عن الأخلاق الى الحاكم القائمة اليوم التي وضعتها الدّول الظالمة ولا يجوز العودة إليها والتقاضي عندها إلا إذا انحصر أخذ الحقّ عن طريقها .

ففي الحديث عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله الصادق ﷺ عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة

---

(١) سورة الأحزاب / ٥٨.

(٢) نوادر الرواندي / ٣ .

(٣)التفسير المعين / ٤٢٧.

(٤) سورة الاسراء / ٧٠ .

(٥) الكافي / ٢ / ٣٦٨ .

(٦) نهج البلاغة / ٣ / ٨٤.

في دين أو ميراث فتحاكما الى السلطان أو الى القضاء أيحل ذلك ؟ فقال ﷺ: " من تحاكم إليهم في حقٍّ أو باطل فإنَّما تحاكم الى طاغوت وما يحكم له فإنَّما يأخذ سحتاً وإن كان حقّه ثابتاً لأنَّه أخذه بحكم الطاغوت وقد أمر الله أن يكفر به .قال الله تعالى: **(يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ)** وقال أمير المؤمنين ﷺ لشريح القاضي: ((يا شريح قد جلست مجلساً لا يجلسه إلا نبي أو وصي نبي أو شقي))[١] .

٩- المادة التاسعة: (لا يجوز القبض على إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً) .

١٠- المادة العاشرة: (لكل إنسان الحق على قدم المساوة التامة مع الاخرين في ان تنظر قضيته امام محكمة مستقلة نزية نظراً عادلاً علنيا للفصل في حقوقه والتزاماته وأية تهمة جنائية توجه إليه) وقد حثَّ الرسول ﷺ: ((انه نهى أن يحابي القاضي أحد الخصمين بكثرة النظر وحضور الذهن ونهى عن تلقين الشهود))[٢] وعن أمير المؤمنين ﷺ لشريح القاضي: " ثم واسي بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك حتى لا يطمع قريبك في حيفك ولا ييأس عدوك من عدلك . إيّاك والتضجّر والتّأذّي في مجلس القضاء الذي أوجب الله فيه الأجر وأحسن فيه الذخر لمن قضى بالحق))[٣] وعن الصادق ﷺ: " اعلم أنَّه لا ورع أنفع من تجنّب محارم الله والكفّ عن أذى المؤمنين واغتيابهم "[٤].

١١- المادّة الحادية عشرة: ١- (كل شخص متّهم بجريمة يعتبر بريئاً الى أن تثبت إدانته قانوناً في محاكمة علنية تؤمن له الضمانات الضرورية للدفاع عنه) ٢- (لا يدان أيّ شخصٍ من جراء أداء عمل او الامتناع عن أداء عمل إلاّ إذا كان يعتبر ذلك جرماً وفقاً للقانون الوطني أو الدولي وقت الارتكاب . كذلك لا توقع عليه أشدّ من تلك التي كان يجوز توقيعها وقت ارتكاب الجريمة) - قال أمير المؤمنين ﷺ: " رحم الله امرأً رأى حقًّا فأعان عليه أو رأى جوراً فردّه وكان عوناً بالحق على صاحبه "[٥] و " العامل بالظلم والمعين عليه والراضي به شركاء ثلاثة "[٦] وعن الرسول الكريم ﷺ: "من أخذ للمظلوم من الظالم كان معي في الجنة مصاحباً "[٧] و "اتقوا دعوة المظلوم وإن كان

(١) الآداب الإسلامية / ٧٢ .

(٢) المستدرك / ٧ / ٣٥٠ .

(٣) الفقيه / ٣ / ١٦ .

(٤) آمالي الطوسي / ١ / ١٩٥ .

(٥) نهج البلاغة / ٢ / ١٨٥ .

(٦) بحار الأنوار / ٧٢ / ٣١٢ .

(٧) المصدر نفسه / ٧٢ / ٣٥٩ .

كافراً فإنَّه ليس دونه حجاب "[١].

١٢- المادة الثانية عشرة: (لا يعرض أحد لتدخّل تعسّفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته ولحملات على شرفه وسمعته، ولكلّ شخصٍ الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات) قال الله تعالى: (**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**)[٢] وقال الصادق عليه السلام: " من روى على مؤمنٍ رواية يريد بها شينه وهدم مروءته ليسقطه من أعين الناس أخرجه الله من ولايته الى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان "[٣] و"ثلاثة في ظلّ عرش الله عزّ وجلّ يوم لا ظل إلّا ظله: رجل أنصف الناس من نفسه، ورجل لم يقدم رجلاً ولم يؤخّر رجلاً أخرى حتى يعلم أنَّ ذلك لله عز وجل رضى أو سخط، ورجل لم يعب أخاه بعيب حتى ينفي ذلك العيب من نفسه، فإنَّه لا ينفي منها عيباً إلاّ بدا له عيب آخر وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس "[٤] .

١٣- المادة الثالثة عشرة: ١- (لكل فرد حرّيّة التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود كلّ دولة) ٢- (يحق لكل فرد أن يغادر أيّة بلاد بما في ذلك بلده كما يحق العودة إليه).

١٤ - المادة الرابعة عشرة : ١- (لكلّ فردٍ الحق في أن يلجأ الى بلاد أخرى أو أن يحاول الالتجاء إليها هرباً من الاضطهاد) ٢- (لا ينتفع بهذا الحق من قدم للمحاكمة في جرائم غير سياسية أو لأعمال تناقض أغراض الأمم المتّحدة ومبادئها) قال الله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**)[٥] و (**وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا**)[٦].

١٥- المادة الخامسة عشرة: ١- (لكلِّ فردٍ حقّ التّمتّع بجنسية ما) ٢- (لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسّفاً او إنكار حقّه في تغييرها) لكن الإنسانية التي تجمع الناس لها منظار إسلامي مختلف، قال الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**

---

(١) كنز العمال / ٣/ ٥٠٠ .

(٢) سورة الشعراء / ٢٢٧ .

(٣) الاختصاص / ٣٢ .

(٤) بحار الأنوار / ٦٦ / ٣٨٩.

(٥) سورة النساء / ٩٧ .

(٦) سورة النساء / ٧٥

إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ)[١].

فالمتقون إخوان يجمعهم حبّ الله سبحانه وطاعته ولا تفرّقهم حدود مصطنعة ولا أوراق وضعت لتمييز سكنهم في أرض الله الواسعة، ويحق لعباده المؤمنين المتّقين أن يسكنوها ويعمروها، قال تعالى: (**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ**)[٢] فالإسلام يدعو الى وحدة البشرية بوحدة عبوديتها لله سبحانه التي تجمعهم .

١٦- المادة السادسة عشرة : ١- (للرجل والمرأة متى بلغا سنّ التزويج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب الجنس او الدين، ولهما حقوق متساوية عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله) ٢- (لا يبرم عقد الزواج إلا برضا الطرفين الراغبين في الزواج رضاً كاملاً لا إكراه فيه) ٣- (الأسرة هي الوحدة الطبيعية الأساسية للمجتمع ولها حقّ التمتع بحماية المجتمع والدولة) إنَّ الله سبحانه أوجب الزواج قال جل وعلا: (**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**))[٣]و (**أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**)[٤] وكذلك دعا الرسول ﷺ: " من سره أن يلقى الله طاهراً مطهّراً فليلقه بزوجة"[٥] وعن إمامنا الباقر عليه السلام: ((من خطب إليكم فرضيتم دينه وأمانته كائناً من كان فزوّجوه، الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير))[٦] وقال الرسول ﷺ: " لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها))[٧] و " اتقوا الله في الضعيفين، اليتيم والمرأة فإنَّ خياركم، خياركم لأهله))[٨] و ((الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله "[٩].

١٧- المادة السابعة عشرة: ١- (لكلِّ شخص حق التملك بمفرده أو الاشتراك مع غيره) ٢- (لا يجوز تجريد

(١) الحجرات / ١٣ .

(٢) هود / ٦١ .

(٣) النور / ٣٢ .

(٤) الشورى / ٥٠ .

(٥) الوسائل / ٢٠ / ٤٣ .

(٦) مكارم الاخلاق / ٢٠٤ .

(٧) وسائل الشيعة / ٦ / ٣٨٥.

(٨)بحار الأنوار/ ٧٦ / ٢٦٨ .

(٩) المصدر نفسه/ ١٠٣ / ١٣ .

أحد من ملكه تعسّفاً) مما لا شكَّ فيه أنَّ التعدي على الآخرين منبوذ عند الله سبحانه: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**)[١] وعن الرسول الكريم ﷺ: " من خان أمانة في الدنيا ولم يردّها الى أهلها ثم أدركه الموت مات على غير ملّتي ويلقى الله وهو عليه غضبان "[٢].

١٨ – المادة الثامنة عشرة: (لكلِّ شخصٍ الحق في حرّية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته وحرّيّة الإعراب عنها بالتعليم والممارسة وإقامة الشَّعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سرًّا أو جهرًا منفردًا أو مع الجماعة) إنَّ الفكر والتّفكّر مما جبل عليه الإنسان وهو طريقه الى معرفة الواحد الأحد سبحانه: (**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ**)(٣) و (**وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آَخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**)[٤] و(**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**)[٥] (**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**)[٦] و (**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)[٧] و (**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**)[٨].

١٩ – المادة التاسعة عشرة: (لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت من دون تقيد بالحدود الجغرافية) لكن ذلك بحدود الخير والإصلاح، قال تعالى: (**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ**)[٩] و (**وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا**

---

(١) سورة المائدة / ٨٧ .

(٢) المستدرك / ١٤ / ١٥.

(٣) سورة الروم / ٨ .

(٤) سورة المؤمنون / ١١٧.

(٥) سورة البقرة / ١٣٠.

(٦) سورة آل عمران / ٨٥ .

(٧) سورة البقرة / ٢٥٦.

(٨) سورة الحج / ٣٢ .

(٩) فاطر / ١٠ .

إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ)[١] و (**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ**)[٢]. وقال الرسول الكريم ﷺ: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليسكت "[٣] و " كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر او ذكر الله تعالى "[٤] وعن أمير المؤمنين عليه السلام: " أحسن الكلام ما زانه حسن النظام وفهمه الخاص والعام " و " خير الكلام ما لا يمل ولا يقل "[٥].

٢٠- المادة العشرون: (لكل شخص الحق في حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية، لا يجوز ارغام أحد على الانضمام الى جمعية ما).

٢١- المادة الحادية والعشرون: ١- (لكلّ فردٍ الحق في الاشتراك في إدارة الشؤون العامة لبلاده إما مباشرة أو بواسطة ممثلين يختارون اختياراً حراً) ٢- (لكل شخص نفس الحق الذي لغيره في تقلد الوظائف العامة في البلاد) ٣- (إنَّ إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة ويعبر عن هذه الإرادة بانتخابات نزيهة دورية تجري على أساس الاقتراع السرّي وعلى قدم المساواة بين الجميع او حسب أي إجراء مماثل يضمن حرّيّة التصويت) إنَّ ذلك يتضمن أمورًا منها قوله تعالى: (**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**)[٦] ولكن في الأمور العامة قال تعالى: (**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**)[٧] وعن الرسول ﷺ: "ما تشاور قوم إلا هدوا الى رشدهم "[٨] و " إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاؤكم وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا

---

(١)الحج / ٢٤

(٢) ابراهيم / ٢٤- ٢٧

(٣) مكارم الأخلاق / ١٣٥

(٤) المستدرك / ٩ / ١٦٦

(٥)غرر الحكم / ٢١٠

(٦) سورة الأحزاب / ٣٦ .

(٧) سورة الشورى / ٣٨ .

(٨) بحار الأنوار/ ٧٥ / ١٠٥.

كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاؤكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خيرٌ لكم من ظهرها "[١] وعن أمير المؤمنين عليه السلام: "خير من شاورت ذوو النهى والعلم وأولوا التجارب والحزم "[٢].

٢٢- المادة الثانية والعشرون: (لكل شخص بصفته عضواً في المجتمع الحق في الضمانة الاجتماعية وإن تحقّق بوساطة المجهود القومي والتعاون الدولي وبما يتّفق ونظم كل دولة ومواردها الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي لا غنى عنها لكرامته و للنمو الحر لشخصيته) .

٢٣- المادة الثالثة والعشرون: ١- (لكلِّ شخص الحق في العمل وله حرية اختياره بشروط عادلة ومرضية كما أنَّ له حقّ الحماية من البطالة) ٢- (لكل فردٍ دون تمييز الحق في أجر متساوٍ للعمل) ٣- (لكلِّ فردٍ يقوم بعمل الحق في أجر عادل مُرضٍ يكفل له ولأسرته عيشة لائقة بكرامة الإنسان تضاف إليه عند اللزوم وسائل أخرى للحماية الاجتماعية) ٤- (لكلِّ شخص الحق في أن ينشئ وينضم الى نقابات حماية لمصلحته) وقد أمر الله سبحانه بعدم البخس فقال: (**وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**)[٣] ووصى رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام عند وفاته " يا علي لا يظلم الفلاحون بحضرتكم ولا يزاد على أرض وضعت عليها ولا سخرة على مسلم (يعني الأجير "و " أقذر الذنوب ثلاثة: قتل البهيمة وحبس مهر المرأة ومنع الأجير أجرة " و " أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه، واعلمه أجره وهو في عمله"[٤].

٢٤- المادة الرابعة والعشرون: (لكلِّ شخص الحق في الرّاحة وفي أوقات الفراغ ولاسيما في تحديد معقول لساعات العمل وفي عطلات دورية بأجر) عن أمير المؤمنين عليه السلام يوصي ولده الحسن عليه السلام: " يا بني للمؤمن ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها بين نفسه ولذّتها فيما يحل ويحمد، وليس للمؤمن بد من أن يكون شاخصاً في ثلاث: مرمة - اصلاح – لمعاش أو خطوة لمعاد أو لذّة في غير محرم "[٥].

(١) كنز العمال / ١١ / ١٢٣ .

(٢) غرر الكلام / ٤٤٢.

(٣) سورة الشعراء / ١٨٣.

(٤) كنز العمال / ٣ / ٩٠٧.

(٥) البحار / ١/ ٨٨

اللازمة، وله الحق في تامين معيشته في حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل المعيشة نتيجة لظروف خارجة عن إرادته) وقال تعالى: (**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**)[١] و (**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**)[٢] وعن أمير المؤمنين عليه السلام: " ثبات الدول بإقامة العدل " و" دولة الكريم تظهر مناقبه ودولة اللئيم تكشف مساوئه ومعايبه "[٣] وقال الرسول صلى الله عليه وآله: " لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متتعتع "[٤] ٢-(للأمومة والطفولة الحق في مساعدة ورعاية خاصتين وينعم كل الأطفال بنفس الحماية الاجتماعية سواء كانت ولادتهم ناتجة عن رباط شرعي أم بطريقة غير شرعية) لم يعط دين ولا نظام كما أوجب الله ذلك في دينة الحق إذ قرن عبادته بالإحسان الى الوالدين وخاصة الأم وكذلك بحب الولد ومداراته إذ قال سبحانه: (**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**)[٥] و (**وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا**)[٦] وقال الرسول صلى الله عليه وآله: " بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله "[٧] و " بر الوالدين واجب وإن كانا مشركين ولا طاعة لهما في معصية الخالق "[٨].

وعن الصادق عليه السلام: " جاء رجل وسأل النبي صلى الله عليه وآله عن بر الوالدين فقال: أبرر أمك أبرر أمك أبرر أمك أبرر أباك أبرر أباك أبرر أباك "[٩] وعن الصادق عليه السلام : " من العقوق أن ينظر الرجل الى والديه فيحد النظر إليهما "[١٠] كما

(١) النحل / ٩٠

(٢) النساء / ٥٨

(٣) غرر الحكم / ٣٤٢

(٤) نهج البلاغة / ٣ / ١٠٢

(٥) الاسراء / ٢٣ - ٢٤

(٦) النساء / ٣٦

(٧) تذكرة الموضوعات / ٢٠١ .

(٨) الوسائل / ١٦ / ١٥٥.

(٩) الكافي / ٢ / ١٦٢.

(١٠) المصدر نفسه / ٢ / ٣٤٩ .

أظهر رسولنا الكريم والأئمة الأطهار – صلوات الله عليهم جميعاً – وجوب محبَّة الأبناء قال الرسول ﷺ: " إنَّ لكلِّ شخص شجرة ثمرة وثمرة القلب الولد "[١] و " إنَّ من قَبَّل ولده كتب الله له حسنة ومن فرَّحه فرَّحه الله يوم القيامة "[٢] لكن الولد الشرعي هو المقصود أما الولد غير الشرعي كما جاء في المادة اعلاه (٢) فالواجب تنشئته على الإصلاح طلباً لمرضاة الله سبحانه.

٢٦- المادة السادسة والعشرون: ١- (لكل شخص الحق في التعلم ويجب أن يكون التعليم في المرحلة الأولى والأساسية على الأقل بالمجَّان، ويكون التعليم الأوّلي إلزاميًّا، وينبغي أن يعمم التعليم الفني والمهني، وأن يسير القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة، ٢- (يجب أن تهدف التربية الى إنماء شخصية الإنسان إنماءً كاملاً، والى تعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية او الدينية، والى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام، ٣- (للآباء الحق الأول في اختيار نوع تربية أولادهم)، ودعا الرحمن العليم جل وعلا الى العلم والتعلم: (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[٣] و (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ)[٤] وقال الرسول ﷺ: "فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة " و" إنَّما بعثت معلّماً " و" اكتسبوا العلم يكسبكم الحياة " و" من لم يصبر على ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبداً " وعن المسيح عليه السلام : "يا بني اسرائيل زاحموا العلماء في مجالسهم ولو جثوا على الركب، فإنَّ الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحي الأرض الميتة بوابل المطر "[٥] وعن أمير المؤمنين عليه السلام: "يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، وَاحْفَظْ مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ. الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، الْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْعَمَلِ، وَالْمَالُ تُنْقِصُهُ النَّفَقَةُ، وَمَحَبَّةُ الْعَالِمِ دِينٌ يُدَانُ بِهَا، الْعِلْمُ يُكْسِبُ الْعَالِمَ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَصَنِيعَةُ الْمَالِ تَزُولُ بِزَوَالِهِ. مَاتَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ"[٦] وقال

(١) كنز العمال / ١٦ / ٤٥٧ .

(٢) فروع الكافي / ٦ / ٤٩ .

(٣) سورة فاطر / ٢٨ .

(٤) سورة الزمر / ٩ .

(٥) التفسير المعين / ٥٤٣

(٦) نهج البلاغة / ٤ / ٣٦ .

الرسول ﷺ : "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمه فاطلبوا العلم من مظانه واقتبسوه من أهله فإن تعلمه لله تعالى حسنه، وطلبه عباده، والمذاكرة به تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة الى الله تعالى "[١] وجعل الله حقّ الولد على أبيه بأن يعلمه ليحسن تربيته، قال أمير المؤمنين عليه السلام :" مروا أولادكم بطلب العلم "[٢] وقال لقمان الحكيم لابنه: (يا بني إنَّ الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ، وجسرها الإيمان ، وشراعها التوكل، و قيمها – مدبرها – العقل ، ودليلها العلم ، وسكانها – مقودها – الصبر) و" اجعل في أيامك ولياليك وساعاتك نصباً لك في طلب العلم ، فإنَّك لن تجد له تضييعاً مثل تركه، يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإنَّ الله عز وجل يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء "[٣].

٢٧– المادة السابعة والعشرون : ١– (لكل فرد الحق في أن يشترك اشتراكاً حرًّا في حياة المجتمع الثقافي وفي الاستمتاع بالفنون والمساهمة في التقدم العلمي والاستفادة من نتائجه) ٢– (لكل فرد الحق في حماية المصالح الأدبية والمادية المترتبة على إنتاجه العلمي والأدبي او الفني).

أنشأ الإسلام منذ فجر تاريخه مجتمعاً سليماً تتوافر فيه عناصر التقدم والازدهار ، فقد أقامه على أساس وثيق من المحبة والألفة، وجعله مجتمعاً متراصاً يشد بعضه بعضًا لا مكان فيه للكراهية والبغضاء . ومن بعض أسس معالم المجتمع السليم ١– حب الخير للناس ٢– التراحم والتعاطف ٣– السعي في قضاء حوائج الناس والإحسان إليهم ٤– التعاون على الخير والبر والتقوى وما ينفع الناس ٥– إصلاح ذات البين حتى لا يتصدع المجتمع ٦– الاستقامة لأنَّها تحفظ الفرد والمجتمع ٧– نشر الصحة العامة ووقاية الإنسان من الإصابة بالأمراض ٨– نظافة الوطن وذلك من خلال نظافة الطرق والمساكن والمأكل والمشرب ٩– نشر العلوم وتشجيع أصحاب المواهب الثقافية في نشر أفكارهم لهداية المجتمع وتوجيهه التوجيه الصحيح نحو الجد والعمل والإيمان١٠– تأسيس المكتبات والمعاهد والمدارس وطباعة الكتب ونشرها مجاناً وكذلك النشرات والمجلات ١١– النظر الى جميع أفراد المجتمع بنظر واحد دون تمييز بين فقير وغني وأسود وأبيض وصاحب العشيرة والفرد العادي ١٢– المساواة أمام القانون ويطبّق على جميع أفراد المجتمع ويأخذ كلّ مسيء عقابه على قدر جرمه دون النظر لنسبه أو غناه)[٤] .

---

(١) منية المريد / ١٩ .

(٢) كنز العمال / ٦ / ٥٨٦ .

(٣) البحار / ١ / ٢٠١.

(٤)الآداب الإسلامية / ٧٧ .

٢٨- المادة الثامنة والعشرون: (لكل فرد الحق في التمتع بنظام اجتماعي دولي تتحقق بمقتضاه الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الإعلان تحقّقاً تاماً).

٢٩- المادة التاسعة والعشرون : ١- (على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذي يتاح فيه وحدة لشخصيته أن تنمو نموًّا حرًّا كاملاً) ٢- (يخضع الفرد في ممارسة حقوقه لتلك القيود التي يقررها القانون لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها ولتحقيق المقتضيات العادلة للنظام العام والمصلحة العامة والأخلاق في مجتمع ديمقراطي) ٣- (لا يصح بحال من الأحوال أن تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة ومبادئها) إنَّ الحرّيّة التي يدعو لها الإسلام هي غير الفوضى والإباحية واتباع الشهوات سبباً رئيسيًّا في هدم الحضارة وبؤس الإنسان وشقائه، قال تعالى : (**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**)[١] و (**فَذَرْهُمْ يُخَوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ**)[٢] وقال الأمير ﷺ: " أيّها الناس إنَّ آدم لم يلد عبدًا ولا أمة وإنَّ الناس كلهم أحرار "[٣] و " لا يسترقنك الطمع وقد جعلك الله حرًّا " و" العبد حر ما قنع ، والحر عبد ما طمع " و"الحرية منزهة من الغل والمكر " و"حسن البشر شيمة كل حر " و " إنَّ الحياء والعفّة من خلائق الإيمان وإنَّهما لسجية الأحرار وشيمة الأبرار "[٤].

٣٠- المادة الثلاثون : (ليس في هذا الإعلان نصّ يجوّز تأويله على أنَّه يخوّل لدولة أو جماعة أو فرد حقا في القيام بنشاط او تأدية عمل يهدف الى هدم الحقوق والحريات الواردة فيه) مما تقدَّم نلاحظ سمو و شمولية رسالة الحقوق لإمامنا السجاد ﷺ وجعل الإنسان هو العامل لتنفيذها بصورة ذاتية طاعة لله عز وجل وطلباً لرفعته كونه خليفة الله في أرضة ومحل عناية الله جل وعلا له لعلمه بأنَّ الله معه (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**)[٥] وكذلك جعل الإنسان على نفسه لعلمه بحقيقة ذاته (**بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**)[٦] كل ذلك ابتغاء وجه الله وعملًا للآخرة الدائمة،

(١) سورة مريم / ٥٩.

(٢) سورة الزخرف / ٨٣ .

(٣)نهج السعادة / ١ / ١٩٨ .

(٤) غرر الحكم / ٢٥٧ - ٣٩١ .

(٥)المجادلة / ٧ .

(٦) القيامة / ١٤-١٥ .

بينما إعلان حقوق الإنسان وضع بأسلوب التّمنّي والأوامر دون العمل على تهيئة الأرضية اللازمة وهو الإنسان وبالتالي المجتمع الذي يقوم بتنفيذ مواد الإعلان طوعاً والتي أغلبها مما تمليه الفطرة الإنسانية، (**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**))[1]مع وجود بعض النصوص والكلمات فيه تتنافى مع هذه الفطرة السليمة وذلك مما تعيش الإنسانية من ظلمات يحدو بها الشيطان بعيداً عن الرّحمة الربانية التي جعلها الله جل وعلا لعباده .

(١)الروم / ٣٠.

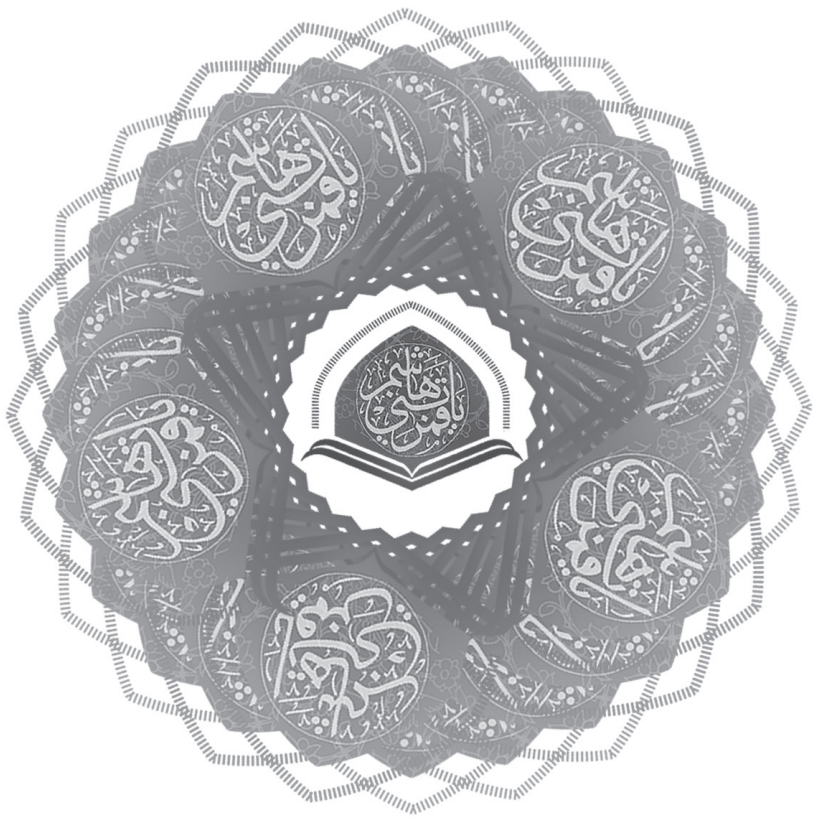

آية التطهير ومقام أبي الفضل العباس عليه السلام

سماحة الشيخ محمد السند-حفظه الله-

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآله الأصفياء الأوصياء الشُّهداء إلى يوم الدِّين وبعد:

إنَّ لأبي الفضل العبَّاس عليه السلام مقاماً اعتقادياً في الدِّين، وهذا البحث بحاجة لمقدمات عديدة ومتعددة حتى نصل إلى المطلوب، وقبل أن نخوض في هذا البحث، أذكر نتيجة ملخّصة تستهوي الأذهان والقلوب وهي:

أنَّ هناك أدلّة روائية عن أهل البيت عليهم السلام بل وقرآنية مفادها أنَّ من يطّلع على مقام أبي الفضل العباس عليه السلام من خلال ما ورد سوف يصل إلى حقيقة مهمّة وهي أنَّ الإنسان في قبره سوف يُسأل عن مقام أبي الفضل العباس عليه السلام، وهذه النتيجة هي إحدى المعالم الاعتقادية لأبي الفضل-صلوات الله عليه-، وهذا ليس من التخرّص، أو التكلّف، أو التمحّل، وقد يسأل البعض لماذا الكثير من كتب علماء الإمامية، أو كتب الكلام لم تسلِّط الضوء بشكل دقيق على هذا الباب؟

وجواب هذا السؤال سوف يتّضح من خلال البحث والاطلاع على ما نقله علماء الإمامية من نصوص عديدة وما هو جارٍ في سيرة أتباع أهل البيت عليهم السلام خلال أربعة عشر قرناً، وسوف نبيّن أنَّ هذه السيرة مسارها يصبّ في ذلك، وأستطيع أن أقول طبقاً للنصوص: أنَّ العبد لا يكمل إيمانه إلَّا إذا تعرّف على مثل مقام أبي الفضل العباس

عليه السلام، فأيّ مؤمن من المؤمنين حسب النصوص الواردة لا يكمل إيمانه إلّا إذا اطّلع، وتعرَّف على مقام أبي الفضل العبَّاس عليه السلام.

نحن نؤمن في مدرسة ومنهاج أهل البيت عليهم السلام بدلالة القرآن الكريم والنصوص المتواترة عند الفريقين أنَّ مقام أهل آية التطهير من الضروريات الواضحات بحسب أدلّة القرآن الكريم وأدلة النصوص المتواترة عند الفريقين أنَّهم الأربعة عشر معصوماً الذين نزلت الآية بحقهم وهم الخمسة أصحاب الكساء، والتسعة من ولد الحسين المعصومين الطيبين الطاهرين عليهم السلام، وهذه الثلة الكريمة تمثِّل الدائرة الأولى لأهل آية التطهير في قوله -تعالى-: (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**) [1] .

الدائرة الثانية لأهل آية التطهير

يستفاد من نصوص أهل البيت عليهم السلام أنَّ لآية التَّطهير المباركة دائرة ثانية تضمُّ نجوماً من آل محمَّد عليهم السلام، إذ هنالك آيات قرآنية وروايات معصومية تطالعنا على أنَّ هناك دائرة ثانية من أهل آية التطهير ولكنها أدنى من الدَّائرة الأولى دائرة الأربعة عشر معصوماً، وهم: الرسول الأعظم محمد، وأمير المؤمنين علي المرتضى، والزهراء فاطمة والحسن المجتبى، والحسين سيد الشهداء، والتسعة المعصومين من ولد الإمام الحسين عليه السلام ، وتتّسم ذوات الدائرة الثانية بأنَّهم ليسوا بمستوى الدائرة الأولى من جهات عديدة ستتبيّن فيما بعد، لكنها تحيط كالطوق بالدائرة الأولى لأهل آية التطهير، وقد دلّ عليهم النّص من وحي الله -تعالى-، ونستطيع أن نصطلح على هذه الدائرة (بالدائرة الثانية لأهل آية التطهير).

وقد جاءت الأدلّة القرآنية والروائية الكثيرة لتبيِّن أنَّ المؤمن لا يستكمل إيمانه إلَّا بمعرفتهم وولايتهم وطاعتهم، وبعبارة أخرى أنَّ المؤمن لا يكون مستكمل الإيمان حتى يعرف أفراد الدائرة الثانية، وإلا سوف يكون منقوص الإيمان، وهذا النقص ليس من قبيل نقص الإيمان في زوايا وجِهات عديدة، وإنَّما هو نقص بالغ، والحديث طويل وموسوعي في هذا المجال، ولاسيما أنَّ علماءنا الأبرار (رضوان الله تعالى عليهم) لم يخوضوا فيه تفصيلاً لأسباب وجهات عديدة إلَّا بمثابة إشارات.

إنَّ الدائرة الثانية من بني هاشم ثلة خاصَّة من أهل آية التطهير، لهم دعامة بُنيَوية في نظام الدِّين والعقيدة، فكما أنَّ البناء وصرحه يشتمل على أطناب وأوتاد ودوائر عديدة في الحقيقة، فالدِّين لا يتلخّص في الأنبياء مع عِظَم

(١) سورة الأحزاب/ ٣٣.

مقام الأنبياء، ولا في الرسل مع عظم مقام الرسل، ولا في الأوصياء مع عظم مقام الأوصياء، بل هناك سلسلة ومنظومات ومجموعات يتكامل بها بناء الدين المشيد، ولا يمكن تجزئة هذه المجموعات وهذه المنظومات عن مجموع البناء الديني، كما سيتبيّن أنَّ البنى الأخرى من منظومة الدين وبناء الدين، هو أصل أصيل قرآني، وبقول آخر أنَّ التعرف على أفراد الدائرة الثانية من أهل البيت عليهم السلام له أصل معرفي قرآني، تعرَّض له القرآن الكريم في آيات عديدة كثيرة جداً، أصلها القرآني هو معرفة عميقة، وغوص مبسوط لفهم عنوان أهل البيت الوارد في قوله -تعالى- : (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**)[1].

الدائرة الثانية تحيط وتحدق بالدَّائرة الأولى

إذاً فهناك ثلة أخرى مصطفات من بني هاشم، لا كل بني هاشم، اصطفوا باصطفاء يتلو اصطفاء أفراد الدائرة الأولى، وحسب بيانات وروايات الفريقين من المسلمين فإنَّهم يشكلون الدائرة الثانية لأهل البيت، وهي تحيط وتحدق بالدائرة الأولى من المعصومين الأربعة عشر -صلوات الله عليهم-، وهذا داخل في عنوان أهل البيت عليهم السلام، وعنوان المطهرين، وكذلك في عنوان القربى الذين أُمرنا بمودتهم، أو الذين اسندت لهم ولاية الفيء، والذين ذكروا بعنوان الشهداء على أعمال الناس أو الصديقين الذين أمرنا أن نكون معهم، وكلُّ هذه العناوين المتعددة تمثِّل المحور القطبي في دائرة الدِّين، وتشير الروايات العديدة من الفريقين إلى ذلك.

دور هذا المقام الاعتقادي في الدِّين

نحن نَدين عقيدة لله -تبارك وتعالى- بأنَّ العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام بلغ مرتبة الاصطفاء، والتي بلغ فيها مقام سيدنا جعفر الطيّار عليه السلام، والاصطفاء هنا لا يعني اكتساب يكتسبه من يشاء، أو أنّه يُعطى مجّاناً، لذا فالحديث عنه دقيق وحسَّاس.

كما أنَّ له مقامات أُخرى ندين بها من قبل الله -تعالى- مذكورة في نصوص أهل البيت عليهم السلام، ليست من باب التخرصات أو التمحّلات، وإنَّما هذه المقامات مقامات اعتقادية لها أثر تربوي وولائي وفقهي، وله آثار أخرى مهمة جدّاً، وليس الأمر كما نظن ونتخيل أنَّه مجرَّد مديح بل هو كما نقول ناموس الدِّين كما سيأتي.

ولذلك سنلج شيئاً فشيئاً في فهم هذه البحوث، مع الالتزام بالقوالب والقواعد المذكورة في نصوص القرآن الكريم ونصوص الروايات، ولكن بتحديد وفهم وتفسير معمق وغور كبير -إن شاء الله تعالى-، وهذا المضمار

(١) سورة الأحزاب / الآية ٣٣.

الذي نبحث فيه ليس جلسة من قبيل التواشيح، وأعظم بجلسة التواشيح في مدح أهل البيت عليهم السلام، وليست جلسة شعر، وأعظم بالشعر في أهل البيت عليهم السلام وأكرم، ولكن المقصود من هذا البحث هو فريضة اعتقادية وليس مجرد ترف في المعرفة، أو توسّع في المعرفة ليعرف الإنسان الدوائر التي تحيط بأقطاب هذا الدين، وتتلوهم في الفضيلة والمقامات والمناصب الدينية الإلهية، وأنَّه من اللازم على الإنسان لاستكمال المعرفة أن يتعرّف على بقية الطبقات والدوائر انطلاقاً من القرآن الكريم والروايات الشريفة..

أهل آية التطهير على مرتبتين و أهميتين مختلفتين في الدرجة

فإذا كان المراد من عنوان أهل البيت دائرتين، فهذا البحث ليس ندبياً، أو استحبابياً، وإنَّما هو فرض من فروض الاعتقاد والمعرفة؛ لأنَّ أصحاب آية التطهير أصبحوا على عدّة درجات مع اختلاف المراتب، وطبقاً لهذه الحقائق المهمة لابد من وجود موازين ونصوص تعرّفنا على بعض ما يتّسم به أفراد الدائرة الثانية من أهل البيت عليهم السلام نظير أبي طالب وجعفر وحمزة وأجداد وآباء النبي وعلي -صلوات الله عليهما وآلهما-، وزينب وعلي بن الحسين الأكبر وأبي الفضل العباس وأبناء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الطاهر والقاسم وإبراهيم وغير ذلك من بعض أولاد الأئمة الذين كانوا مرشحين للإمامة بنصٍّ من المعصومين، وبعبارة أخرى من لديه أهلية وقالب لتحمل منصب الإمامة كما نصَّت على ذلك جملة من الروايات، وفاطمة المعصومة فضلاً عن الجدّة العظيمة خديجة الكبرى، والتي يصفها المعصوم ويمدحها بقوله:

"السلام عليك يا بن خديجة الكبرى"، فلو لم يكن للسيدة خديجة مقاماً اصطفائياً فعقلا كيف يمدح بها المعصوم؟ وعلى العموم فكل هذه البحوث سنأتي عليها تفصيلاً.

قطع الطَّريق على الأدعياء والدّجالين

إحدى فوائد هذا البحث الذي نحن بصدده أنَّه يقطع الطريق على الأدعياء والدّجّالين في موضوع النيابة الخاصة، إذ تعلمون أنَّ كلَّ المعصومين عليهم السلام، ابتلوا منذ زمن سيد الأنبياء ثم سيّد الأوصياء -صلوات الله عليهما-، وهلم إلى الغيبة الصغرى مُنِيَ المؤمنون، ومنهاج مدرسة أهل البيت بالأدعياء الدجالين الذين يدّعون النيابة الخاصة، ومعرفة أفراد الدائرة الثانية قاطع للطريق أمام ضلالات هؤلاء الأدعياء سواء في زمننا، أو الزمن السابق، أو اللاحق وهذه إحدى الفوائد العظيمة لبحث أفراد الدائرة الثانية.

من القضايا المهمة التي ينبغي معرفتها أنَّ مواقع أصحاب الدائرة الثانية تهيمن على النوَّاب بالنيابة الخاصَّة كما

سيأتي البحث في ذلك، وتهيمن على موقعية الفقهاء، فموقعية السيدة زينب، والسيدة خديجة الكبرى، وقمر بني هاشم أبي الفضل العباس، وسيدنا أبي طالب، ومولانا الحمزة، وسيدنا جعفر الطيار، ومولانا علي الأكبر، وهلم جرا تهيمن على موقعية الفقهاء، وذلك شيء متسالم وواضح عند أفراد الدائرة الثانية، ولا يمكن لفقيه أن يتخطّى ممشى أفراد الدائرة الثانية، كما سنبيّن ذلك مفصَّلاً، إذ للبحث أبعاد عقائدية كبيرة كثيرة في الدِّين يعطي طابعاً ولوناً يلوّن مسار الدين بعد الأئمة الأربعة عشر-صلوات الله عليهم- ، وهذا الشيء ليس بالسهل ولا الهيّن، والحديث هنا يدور حول غصن تفرع من دوحة الشجرة النبوية كما عبّر عنه في الآيات والروايات الشريفة.

البعد الثاني: أسماء نجوم الدائرة الثانية لأهل آية التطهير

ليس محل كلامنا كل أفراد بني هاشم، وإن كان لبني هاشم احترام ووقار من جهة نسبتهم إلى سيِّد الرسل ﷺ، ولكن الكلام يدور حول أصحاب في الدائرة الثانية ونجومها:

قمر بني هاشم المولى أبو الفضل العباس عليه السلام، عبد الله والد سيد الأنبياء ﷺ، آباء وأجداد النبي وأمير المؤمنين عليهما السلام، وهذه السلسلة تصل إلى أسماعيل النبي ابن إبراهيم- صلوات الله عليهم- كلُّهم أوصياء بنص القرآن الكريم، وكذلك أبو طالب والد أمير المؤمنين علي عليه السلام وحمزة سيد الشهداء عم النبي ﷺ، وجعفر الطَّيار بن أبي طالب عليه السلام، وزينب الكبرى العقيلة عليها السلام، وعلي بن الحسين الأكبر عليه السلام المدفون بجنب والده سيد الشهداء.

والطاهر والقاسم أبناء سيد الأنبياء، وهما مدفونان في مقبرة المعلّى في الحجون بجنب والدتهم خديجة بنت خويلد-عليهم جميعاً سلام الله-.

كم توجد ثلة خاصة من بني هاشم، وأمّهات المعصومين كذلك، لهنّ نسب ببني هاشم، ولو نسب الأمومة للأئمة عليهم السلام أو لسيّد الأنبياء كالسيدة آمنة بنت وهب، والسيدة خديجة الكبرى، والسيدة فاطمة بنت أسد، وسيدنا إبراهيم ابن النبي الذي ورد في شأنه عن سيد الأنبياء شأن عظيم، والمحسن السقط ابن أمير المؤمنين، ومجموعة من أولاد الأئمة الاثني عشر الذين بدا لله في إمامتهم، وورد النص فيهم أنَّهم بدا لله في إمامتهم كإسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام، وسيد محمد بن الإمام الهادي(سبع الدجيل) -سلام الله عليهم جميعاً- . وكذلك فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليها السلام كما ورد النص على ذلك، والقاسم بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام .

وهذا كله طبقاً للنصوص الواردة التي سوف نعرضها -إن شاء الله تعالى-، بل أنَّ هناك نصوصاً قرآنية تحوي شبكة من المعلومات الجمَّة التي تدل على أنَّهم جميعاً من نجوم الدائرة الثانية لآية التطهير وقد أشار إليها

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام كما سيأتي، وأنَّ مكانتهم ومقاماتهم مركوزة في عمق تراث الدين والهوية الدينية بشكل ظاهر وجلي.

البعد الثالث: نماذج روائية مهمة، وإشارات استدلالية في خطورة العقيدة في الدائرة الثانية

ولكي يُلتفت إلى أهمية البحث نشير إلى ما جرى مع أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله سيد الشهداء في زمانه، ليلة غزوة أحد، اجتمع معه النبي بحضور فاطمة وأمير المؤمنين عليه السلام، أخذ النبي يُلقّن عمه حمزة ما سوف يسأل عنه في القبر، فقال صلى الله عليه وآله له: يا عم النبي إنَّك ستسافر سفرة بعيدة، وإنَّك مقبل على الله ولقاء الله، فأجهش حمزة بن عبد المطلب في البكاء لفراق النبي، والنبي صلى الله عليه وآله يقبّل جبهته، وفيها إشارة واضحة بالشهادة، فقال صلى الله عليه وآله في الرواية التي رواها المجلسي في البحار، وسنتعرض لها مفصّلاً إن شاء الله تعالى، قال: ياعم النبي (والنبي يخاطب عمه حمزة): إنَّك ستُسأل في القبر: سيسألك الله، من ربك؟ ،فتقول كذا وكذا ، من نبيك ؟ فتقول كذا وكذا. من إمامك ؟ وهكذا .

وستسأل عن فاطمة، وعليك أن تجيب بأنَّها سيدة النساء من الأوَّلين والآخرين، وسَتُسْأَل عن عمّ النبي حمزة، (حمزة يُسأل عن عم النبي حمزة)، وعليك أن تجيب بأنَّه سيد الشهداء وأسد الله وأسد رسوله .

ماذا يعني هذا ؟ النبي يقول لعمه حمزة إنَّك ستُسأل عن مقامك، و اللطيف ـ في الرواية ـ كما أخذ النبي على حمزة الإقرار والبيعة والشهادة بهذه البنود الاعتقادية، أخذها على علي بن أبي طالب عليه السلام وأخذها على فاطمة عليها السلام وأخذها على الحسن والحسين عليهما السلام، وذلك يعني أنَّ عليّاً عليه السلام لابد أن يقرّ بأنَّه أمير المؤمنين وسيد الوصيين، ويقرّ بأنَّ فاطمة سيدة نساء العالمين، وكذلك فاطمة لابد أن تقرّ بالتوحيد وبالنبوة وبالإمامة وبأنَّ بعلها سيد الأوصياء وأبنائها سادة الأوصياء، وبأنَّها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وكذلك الرسول صلى الله عليه وآله، نظير الآية الكريمة من قوله تعالى: (**آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ**...)[1]، بماذا آمن رسول الله صلى الله عليه وآله؟

آمن الرسول بأنَّه رسول، وبأنَّ ما ينزل عليه وحي، وذلك يعني أنَّ نفس الرسول صلى الله عليه وآله، وهو سيّد الكائنات وسيّد المخلوقات وسيّد الأصفياء يؤمن بهذا المقام الذي لديه، وهذا له معنى أنَّ صاحب هذا المنصب يؤمن بأنَّ هذا المنصب الاصطفائي قد اصطفي له، و هذا معناه الإقرار والإشهاد على نفسه بأنَّه رسول الله، فلذا فإنَّ بدن النبي ونفسه تشهدان بذلك، وليس هذا بالأمر المستغرب فهو مقام ومسؤولية إلهية لذا يقرّ بأنَّه ذو مقام ومسؤولية،

(١) (البقرة،٢٨٥)

كما هي سيرة النبي ﷺ عندما يقيم أو يتشهّد في الصلاة، ففي الروايات عن الأئمة عليهم السلام أنَّ النبي ﷺ في صلاته كان يقول تارة: أشهد أنِّي رسول الله، وتارة يقول: أشهد أنَّ محمَّداً رسول الله، فكانت هذه من ضمن البنود التي أخذ الإقرار والشهادة والبيعة بها.

والبيعة في الأصل: هي إقرار وتسليم بالعقيدة، ثم بالعمل والأمور السِّياسية وغيرها من الأمور.

فكان من تلقين النبي لحمزة عن الأمور الاعتقادية التي سيسأل عنها؛ أنَّ حمزة أسد الله وأسد رسوله، فمقام سيدنا الحمزة عليه السلام مقام خاص اعتقادي اصطفائي، وليس اكتسابيًّا، ولا أقصد هنا بالمقام الاصطفائي بأنَّه مقام يمنح بالجبر كما سنبيّن في المقدمات اللاحقة.

وبعد ذلك تابع النبي ﷺ تلقين حمزة، وستسأل عن ابن أخيك جعفر، فقل: أنّه الطَّيار ذو الجناحين في الجنان، فإن كان حمزة هكذا، فكيف بسائر المؤمنين العاديّين.

وقد وردت في مقامه –حمزة عم النبي– شؤون عظيمة، وهو الشافع، عندما يلوذ نوح ويلوذ ابراهيم يوم القيامة بمن يشهد لهما، فيشهد لهما حمزة، كما ورد في النصوص.

وربما يتبادر إلى الذهن بأنَّ هذا المعنى من المعاني السطحية، ولكن الرجوع إلى النصوص الشريفة يثبت هذا المعنى العظيم قد ورد في نصوص مستفيضة وأنّ لأبي الفضل العباس مقاماً كعمّه الطيار جعفر، بل ورد في روايات عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنَّ لأبي الفضل العباس ميزة أخرى يمتاز بها عن عمّه جعفر عليه السلام.

فأخذ النبي الإقرار من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومن فاطمة على إنّ جعفر هو الطيار ، وعلى إنَّ حمزة أسد الله وأسد رسوله وسيد الشهداء على هذه الأمور! فكيف بك ببقيّة الناس.

الاعتقاد بمقام العباس عليه السلام

ورد في عدة نصوص عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أنَّ العباس بن علي بن أبي طالب بلغ مقام الطيار، وأنّه بلغ هذا المقام الاعتقادي اصطفائياً، وسنسأل عن ذلك، ومن الواجب علينا حينئذ الاعتقاد بذلك، وهذه الرواية أشبه ما تكون كمنبه لنا.

إنّ أفراد الدائرة الثانية من أهل آية التطهير ليسوا في مرتبة الدائرة الأولى، ولكننا سنسأل عن مقاماتهم والاعتقاد بهم، والتّولّي بولايتهم، والتبرّي من أعدائهم، فكما أنَّ التولّي والتبرّي أمر مفروغ منه كما نلاحظ في

زيارات الأئمة المعصومين-صلوات الله عليهم- وكذلك في زيارة أبي الفضل العباس ﷺ وكذلك في زيارة حمزة في المدينة المنورة ، وكذلك في زيارة جعفر الطيار رزقنا الله وإيّاكم زيارته، هذه الشبكة النورية تتّصل بعضها مع بعض، و يجدر بالمؤمن الانتباه إلى حقيقة مهمّة في هذه الزيارات أنَّها ميثاق عقيدة، وهويّة اعتقادية.

إذاً فنحن سوف نسأل من حيث أنَّنا اطّلعنا على مقام أبي الفضل العباس ﷺ أم لم نطّلع وليس هذا بالأمر الذي يمثل زيادة في مستوى الثقافة، أو أمراً ترفياً، أو فضائل ندبية نتعاطاها بألسنتنا، كلَّا إنَّه أمر اعتقادي في الدِّين، وستأتي الأبحاث كلُّها متسلسلة - إن شاء الله تعالى- .

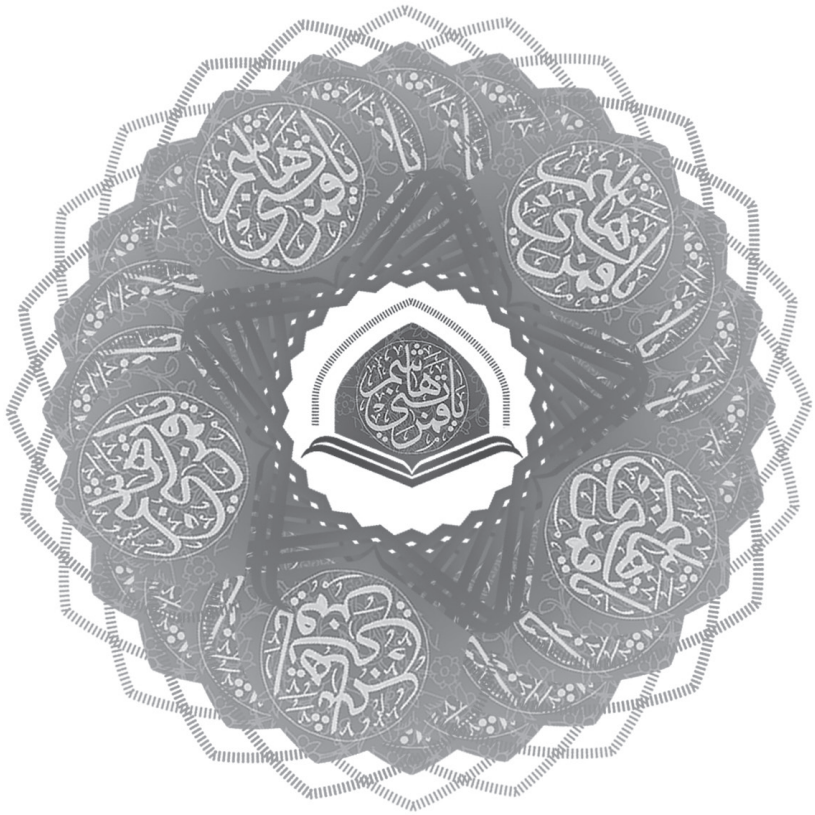

فلسفة الانتظار

الشيخ حيدر حسن

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين الى قيام يوم الدِّين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: (**فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ . ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ**)[1] صدق الله العلي العظيم.

ما هو الانتظار؟

ولماذا الانتظار؟

الإنسان في حياته يصاب بمشاكل كثيرة، وأحياناً تكون هذه المشاكل مستعصية الحل، ويصعب على الإنسان حلها، كما لا يمكنه من التكيف مع تلك المشاكل، سواء كانت مشاكل سياسية، مثل اضطهاد إنسان في بلده أو مشاكل اجتماعية، في بعض الأحيان، أو مشاكل قومية ومشاكل أخرى، ولعلَّنا نسمع ونعيش هذه المشاكل، وخاصّة في هذا العصر المليء بالمشكلات؛ لأنَّ الحضارة الغربية هي الحاكمة في عالم اليوم، وقد استطاعت الدخول حتى في بيوت المتدينين عبر التلفاز وغيره، فلذا المشاكل التي تعاني منها المجتمعات الغربية بدأت تظهر أعراضها في المجتمعات الإسلامية حتى في صفوفنا، وكثيرًا ما نسمع ونرى أنَّ الإنسان المؤمن في بعض الأحيان يعيش في

(١) سورة يونس/ الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.

دوّامة من المشاكل، فالثقافة الغربية اليوم تقصف بيوتنا بطريقة لا تنسجم مع الطريقة الإسلامية نهائيًا، ومن طرف آخر نجد أنَّ المؤمن يحاول أن يعمل حسب الشرع المقدَّس، وهذه الازدواجية توجد وتسبّب مشاكل كثيرة جدًّا، وخاصة أنَّ الكثير يتابع الأفلام والمسلسلات وأفلام الكارتون خاصة الصغار وهذه تقصف عقول المشاهد بالثقافة الغربية وإنتاج هذه الأفلام والمسلسلات والكارتون وأمثال ذلك ليس لملء الفراغ فقط، وإنَّما هناك علماء نفس وهناك مؤسسات اجتماعية منظمة، وترتب هذه الأمور، والإنسان يتأثر بما يرى .

قال رسول الله ﷺ: « **النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها خوفاً من الله، أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه** »[1]. قد تكون هذه الرواية في النظرة المحرَّمة الى الأجنبية أو الى الأجنبي ولكن الملاك أعم. النَّظر والبصر في كثير من الأحيان يكون طريقًا الى إبليس كسهام تدخل في عين هذا الإنسان ومخّه ترديه وتهلكه.

الإنسان الذي يعيش في مشاكل، وخاصة إذا كانت مشاكل ترافقها الصعوبة في الحل، ولكنه يمتلك أملاً وأفقاً، نرى أنَّ هذا الشخص يستطيع مواجهة تلك المشاكل، بل ويتغلّب عليها، أما إذا كان لا يمتلك هذا الأمل فإنَّه سينهار أمامها، ولأنقل لكم حالات تبيّن المطلب.

المريض الذي يبتلى بمرض صعب ومستعصي حينما يعطى الأمل، ولا يخبر بحقيقة حال، فإنَّ الاحتمالات تتزايد لشفائه، ولكن هذا الاحتمال يصبح معدوماً؛ حينما نقطع عنه الأمل بالشّفاء؛ لأنَّ نفس الإنسان تؤثر على جسمه، كما أنَّ جسم الإنسان يؤثّر على بدنه .

الإنسان المغموم يبتلى بأمراض بدنية أيضًا، والإنسان المسرور حتى الأمراض البدنية قد الروح تخففها أو تعالجها.

المقاتلون الذين هم في جبهة القتال إذا حوصروا من قبل العدو، ويعلمون بأنَّ العدو أقوى منهم، وأكثر منهم عددًا وعدّة، فهذا المقاتل وهؤلاء المقاتلون إذا علموا بأنَّه لا يوجد أي أمل بأن يأتي إمدادات لهم ينهارون ويستسلمون، لكن إذا عندهم أمل بأن هناك على كل حال قوات ستسعفهم بعد يوم بعد يومين أو بعد ساعات فإنَّهم يقاومون ويستمرون في القتال، وفي بعض الأحيان القادة يعطون أملاً كاذبًا للمقاتلين؛ حتَّى يمدوهم ويعطوهم معنويات نفسية وروحية؛ ليستمروا في المقاومة، ولعله تمكّن من أن يفك الحصار مثلاً فهذه الحالة النفسية تؤثّر على الإنسان إيجابيًا أو سلبيًا ولذا عد في القرآن الكريم الله عز وجل يقول اليأس من روح الله من أكبر المحرّمات، قال

(١) جامع الأخبار/ ص٩.

الله تعالى: (**وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**)[١].

الذي ييأس من روح الله ومن نصر الله -سبحانه وتعالى-، ومن رحمة الله، فهذا يصنف من ضمن الكافرين حتى إذا كان باللسان مؤمنًا، وهذا من أكبر المحرّمات، ويعد من الكبائر؛ لأنَّ اليأس من روح الله يسوق الإنسان الى ارتكاب أكبر الجرائم، عندما يئس من رحمة الله لا يتورّع من محارم الله -تعالى-.

حميد بن قحطبة كان واليًا على خراسان من قبل هارون العباسي، وقد ارتكب من الجرائم ما ارتكب.

يقول عبد الله بن البزاز: زرته في شهر رمضان في وقت الصيام فجاء بأكل(مائدة)، وجعل الطعام أمامه وقال:كل

فقلت له: أنا صائم ربما أنت مريض، الأمير مريض وهو معذور، ولكن أنا صائم.

فقال: لست مريضًا ولا شيء، ولكنِّي لست بحاجة للصيام ، والصلاة لاتنفعني.

فقلت: لماذا.

فقال: بعث إليّ هارون العباسي في ليلة من الليالي فأخذني، ووقفت أمامه.

قال: بماذا تفدي أمير المؤمنين؟

قلت: بنفسي والمال.

ضحك ثم قال: انصرف.

انصرفت ذهبت إلى بيتي .

بعد ساعة في نفس الليل وإذا بجلاوزته يأخذوني.

وقفت أمامه.

بماذا تفدي الأمير؟

قلت: بنفسي ومالي وأولادي والأهل والأولاد.

---

(١) سورة يوسف/ الآية: ٨٧..

ضحك ثم قال انصرف .

انصرفت بعد ساعة جلبوني مرّة ثانية.

بماذا تفدي الأمير؟

قلت: بنفسي ومالي والأهل والأولاد والدِّين.

فقال: خذ هذا السيف واذهب مع الخادم وأطع ما يقول.

ذهبت معه، أدخلني في سجن فيه ثلاث غرف في كلِّ غرفة فيها عشرون من العلويين، أخرجهم واحدًا واحدًا وأمرني بقتلهم، قتلتهم وقطعت رؤوسهم .

يقول قطع رؤوسهم وألقاها في البئر.

الأخير منهم قال له: بماذا تقابل رسول الله يوم القيامة؟

يقول عملت هذا العمل، فأي توبة أرجو وأي صلاة تنفعني وأي صيام .

يقول عبد الله بن البزاز قصصت ذلك على الإمام الرضا عليه السلام.

فقال الإمام الرضا عليه السلام إنَّ يأسه أعظم ذنبًا من قتله ستين علويًّا[1].

ولعلَّ البعض عاصر في العصور المتأخرة البعض من أمثال هؤلاء، فيجده يائسًا من رحمة الله؛ فيرتكب أي جريمة أخرى، في حين الذي يرتكب جريمة إذا لم يكن يائسًا من رحمة الله، ويعلم أنَّ باب التوبة مفتوح أمامه، والإنسان إذا تاب وأرجع ما في ذمته من حقوق للناس، وأدَّى حقوق الله تعالى، ثم قال استغفر الله ربي وأتوب إليه الله يغفر له الله الذنوب جميعًا حتى الجرائم الكبيرة.

اليأس يردي الإنسان ويهلكه ماديًّا ومعنويًا، وفي علم النفس يقولون بعض الناس نفسياتهم نفسيات فرهة، نفسيات متفائلة، نفسيات متأملة، نفسيات فيها الأمل هؤلاء ينجحون في حياتهم المادية، وهناك أناس متشائمون ينظرون الوجه السلبي من الحياة، والمظلم أو حسب المثل القسم الفارغ من الكأس، وهؤلاء الأشخاص دائمًا حياتهم محطمة، بل ويسبب تدمير نفسيات للآخرين. فرؤية المهموم والمغموم تسبب انقباض النفس، وتتأثر سلبًا

(١) عيون أخبار الرضا-عليه السلام-/ ج ١/ ص ١٠٨.

بذلك الشخص.

فالإنسان المتفائل والمنتظر للخير ينجح في كلِّ مجالات حياته، فإذا كان في تجارة ينجح في تجارته، وإذا كان في طلب العلم ينجح في طلب العلم، أمَّا المتشائم يفشل في كلِّ مجالات حياته.

انتظار الفرج من أفضل أعمال الأمة بل ومن أعلى مصادق التفاؤل بالخير كما روي عن رسول الله محمد ﷺ قال رسول الله ﷺ: **" أفضل أعمال أمّتي انتظار فرج الله عزّوجل"**[١].

إنَّ الأمة التي تنتظر الفرج لا تنهار في المشكلات والمحن، ومثال ذلك شيعة أهل البيت عليهم السلام على طول التاريخ ابتلوا بالحكام الظالمين، وكثيرًا من الأحيان يعيشون في مجتمعات ظالمة تضيِّق عليهم سبل العيش، وتقتلهم، وتشرّدهم، وتنفيهم من بلادهم.

إنَّ تاريخ الشيعة هو تاريخ العطاء والتضحيات الجسام، وتاريخ الآلام والمعاناة والمطاردة، والسجون، إنَّه تاريخ الإمام الحسين والإمام موسى بن جعفر عليهما السلام؛ ومع ذلك كلّه لم نتحطّم، ولم تستسلم لليأس، بل ازددنا على الرغم من قوّة الدمار تألّقاً وصلابة وقوة وإظهاراً لحقّنا وحقوقنا المهدورة المغصوبة . . وكل ذلك يعود الفضل فيه إلى ذلك الأمل العظيم الذي كان بمثابة الطاقة التي حرّكت عجلة مسيرتنا في التاريخ؛ إنَّه انتظار الفرج، الذي قال عنه رسول الله ﷺ: "أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج" .

ونحن كلّما عمّقنا هذه الفلسفة الإيمانية الحقّة في الأجيال المتلاحقة من أبنائنا وأحفادنا، استطعنا أن نصل إلى الأهداف المرجوّة، والغايات المنشودة .

إنَّ كياننا قائم على مجموعة من الركائز القوية المتينة، من أبرزها هذه العقيدة الراسخة في قلوبنا؛ أي فكرة ظهور الإمام المهدي -عجل الله فرجه-، وليس هناك فوق هذا الكوكب الذي نحيا عليه ورغم ما تزدحم وتتصارع فيه آلاف الأديان والمذاهب، بالإضافة إلى الأفكار والمبادئ والنظريات والفلسفات العديدة المنتشرة هنا وهناك؛ ليس هناك دين أو مذهب أو مبدأ واحد يقول أنَّ العلاقة بين الأرض والسماء، أو بعبارة أخرى؛ بين الإنسان وخالقه هي علاقة مستمرة كما هي عقيدة الشيعة، فنحن نؤمن باستمرار ودوام هذه العلاقة بين الإنسان وبارئه، ولا نرى انقطاعها كما هو الحال لدى أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى، حيث يقولون إنَّها انقطعت بوفاة النبي ﷺ

---

(١) بحار الأنوار / ج ٥٢ / ص١٢٢.

وانقطاع الوحي، ولا يعترفون بوجود إنسان يحيى على هذه الأرض ذي صلة بالله -سبحانه-، إلَّا أنَّه ليس بنبيّ .

فإذا نحن عشنا في حالة من الأمل، فهذه الحالة تسبّب أن لا ننهار، وأن نقوم بوظائفنا الدينية والاجتماعية حسب ما أرادها الله -سبحانه وتعالى-؛ لأنَّ الانتظار ليس معناه أنَّ الإنسان يضع رِجلًا على أخرى ويقول أنا منتظر، الانتظار يعني أن يؤدّي ما عليه من واجبات دينية، واجتماعية، وأسرية، ثم في المشاكل يحاول حل تلك المشاكل، وفي الأماكن التي يكون مستعصيًا عليه في تلك الحالة ينتظر، في الحديث الشريف روي عن الرضا عليه السلام أنَّه قال: " ما أحسن الصبر وانتظار الفرج ! أما سمعت قول العبد الصالح: (وارتقبوا إنِّي معكم رقيب وانتظروا إني معكم من المنتظرين) فعليكم بالصبر فإنَّه إنَّما يجئ الفرج على اليأس وقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم"[١]؛ لأنَّ الصبر معناه عدم الانهيار أمام المشاكل.

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام أنَّه قال ذات يوم: " ألا أخبركم بما لا يقبل الله عزوجل من العباد عملًا إلَّا به؟ فقلت: بلى، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا عبده [ورسوله] والإقرار بما أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا - يعني الأئمة خاصة - والتسليم لهم، والورع والاجتهاد والطمأنينة، والانتظار للقائم -عجل الله فرجه-، ثم قال: إنَّ لنا دولة يجيئ الله بها إذا شاء.

ثم قال: من سرَّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا هنيئًا لكم أيتها العصابة المرحومة"[٢].

فالإمام عليه السلام يشير إلى نوعين من العمل، عقائدي، وعملي، مثل الورع، والاجتهاد، والانتظار للإمام المهدي- عجل الله فرجه- فالانتظار الدرجة الأخيرة، فعليك أن تهيّئ مقدّمات الانتظار، وأن تكون ورعًا ومجتهدًا، وأن تبذل جهدك، وأن تكون نفسك مطمئنَّة.

اِنتظار الفرج يعني أن يكون الإنسان موالياً للأئمة، ومتبرّئاً من أعدائهم، وأن يكون من أهل الورع والاجتهاد في العمل الصالح، ويصلح نفسه قبل غيره، وأن يكون مطمئنًّا أنَّ أعماله تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، فلا يفعل إلَّا ما يسرهم ويرضيهم، وأن يكون محارباً لنفسه، ومجاهداً لشهواته، وصابراً في مرضاة الله تعالى، وأن يكون ممتثلاً لأوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ولاسيما إمام الزمان الذي يأمرنا بطاعة وكلائه العدول،

(١) بحار الأنوار / ج ١٢ / ص ٣٧٩ .

(٢) المصدر نفسه / ج٥٢ / ص ١٤٠.

والجامعي للشرائط، والسير على نهجهم، ومتأسّيًا برسول الله ﷺ، ومتخلّقًا بأخلاق الله تعالى «تخلّقوا بأخلاق الله»، **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)**[1]، و أن يتّصف بكلِّ صفات النصير للإمام عليه السلام حتى يتسنّى له الادعاء أنَّه من أنصار الإمام عليه السلام.

فنظام المنتظر لا معنى للكسل فيه، فهو نظام يقوم على العدل، والعمل والتّقوى، ولكن البعض يأخذ الانتظار بمفهومٍ خاطئ ألا وهو انتظار الفرج لأجل حل مشكلة خاصة.

وبناءً على ما تقدم يجب على كلِّ مؤمن موالٍ أن يفكِّر في مؤهّلاته التي هو عليها الآن، ويسأل نفسه هل هو مؤهّلاً ليكون من المنتظرين؟ أو من الأنصار للإمام عليه السلام؟ فإذا لم يكن كذلك ولم يكن تتوافر فيه الشروط السابقة فلابُدَّ له حينئذ من تزكية النفس عن قذارة الدنيا، ولابد له من الكدح والعمل للوصول إلى القرب الإلهي، ولابد له من الورع والابتعاد عن الشبهات، ولابد له من التخلق بالأخلاق العليا في القول والفعل، ولابد له من جعل الظاهر والباطن واحداً إلا في تقية، ولابد له من الامتثال الكامل لأوامر الإمام -عجل الله تعالى فرجه-، ولابد ولابد ولابد...وبخلاف هذا سيكون الكلام مجرّد ادعاء ويبقى المرء بعيداً عن الإمام -عجل الله تعالى فرجه-، مهما أعطى لنفسه من عناوين ومناصب.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا، وإيَّاكم من المنتظرين .

---

(١) سورة الأحزاب/ الآية: ٢١.

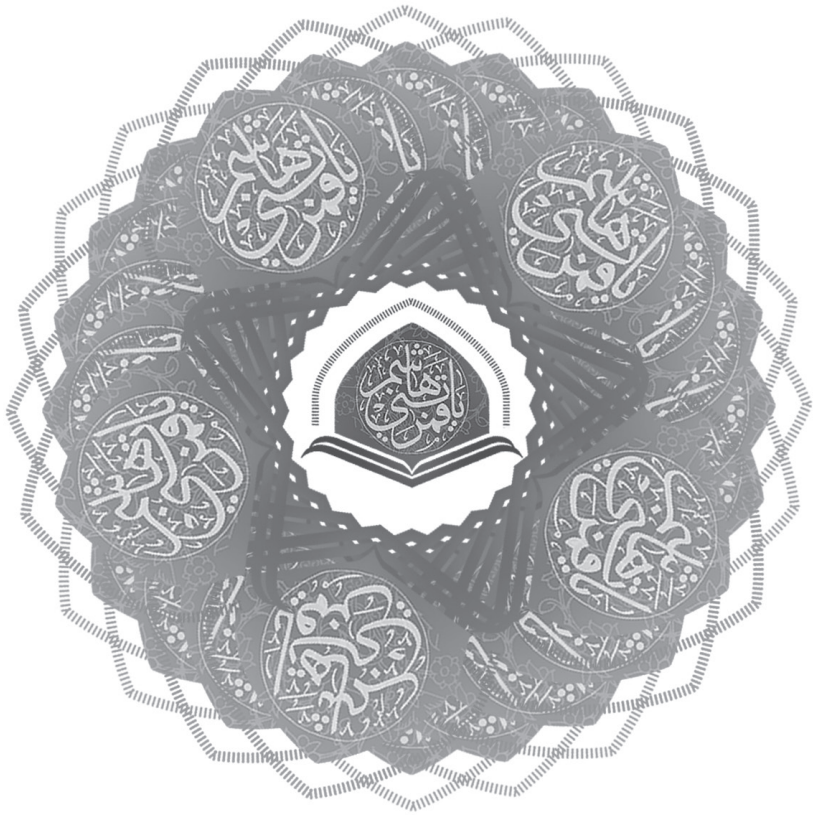

نحن من يعجّل الفرج

السيد عصام الخرسان

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين الى يوم الدين.

قال الله -تعالى- في كتابه الكريم (**اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**)[١].

الله -سبحانه وتعالى- له حكم تكويني، وحكم تشريعي، فالحكم التكويني بمعنى جعل وخلق هذا الكون وجعل قوانين طبيعية تكوينية لتسيير أمور الكون، فالله -سبحانه وتعالى- يدبِّر أمور الكون بهذه القوانين؛ لأنَّ حكمته -سبحانه وتعالى- اقتضت أن يجعل الأمور عبر أسبابها.

النظام التكويني لا خلل فيه، وبعبارة أخرى يمكن التعبير عنه مجازيًا بقولنا: إنَّ النظام الكوني معصوم لا يحتمل فيه الخطأ . فالنار تحرق، ولايمكن في يوم من الأيّام بدل من أن تحرق تعطي البرودة، إلَّا في حالة الإعجاز يمكن أن تتغير القوانين كما في قصّة نبي الله إبراهيم(عليه السلام)، قال الله -تعالى-: (**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ**)[٢].

(١) سورة الشورى/ الآية: ١٩.

(٢) سورة الأنبياء/ الآيات: ٦٨-٧٢.

فالجاذبية قانون تكويني جارٍ، وهكذا جميع القوانين التكوينية الأخرى لا احتمال للخطأ فيها: **(ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ)**[١] **(الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ)**[٢].

ما معنى هل ترى من فطور؟

يعني انظر الى السموات فلن تجد خللًا، فكل القوانين تسير مطابقة للواقع، ولا يوجد احتمال للخطأ فيه.

هذه حقيقة بالنسبة للنظام التكويني. وكذلك بالنسبة للنظام التشريعي، فالحكم التشريعي الذي شرَّعه الله سبحانه وتعالى لا مجال للخطأ فيها، وهي أحكام صحيحة لا جهل، ولا خطأ فيها .

إنَّ جهلنا بالقانون التكويني أو التشريعي لا يغيّر في حقيقتهما من الواقع شيئًا فالله -سبحانه وتعالى- أحكامه التكوينية والتشريعية مطابقة للواقع، ولذلك نلاحظ القوانين الشّرعية تطابق تركيبة الإنسان الجسدية والنَّفسية والعقلية والروحية تطابقًا تامًّا؛ لأنَّ الذي خلق الإنسان في هذه الصورة هو الذي شرّع القوانين التي تناسب هذا الإنسان؛ لذا الله -سبحانه وتعالى- في سورة آل عمران يقول: **(إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)**[٣].

إنَّ عدم الاعتراف بالقوانين التكوينية والتشريعية لا يغير من آثارها شيئًا، فعدم الاعتراف بقانون الجاذبية لا يغير من القانون فمن يلقى من مكان عالٍ فهذا سيسقط على الأرض ويرتطم بالأرض وقد يموت أو يتأذَّى وتتهشَّم أضلاعه، وعدم اعترافه لم يغير الواقع، وإذا جاء شخص، وقال أنا لا اعترف بالصلاة، والصوم، والحجاب، فعدم اعترافه لا يغيّر من الواقع شيئًا.

هناك تطابق تام بين القانون التكويني والقانون التشريعي وإذا راجعنا الأحكام التشريعية ترى هذه

---

(١) سورة الملك/ الآية: ٤.

(٢) سورة الملك/ الآية: ٣.

(٣) سورة آل عمران/ الآيات: ٥-٧.

الأحكام الشرعية تتطابق مع التكوين، يعني مثلاً الله -سبحانه وتعالى- أنزل هذا الدِّين، وخلق الإنسان ليرحمه (**إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**)[١] الله خلق الإنسان لا لحاجة من الله الى الإنسان؛ لأنَّ الله هو الغني المطلق، وإنَّما خلق الإنسان ليرحمه، ولكن كيف الإنسان يكون قابلاً لهذه الرحمة؟

والجواب بالعبادة (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**)[٢]، ولكن هل يعقل أنَّ الله -سبحانه وتعالى- الذي خلق الإنسان لهذا الغرض يشرع قانون يبعد الإنسان عن العبادة؟

كلا، غير معقول؛ لأنَّ التشريع لا يخالف التكوين، والبعض يسأل لماذا لا يجوز للمرأة المسلمة أن تتزوّج بكافر؟

الجواب؛ لأنَّ الزوج له تأثير على الزوجة كما هو أمر واضح، الله -سبحانه وتعالى- الذي يريد لهذه المرأة الهداية هل يشرع قانونًا يتعارض مع الهداية أن تضل هذه المرأة بسبب دين زوجها؛ لذلك لم يشرع الله -سبحانه وتعالى- هذا الحكم الذي يخالف التكوين .

أو هل الله -سبحانه وتعالى- شرع أن يسيطر على المسلمين كافر؟ كلا: (**وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**)[٣].

هذا ليس معناه أنَّ الله -سبحانه وتعالى- يمنع سيطرة الكافر التكوينية؛ لأنَّنا نرى الكفّار في التاريخ في كثير من الأحيان سيطروا على المسلمين مثل فلسطين، وغيرها من البلدان الإسلامية في الصين وروسيا، ولكن معناه أنَّ الله -تعالى- لم يجعل حكمًا تشريعيًّا يشرّع بأنَّه يجوز أن يحكم المسلمين كافر؛ لأنَّ الحاكم يؤثِّر على المحكوم، والمحكوم في كثير من الأحيان يتماهى مع الحاكم، ويحاول أن يقلّد أساليب الحاكم حتى في دينه.

وتشريع حكم الكافر يسبِّب ضلال كثير من الناس؛ لذا نجد الله -تعالى- لا يشرّع هذا الأمر الذي يعلم بتركيبة، ونفسية وروحية عباده.

وخلاصة هذا المقدمة أنَّ الله حكيم، والحكيم لا ينقض الغرض من تشريع الأحكام التكوينية والتشريعية، بل هناك تطابق عجيب بينهما.

---

(١) سورة هود/ الآيات: ١١٩.

(٢) سورة الذاريات/ الآية: ٥٦.

(٣) سورة النساء/ الآية: ١٤١.

غاية الله -سبحانه وتعالى- الذي شرع هذه القوانين للإنسان يريد له السعادة، لذلك شرّعها ووفّر الأجواء المناسبة ولو بعد حين؛ لتجد طريقها إلى التّنفيذ، هذا أمر بديهي أصلًا، فالغرض رحمة الناس عن طريق عبادتهم، والله -سبحانه وتعالى- لطيف، ومن معاني اللطيف أنَّه بار من البر؛ لأنَّ اللطيف له معاني عديدة فهو اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: العالم بدقائق الأمور وغوامضها، الذي لطُف عن أن يُدرك بالكيفيَّة ، البرُّ بعباده الذي يلطُف بهم من حيث لا يعلمون ويُهيّئ مصالحهم من حيث لا يحتسبون، ومن معانيه المستولي على الأشياء الدقيقة كما هو مستولي على الأشياء العظيمة، ومن معانيه أنَّه لا يُرى ولا يمكن رؤيته؛ لأنَّ الله أجلّ من أن يُرى، ومن معانيه الرّحيم بعباده وفي حديث عن رسول الله محمدﷺ والذي نفسي بيده، الله أرحم بعباده من الوالدة المشفقة على ولدها"[١].

ولكن هذه الحكمة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحكمة، والحكمة هي وضع الشّيء في موضعه .

ولأضرب لك مثالًا إذا كنت تعلم أنَّ هذا الرجل الذي يتكفّف الناس، ويسألك مالًا، ولكنه يريد أن يشتري بهذا المال الذي تدفعه له صدقة يشتري به مخدرات، أو يشتري به سلاحًا يقتل به بريئًا هل تساعده؟

وتقول هذا فقير، ويجب أن أقدِّم له يد العون؟

الجواب: كلا بل يجب أن أكون حكيماً.

وعلى كل حالٍ الله -سبحانه وتعالى- لطيف بعباده، بارّ بهم، ويريد الخير لعباده؛ ولأنَّه لطيف بعباده، ويريد هدايتهم فكلُّ شيء يقف حجر عثرة أمام هذه الهداية يزيله ويبعده الله -سبحانه وتعالى-: (**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**)[٢].

الله -سبحانه وتعالى- خلق الكون وأخذ عهداً بزوال المبادئ الباطلة، والأشخاص المنحرفين، ولو بعد حين (**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**)[٣]، على يد وليّه الأعظم الإمام المهدي -عجل الله تعالى فرجه الشريف-، وجعلنا وإياكم من أنصاره وأعوانه والمستشهدين بين يديه لأنَّ هذا تقدير يطابق التشريع وعدم تقديره هو خلاف الحكمة؛ لأنَّ الله -سبحانه وتعالى- يريد الفلاح لعباده، ويريد

---

(١) مشكاة الأنوار/ ٩٦.

(٢) سورة الاسراء/ الآية: ٨١..

(٣) سورة التوبة/ الآية: ٣٣.

الإيمان لهم، ويريد الهداية لهم، وأي شيء يقرّب الإنسان الى الهداية جعله الحق ويثبت: (**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ**)[١].

فالزبد لاينتفع به كما ينتفع بما يخلص بعد الزبد من الماء والذهب والفضة، وعندما ننظر الى الماء الجاري المتحرك ترى الزبد عليه الأوساخ، عليه صوت عالٍ، لكن هذا لا يفيد، كما أنَّك اليوم ترى أهل الباطل صوتهم عالٍ جدًّا فهم يملكون إعلامًا وصوتًا وضجيجًا، ولهم الملك والحكم (**وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**)[٢] تراه هو المالك هو الحاكم، الأموال بيده، السلطة بيده، مستأثر بالمال، مستأثر بالسلطة، ويضطهد المؤمنين وكذا، لكن هذا زائل، ولا يبقى.

إنَّ الله -تعالى- جعل مسألة ظهور الإمام المهدي -عجل الله فرجه الشريف- أمراً طبيعياً مسلماً ضمن قوانين الكون، ولكن الله -سبحانه وتعالى- جعل الأمور في أوانها، وبعض الأحيان هذه الأوقات ليست بيدنا، فأنت حينما تغرس فسيل النخيل فإنَّ نموّها يحتاج الى زمان قد يكون أربع سنوات أو خمس سنوات أو أكثر من ذلك، ولا تستطيع أن تغيّر القانون وتعجّل في نمو هذه الشجرة، أو إذا كان عندك طفل، وتريد أن يكون عالمًا أو مهندسًا أو طبيبًا فلا توجد طريقة أن تجعله في اليوم نفسه فقيهًا أو عالمًا، أو طبيبًا أو مهندسًا، وإنَّما يحتاج ذلك إلى زمان لينمو عقله وجسمه، وأن يدرس لسنوات طوال إلى أن يصل إلى النَّتيجة.

ظهور الإمام يحتاج لزمان، وهذا الزمان متوقّف على قابلية الناس، وأن تكون عندهم قابلية لاستقبال هذه النّعمة الكبرى.

مسؤوليتنا أن نوجد في أنفسنا القابلية؛ لنكون من أنصار الإمام، فالإمام وظهوره من الأمور التي لا بُدَّ أن تتحقّق ولو بعد حين، ضمن طريق القضايا الطبيعية، فرسول الله ﷺ أفضل من الإمام المهدي، رسول الله ﷺ كانت له معاجز ومعاجز كثيرة لكن طريق الهداية الذي سلكه رسول الله كان طريقًا طبيعيًّا.

في مكة ظهر وبعث من قبل الله-سبحانه وتعالى-، وبلَّغ ابتداءً من العشيرة الأقربين ثم أهل مكة ثم أهل الطائف وأماكن أخرى في شعب أبي طالب، وقد صرف أموالاً كانت تملكها السيدة خديجة الكبرى، لكنّها جعلتها

---

(١) سورة الرعد/ الآية: ١٧.

(٢) سورة يونس/ الآية: ٨٨.

تحت تصرفه، والرسول في المدينة أيضًا نهض بأعباء الدعوة بطريقٍ طبيعي، وفي بدر، وأحد، كلّها كانت تجري وفق الأسباب الطبيعية، كما أرسل المبلّغين، وجاهد، وتحمّل المصائب في سبيل نشر هذا الدين .

كذلك الإمام المهدي، وإن كانت له معجزات فبيده عصا موسى -على نبيّنا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام- تلقف ما يأفكون، بيده خاتم سليمان، بيده أشياء أخرى من مواريث الأنبياء لكن أكثر أمور الإمام أيضًا بالطريقة الطبيعية كرسول الله ﷺ وفي الحديث الشريف هو يسير سيرة رسول الله ﷺ وسيرة أمير المؤمنين-عليه السلام- .

من جملة الأمور أنَّ الإمام يحتاج الى أنصار، ولكن ينبغي أن يكون الناس بالمستوى المطلوب من حيث العلم والدين، من حيث التقوى، من حيث الورع، من حيث تحمّل المصائب، وعدم الفرار من المشاكل، ومعنى عدم وجودهم بالمقدار الكافي فإنَّ ذلك يعني عدم ظهور الإمام، لكن إذا أوجدوا في أنفسهم القابلية فالحكمة تقتضي أن يعمل بالبر فيظهر الإمام لهم.

وجود القابلية في أنفسنا بطاعة الله وترك معاصيه بالتفقّه بالدين، وما الى ذلك، هذا المصداق الأجلى، وكلُّ واحد يمكن أن يكون متفقّهًا بالدِّين، ويعرف المسائل الشَّرعيّة حتى لو كان موظّفًا أو تاجرًا أو عاملًا، فإذا تفقّهنا في الدِّين وهذّبنا أنفسنا، واتقينا الله بتركنا معاصيه والعمل بطاعاته، ووصولنا لهذه الدرجة يعني نظرة الله تعالى لنا بعينٍ رحيمة.

ولذا في الحديث الشريف: "أنَّ الله تعالى يصلح أمر المهدي عليه السلام في ليلة واحدة"[١] يعني يقدر ظهوره إذا الله -سبحانه وتعالى- هذه الليلة رأى قابلية الناس لظهور الإمام في هذه الليلة يظهر الإمام .

لذلك يمكن الإشارة بصورة مجملة إلى أهم الوظائف في زمن الغيبة:

الوظيفة الأولى: الأخلاق الحسنة

إنَّ عصر الغيبة الكبرى عصر مليء بالمغريات، وعلينا لكي نكون من المرضيّ عنهم عنده -عجل الله تعالى فرجه الشريف- أن نلتزم بكلِّ أحكام الدين والصفات التي وصف الله -تعالى- بها المؤمنين، فالمثابرة على الطاعات والالتزام الكلّي بالأحكام الإلهية هو من أهم الوظائف.

---

(١) معجم أحاديث المهدي عليه السلام/ ج٤/ ص١٥٩.

وأي عبارة أهم من الكلمة الواردة في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: (إنَّ لنا دولةً يجيء الله بها إذا شاء. ثم قال عليه السلام: من سرَّه أن يكون من أصحاب القائم -عجل الله تعالى فرجه الشريف- فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا هنيئًا لكم أيّتها العصابة المرحومة)[١].

الوظيفة الثانية: التوبة النصوحة

فقد ورد في التوقيع المبارك عنه -عجل الله تعالى فرجه الشريف-:

(فما يحبسنا عنهم إلا ما يتّصل بنا ممّا نكرهه، ولا نؤثره منهم، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته على سيّدنا البشير النذير، محمد وآله الطاهرين وسلم)[٢].

والمراد من التوبة هنا التوبة الحقيقة لا مجرّد اللقلقة باللسان بذكر أستغفر الله، التوبة بالقول والعمل، وقد بيّنت الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام شرائطها:

" إنَّ الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان:

أولها الندم على ما مضى

والثاني العزم على ترك العود إليه أبدا

والثالث أن تؤدِّي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله سبحانه أملس ليس عليك تبعة

الرابع أن تعمد إلى كلِّ فريضة عليك ضيعتها فتؤدّي حقّها

الخامس أن تعمد إلى اللحم الذي تنبّت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد باللحم وينشأ بينهما لحمٌ جديد

السادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية"[٣].

---

(١)بحار الأنوار / ج ٥٢/ ص ١٤٠.

(٢) المصدر نفسه/ ج ٥٣/ ص ١٧٨.

(٣)الكافي/ ج٢ / ص ٤٣١.

الوظيفة الثالثة: المرابطة

والمرابط في سبيل الله تعالى على نوعين: المرابطة المعروفة بين الناس هي الذهاب إلى الثغور والبقاء هناك على يقظة لحفظ حدود بلاد الإسلام من الغزاة، وهذه المرابطة هي النوع الأوّل، وقد جاء في فضلها الكثير من الروايات الشريفة منها ما روي عن رسول الله الأكرم ﷺ: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)[١].

وفي رواية أخرى عنه ﷺ: (رباط يوم خير من صيام شهر وقيامه)[٢].

وأما النوع الثاني من المرابطة فهو يختص بمنتظري صاحب العصر والزمان -عجل الله تعالى فرجه الشريف-، وكيفيته أن يعد الإنسان نفسه وسلاحه لظهوره المبارك، ويكون على استعدادٍ دائم لنصرته، ففي الرواية عن أبي عبد الله الجعفي قال: قال لي أبو جعفر محمد بن علي الباقر: (كم الرباط عندكم ؟ قلت: أربعون قال: لكن رباطنا رباط الدهر، ومن ارتبط فينا دابّة كان له وزنها ووزن وزنها ما كانت عنده، ومن ارتبط فينا سلاحًا كان له وزنه ما كان عنده، لا تجزعوا من مرة ولا من مرتين ولا من ثلاث ولا من أربع، فإنّما مثلنا ومثلكم مثل نبي كان في بني إسرائيل فأوحى الله عز وجل إليه أن ادع قومك للقتال فإنّي سأنصرك فجمعهم من رؤوس الجبال ومن غير ذلك ثم توجّه بهم فما ضربوا بسيف ولا طعنوا برمح حتى انهزموا، ثم أوحى الله تعالى إليه أن ادع قومك إلى القتال فإنّي سأنصرك، فجمعهم ثم توجّه بهم فما ضربوا بسيف ولا طعنوا برمح حتى انهزموا، ثم أوحى الله إليه أن ادع قومك إلى القتال فإنّي سأنصرك فدعاهم فقالوا: وعدتنا النصر فما نصرنا فأوحى الله تعالى إليه إما أن يختاروا القتال أو النار، فقال: يا رب القتال أحبّ إليّ من النار فدعاهم فأجابه منهم ثلاثمائة وثلاثة عشرعدة أهل بدر فتوجه بهم فما ضربوا بسيف ولا طعنوا برمح حتى فتح الله عز وجل لهم)[٣].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**)[٤]قال عليه السلام: (اصبروا على المصائب، وصابروا على الفرائض، ورابطوا على الأئمة)[٥].

---

(١) ميزان الحكمة/ ج ١ / ص ٤٤٩.

(٢) المصدر نفسه/ ج١/ ص٤٤٩.

(٣) الكافي/ ج ٨ / ص ٣٨٢.

(٤) آل عمران/ ٢٠٠.

(٥) بحار الأنوار/ ج ٢٣ / ص ١٢٨ .

الوظيفة الرابعة: الدعاء بتعجيل الفرج

فقد ورد في مكاتبة له -عجل الله تعالى فرجه الشريف- " وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإنَّ ذلك فرجكم"[١]. بل نجد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام:

"ومن قال أيضاً عقيب ظهر الجمعة سبع مرّات: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد وعجّل فرج آل محمد كان من أصحاب القائم عليه السلام"[٢]. وهذا ما نلاحظه في العديد من الأدعية أيضاً كدعاء العهد: " اللهم واكشف هذه الغمة عن هذه الأمة بحضوره، وعجل لنا فرجه وظهوره، إنَّهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ".

(١) بحار الأنوار / ج ٥٢ / ص ٩٢.

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي-عجل الله فرجه-/ ج٤/ ص ١١٤..

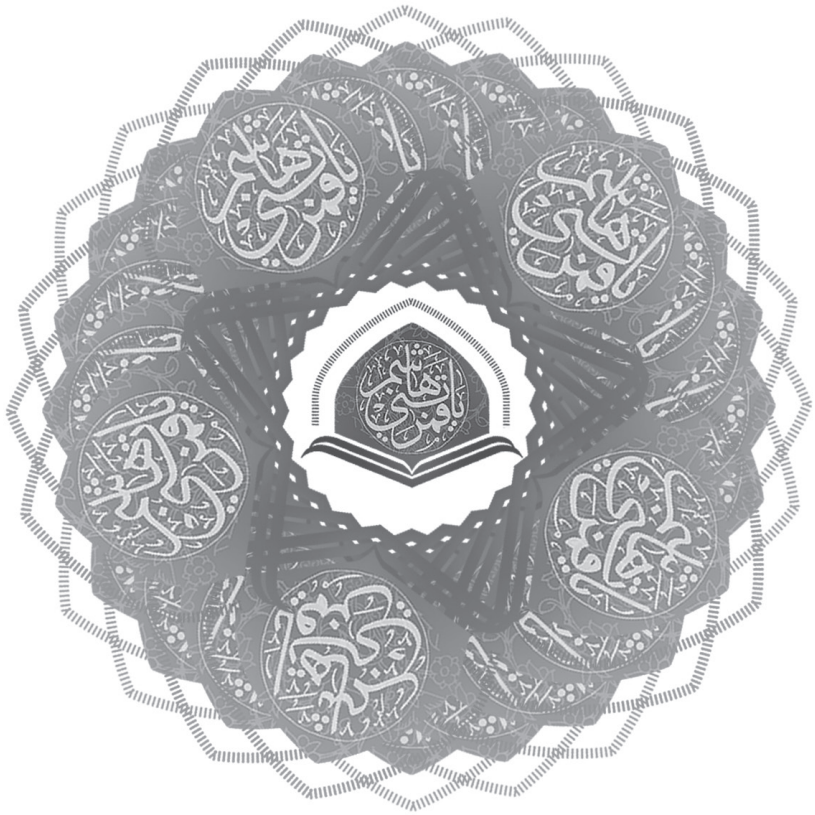

أوصاف علي الأكبر عليه السلام

محمّد علي عابدين

تمتّع آل الرسول صلى الله عليه وآله بأوصاف جميلة وصفات جليلة، أوصاف ظاهرة على شخصيّاتهم للعيان، وصفات كامنة تتجلّى منهم عند التعرّف إليهم ومعايشتهم كما لاحظها وعايشها المعاصرون لهم.

تمتّعوا بتجميع الكمالات لديهم دون استثناء أو افتقار لشيء صغير أو كبير، تمتّعوا بتجمّع كبريات المواصفات وحُسنيات الصفات النبيلة الساميات؛ فلم يتركوا جميلاً جليلاً إلّا ولهم فيه خصوصيّة، وما من قبيح حقير إلّا ولهم في النهي عنه وحربه ممارسات وظيفية؛ ذلك لأنّ تمتّعهم بما ذكرنا هو من أخصّ خصوصيّاتهم التي أهّلتهم للرسالة، بل هو ـ بتعبير أدقّ ـ من أهمّ اختصاصاتهم؛ إذ إنَّهم ينبغي أن يكونوا في مستوى ما يدعون إليه.

وليس من المعقول أن يكونوا روّاداً لنظريّات ومبادئ وهم بعيدون عنها أو يفتقرون لمؤهّلاتها ومتطلّباتها؛ سواء أثناء الدعوة أم خلال التطبيق لما لديهم من مقرّرات؛ فالنظرية والتطبيق ممّا لا يمكن فصلهما قطّ، وبذلك فإنَّ اختصاصهم الفعّال هو كونهم المثل الأعلى والقدوة الحُسنى.

ولو قمنا باستقصاء النظر في مميّزاتهم، واستقرأنا مواصفاتهم وأخصّ خصوصيّات شخصيّاتهم لما عدونا علي الأكبر عليه السلام عنهم فيما كانوا عليه ممّا لم يشاركهم أحد فيه، بل هو في ذروة المميّزات، وله الحظّ الأكبر والقسط الأوفر منها؛ بحكم أنّه شبيه جدّه النبي صلى الله عليه وآله الذي حاز قصب السبق؛ إذ كان الأوّل كما كان المنبع والمصدر صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

وما قولنا بأنَّه شبيه جدّه رسول الله ﷺ مأخوذ من راوٍ أو مؤرّخ أو شاهد عيان بسيط ومعاصر عادي، وإنَّما هو مأخوذ عن شاهد دقيق النظر، صادق صدوق ؛ فقد صرّح بذلك والده الإمام الحسين عليه السلام، وعنه روى الراوي وأرّخ المؤرّخ، ولاسيّما وأنّ الإمام عليه السلام أعرف الناس برسول الله ﷺ، وأكثرهم التصاقاً به، وأشدّهم تعلّقاً به، كما إنَّه ورث منه واكتسب عنه.

فلمّا ولد نجله علي الأكبر وشبّ يافعاً فقد أخذ يوحي بصورته وأخلاقه ومنطقه إلى الرسول ﷺ، فأضحى ذكراه وتذكاره حتّى كان الناس من أهل المدينة يشتاقون لرؤياه -سلام الله عليه-.

ثمّ ليس أكثر من أبيه الإمام الحسين عليه السلام حضوراً لملامح جدّه ومعالم تلك الشخصيّة العظيمة؛ وعليه فإنَّ كلامه ـ والذي سنسجّل نصه في القسم الثاني بمكانه المناسب ـ الذي يؤكِّد محاكاة علي عليه السلام للنبي ﷺ، وأنّه أشبه الناس به خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً، كلام بمستوى الحضور الحقيقي.

وكان «علي الأكبر» من أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً[١] حسبما اتّفق المؤرِّخون فضلًا عن اتّفاقهم وإجماعهم على مضمون تصريح أبيه الحسين عليه السلام من كونه مثيل الرسول ﷺ من حيث الخلقة والأخلاق والنطق.

وحري بنا أن نعود لتسجيل بعض ما ورد عن النبي الأعظم بالذات، فقد كان ﷺ يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذب ـ أيّ الطويل القامة ـ، عظيم الهامة، رجل الشعر [٢]، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ في غير قرن[٣]، بينهما عِرق يدرّه الغضب، أقنى العِرنين[٤]، وله نور يعلوه يحسبه من لم يتأمّله أشم [٥]، كثّ اللحية[٦]، سهل الخدين [٧]، أدعج، ضليع الفم[٨]، أشنب مفلج الأسنان [٩]، دقيق

---

(١) لواعج الأشجان // ١٣٦.

(٢) رجل الشعر: أيّ ليس بمجعد ولا مسترسل.

(٣) أيّ دقيق وطويل الحاجبين. والسوابغ : الاتّصال بينهما.

(٤) أيّ محدب الأنف

(٥) الشمم: ارتفاع في قصبة الأنف مع استواء أعلاه.

(٦) أي كثيف الشعر في اللحية.

(٧) أي قليل اللحم.

(٨) يعني واسع وعظيم الفم.

(٩) أشنب الأسنان: أيّ أبيضها. ومفلج: أي مفرج بينها.

المسرُبة[١]، كأن عُنقه جيد دُمية في صفاء الفضّة، معتدل الخلق بادناً متماسكاً، سواء البطن والصدر، عريض الصدر ... حتّى يقول : خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُلّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه ويبدر من لقي بالسلام[٢]. تلك بعض أوصافه المقدّسة.

ومن بعض صفاته الجليلة تقرأ : كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليس له راحة، ولا يتكلّم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه [٣]، ويتكلّم بجوامع الكلم، فصلًا لا فضولًا ولا قصيراً فيه.

دمثاً [٤]ليس بالجافي ولا بالمهين، يُعظم النعمة وإن دقّت، ولا يذم منها شيئاً، ولا يذم ذوّاقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، إذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتّى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، وإذا غضب أعرض وأشاح [٥]، وإذا فرح غضّ من طرفه. جُلّ ضحكه التبسّم[٦] . وغير تلك الصفات والأوصاف الشيء الكثير لذلك الرجل الكامل، سيّد الكمالات وصاحبها.على أن ما يروى بهذا الصدد إنّما هو محاولة لتقريب شخصه الشريف للأذهان.

وبعد، فلنا أن نؤكّد حقائق هامة قبل أن نختم الموضوع، فنقول: بأنَّ حرصنا للوقوف على الأوصاف والصفات، وتأكيد التقاء علي الأكبر بالنبي الأعظم ﷺ في مميّزاته يرجع إلى أسباب هامّة ومبررات موضوعيّة جادّة، منها مثلاً :

١ ـ إجلاء الشخصيّة الحيوية السامية، لا لأنّها منتسبة إلى الرسول ﷺ، وإنّما لما اتّسمت به ممّا توفّر في شخص الرسول ﷺ بالذات، ولمضمون الشخصيّة ومحتواها، وبحكم أنّها تشكل المثل الأعلى.

٢ ـ إنّ الانتساب للرسول ﷺ كان يكفي للاحترام والامتناع عن القتل، ولكن الأوصاف والصفات كانت تشكّل حجّة أكبر بجمعها مع النسب الشريف المقدّس؛ ومن هنا كان العدوّ يخشى قتل علي الأكبر أو يتجنّبه كما قيل،

(١) المسربة: الشعر وسط الصدر إلى البطن.

(٢) مكارم الأخلاق / ١١ ـ ١٢.

(٣) الأشداق: جوانب الفم، ويعني أنّه لا يفتح كل فاه. وفي بعض النسخ « بابتدائه » وليس بأشداقه.

(٤) الدماثة: سهولة الخلق.

(٥) أشاح: بمعنى أظهر الغيرة، والشائح: الغيور.

(٦) للمزيد راجع المصدر نفسه « مكارم الأخلاق ».

لا لأنّه سليل الرسول ﷺ، بل لما فيه من اجتماع لمواصفات الرسول [١] ﷺ، بيد أنَّهم تناسوا ذلك كلّه فانتهكوا حرمته.

٣ ـ إنّ أوصافهم وصفاتهم تعطي إيحاءات راقية، ومفاهيم خلقية، وقيماً ومثلاً نبيلة لها دورها في إبراز مصداقية المعاني السامية الكريمة التي تكمن فيهم والتي يتسربلون بها.

٤ ـ وأخيراً فمن الضروري جدّاً إدراك هذه الناحية، وهي أنّه ليست المميّزات المتطابقة مهمّة بقدر أهميّة تطابق المواقف الرساليّة. وقد شهد التاريخ لعلي الأكبر مواقف جدّه الصلبة الصارمة، وشهد له أنَّه شبيه جدّه رسول الله ﷺ خلقاً وخُلقاً ومنطقاً، وموقفاً وعملاً.

فنحن إذ نقف على الخصال الخيرة المتطابقة فليس على حساب تطابق النتائج، ولا سيّما وأنَّ ثمة علاقة بين المميّزات المتشابهة كمقدّمات وبين المواقف المصيريّة كنتائج.

ولنختم هذا الفصل ببيتين لشاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت الذي قالها في علي الأكبر، وهي:

وَأَحسَنُ مِنكَ لَم تَرَ قَطُّ عَيني ... وَأَجمَلُ مِنكَ لَم تَلِدِ النِساءُ

خُلِقتَ مُبَرَّأً مِن كُلِّ عَيبٍ ... كَأَنَّكَ قَد خُلِقتَ كَما تَشاءُ

(١) جاء عنه أثناء دخوله ساحة المعركة أنّه أخذ يكر عليهم وهم لا يجسرون على قتله ؛ لأنّه شبيه بجدّه رسول الله ﷺ، وفيه شجاعة حيدر عليه السلام. سفينة النجاة ١ / ٧٤.

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا

شهـر رمضان المبارك

- شهر رمضان والتعاليم الاجتماعية.
- جوانب مضيئة من حياة السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام
- معارف وعلوم من صلح الإمام الحسن عليه السلام المظلوم
- مع الرحلة الرسالية الخالدة
- معركة بدر تجربة تربوية
- العبقرية الموهوبة
- تساؤلات حول ليلة القدر

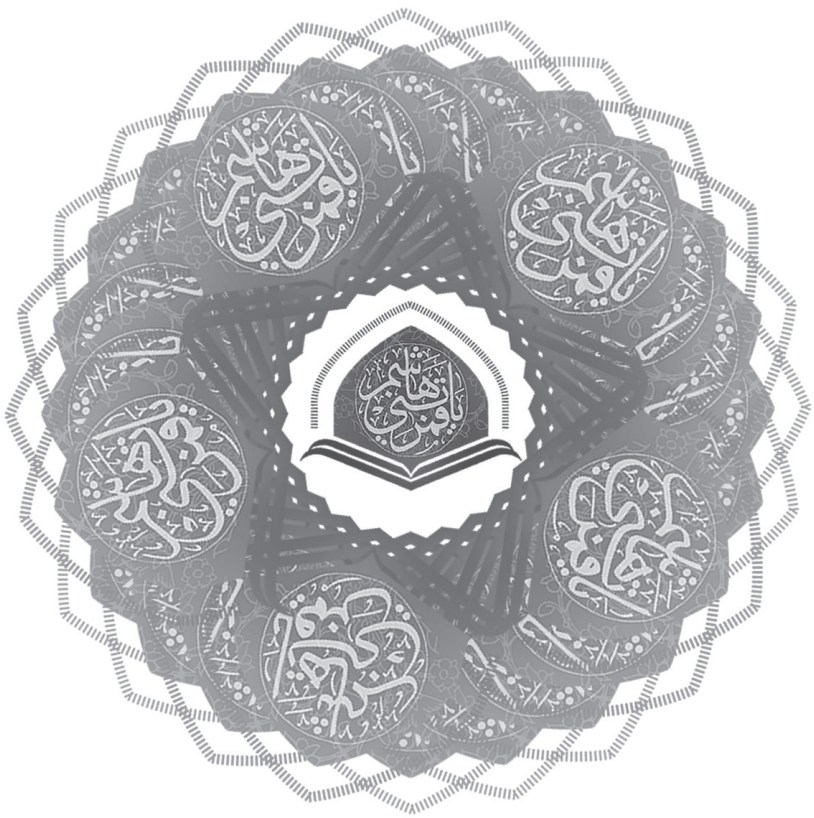

شهر رمضان والتعاليم الاجتماعية

الشيخ حيدر المؤيد

دعاء اليوم الثامن

اللهم ارزقني فيه رحمة الأيتام، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وصحبة الكرام، بطولك يا ملجأ الآملين.

البلد الأمين: ص٢٢٠، عن النبي ﷺ: (من دعا به رفع عمله بعمل ألف صديق).

إنَّ أعمال شهر رمضان وآدابه تؤكِّد على تجريد الإنسان وتخليصه من الشواغل المادّية، وتهيّئ له الفرص الكبرى ليتفرّغ لنفسه وضميره، ومراجعة سلوكه وعمله.

والصوم من أهم هذه الأعمال التي تُهذِّب الإنسان وتُطهّره من الشوائب، وذلك باعتبار أنَّ للصائم أحكاماً لا يستطيع مخالفتها، وهي تقع في طريق تجريد نفسه وتخليصها من الأدران، وبالتالي فإنَّ الصيام إذا تمَّت شرائطه وأجزاؤه فإنَّه يخلق من الشخص إنساناً متكاملاً، وذلك لأنَّ الصائم إذا أحسّ بالجوع عرف كيف يتعامل مع الجائع، وإذا صبر على الجوع والعطش عرف كيف يصبر في الميادين الأخرى.. وهكذا.

إنَّ شهر رمضان شهر المحاسبة والحصانة، شهر التربية وترويض النفس، شهر معالجة الغرائز التي تتحكّم بالنفس البشرية.. إنَّه شهر تهذيب النفس، كما ورد في الآية الشريفة: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا**

كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[١].

حيث أشارت هذه الآية المباركة إلى فلسفة هذه العبادة التربوية في عبارة قليلة الألفاظ عميقة المحتوى: **(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** فالصوم عامل فعَّال لتربية روح التقوى في جميع المجالات والأبعاد[٢].

وعن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال: (وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الأيام المفروضات؛ تسكيناً لأطرافهم وتخشيعاً لأبصارهم وتذليلاً لنفوسهم وتخفيضاً لقلوبهم)[٣].

إنَّ المجتمعات غير الإسلامية اليوم تمرّ بأزمة قاسية وبصراعات دائبة في هتك الأعراض والكرامات، وسفك الدماء، ونهب حقوق المستضعفين من الناس، وهذه كلها نتيجة لضياع المبادئ والقيم وترك إرادة الاستقامة على الحق في الحياة وذلك؛ لأنَّ الإرادة هي الضَّابط والكابح لجماح الغرائز، ولما كانت الإرادة هي الضابط، كان على الإسلام أن يهتمَّ بتقوية إرادة الإنسان وتنشيطها..

ومن هنا فرض عليه الصوم الذي هو بحدِّ ذاته مربٍّ للإرادة الحرة النزيهة، فإذا انصهرت هذه الإرادة البشرية على الإرادة الإلهية فيجعل حياة الإنسان وديعة آمنة، ومجتمعه مصدر قوة ومنعة وثقة وأعز قوى ومعلم للإرادة، ويكون ذلك من فوائد الصوم إذا اجتمعت فيه شرائطه.

وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير قوله تعالى: **(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)**[٤] قال: (الصبر هو الصوم)[٥].

وقد يكون ذلك لأنَّ الصوم من أقوى مظاهر الصبر وقوّة الإرادة.

الصوم وتقوية الإرادة

عندما شرَّع الله -سبحانه- الصيام جعل معه ضوابط ملزمة، فمن خرج عن هذه الضوابط عُدَّ عاصياً،

(١) سورة البقرة: ١٨٣.

(٢) تفسير الأمثل: ج١ ص٤٥٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

(٤) سورة البقرة: ٤٥.

(٥) بحار الأنوار: ج٩٣ ص٢٥٤.

وكان صومه باطلاً، وهذه تُسمى بالمفطرات وقد ذكرها تفصيلاً الفقهاء المراجع (حفظهم الله) في رسائلهم العملية، ولكن هناك ضوابط أخرى تجعله أكثر تهذيبًا وسموًّا، ومن تلك الضوابط التي جاءت في الصوم ما روي عن الإمام علي عليه السلام أنَّه قال: (صوم القلب خير من صيام اللسان، وصيام اللسان خير من صيام البطن) (١). وروي عنه عليه السلام أيضاً أنَّه قال: (الصيام اجتناب المحارم كما يمتنع الرجل من الطعام والشراب) (٢). وعن فاطمة الزهراء عليها السلام أنهَّا قالت: (ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه) (٣).

وهناك الكثير من الرّوايات التي جاءت لتحثّ الصائم على الالتزام بالضوابط كي لا يخرج عن حدوده، وكل هذه الضوابط من الواجبات وغيرها توجب تقوية الإرادة، وبالتالي سوف يكون الصائم قوي الإرادة، صلب الإيمان، كابحاً للغرائز، لا يتعدَّى على حقوق غيره ولا على حقوق نفسه، فإنَّ المعصية تجاوز على حقّ النفس كما ورد في دعاء كميل: (ظلمت نفسي)(٤).

مشاعر المؤمن تجاه الآخرين

إنَّ من أروع ما يتحلّى به الإنسان المسلم، ومن أهم المظاهر التربوية تحسّسه بآلام الآخرين ومشاركتهم في آمالهم وآلامهم، وقد يعبر عنه بالمواساة كما ذكره علماء الأخلاق، فالمجتمع الإنساني الذي يتبادل الأحاسيس والمشاعر الطيبة هو بحق مجتمع فاضل سعيد تغمره المحبَّة والألفة.

ومن الطبيعي إذا كان العكس من ذلك وكان أفراد المجتمع يبغض بعضهم البعض الآخر ولا يحس بعضهم بالبعض الآخر ولا يحترم بعضهم البعض الآخر، فسوف يترك هذا الشيء نتائج سيّئة وخيمة لا يحمد عقباها.

إنَّ حفظ كرامة المجتمع يكون في تبادل المنفعة بالطّرق الصَّحيحة، أمَّا إذا لم يكن ذلك فسوف تنتشر فيه التعاسة ويتفاقم العداء، لأنَّ الصفات السلبيّة سريعة الانتشار بين بعض الناس، ورذائل الأخلاق إذا انتشرت تحوّل بعض أبناء المجتمع الى أفراد أنانيين لا تهمّهم سوى حاجاتهم ورغباتهم... ولا يفكرون في شيء سوى تلبية هذه الحاجات من أي طريق كان ولو بالسرقة أو الاعتداء، وخاصة إذا هجر كبار المجتمع وساسته الأخلاق والآداب وتعاملوا بطريقة سلبيّة؛ لأنَّ أساليبهم سوف تصبح ثقافة عند الآخرين، وفي المأثور: (الناس على دين

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٧٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٩٣ ص٢٩٤.

(٣) المصدر نفسه: ج٩٣ ص٢٩٤.

(٤) مصباح المنتهجد: ص٨٤٨.

ملوكها)[١].

مع المأمون العباسي

يُنقل أنَّ في يوم أدخلوا على المأمون العباسي رجلاً عليه آثار العبادة، وقالوا للمأمون: بأنَّ هذا الرجل سرق وقبضنا عليه متلبساً بالسرقة؟

فالتفت إليه المأمون قائلاً: هل سرقت؟

فقال الرجل: بلى.

فقال ثانية: هل سرقت؟

قال الرجل: نعم.

فقال له المأمون: ان قلتها الثالثة قطعت يمينك.

فقال الرجل: اني سرقت لكنك لا تقدر على قطع يميني!.

قال له: لماذا؟

قال الرجل: لأنَّك سرقت حقّي فألجأتني الى السرقة.

قال له: كيف؟

قال الرجل: ألم يقل القرآن: **(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)**[٢]، ويقول أيضًا: **(مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ)**[٣].

فقال الرجل: أنا مسكين وابن سبيل، فلم تعطني حق من الفيء ولم تعطني حقّي من الغنيمة، فإذاً أنت سرقت حقّي فألجأتني الى السرقة، فأنا سرقت بالفعل ولكنك لا تقدر على قطع يدي لأنَّ النجس لا يطهر نجساً مثله، ثم إنَّك لا تقدر على قطع يدي؛ لأنَّك عبد لي!

(١) راجع كشف الغمة: ج٢ ص٢١.

(٢) سورة الأنفال: ٤١.

(٣) سورة الحشر: ٧.

فقال المأمون متعجباً: انا عبدك؟

قال الرجل: نعم.

قال المأمون: وكيف؟

فقال: لأنَّ أمك (مراجل) كانت أَمَة واشتراها أبوك من بيت مال المسلمين وبيت المال ليست ملكاً لأبيك فإذا كان المسلمون قد أعتقوك فأنا لا أعتقك لأنَّني مسلم ولي حقّ في بيت مال المسلمين.

فالتفت المأمون الى الإمام الرضا عليه السلام وكان جالساً بجواره قائلاً: ما تقول يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يقوله هذا الرجل؟

فقال له الإمام عليه السلام: إنَّه يقول الحق وقد حجك فأجب حجّته[١].

وتلافياً لأمثال هذه النتائج شدَّد القرآن الكريم قائلاً: **(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)**[٢].أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالغصب والظلم والوجوه التي لا تحل[٣]. وذلك لكي يعيش أفراد المجتمع عيشة راضية يسودها التآلف والمحبة والأخوة.

الكرامة أوَّلاً

أوَّل ما يسأله الإنسان في هذا الدعاء الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في اليوم الثامن من شهر رمضان هو: (اللهم ارزقني فيه رحمة الأيتام) فإنَّه منذ أن خلق الله -سبحانه وتعالى- الإنسان خلقه على أحسن هيأة وكرّمه على باقي مخلوقاته، بل أخضع جميع ما في هذا الكون للإنسان، يقول تعالى: **(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ)**[٤].

وقال سبحانه: **(خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا)**[٥].

ليس من المعقول في أيّ حالٍ من الأحوال أن نأتي ونذل الذي كرّمه الله تعالى، فعندما أثبت القرآن الكريم التكريم الإلهي لنوع الإنسان من دون فرق وذلك لأنهم أولاد أبٍ واحد، وهو آدم عليه السلام وأمٍّ واحدة وهي حوّاء

(١) حلية الأبرار: ج٤ ص٤٥٣.

(٢) سورة البقرة: ١٨٨.

(٣) مجمع البيان: ج٢ ص٢٨٢.

(٤) سورة الإسراء: ٧٠.

(٥) سورة البقرة: ٢٩.

عليهم السلام فعلينا أن نمتنع عن الوقوع في النزاع والخصام وذلك لكي تعم المحبَّة والألفة بين أفراد المجتمع.

إضافة الى أنَّ الإسلام هو دين المحبَّة والألفة، والذي لا يقبل في أيّ حالٍ من الأحوال الخصام والنزاع في الباطل، لذلك شرّع لنا كافة نظم العلاقات الصحيحة المبنية على التفاهم والمحبّة.. وشرّع لنا السياسة التي تُحدِّد صلات بعضنا بالبعض الآخر، والأخلاق التي ترفع الإنسان الى أسمى غاية من مراحل الكمال، فالدين الإسلامي هو شريعة لكلِّ البشر ولكلِّ الشعوب التي تريد التّقدّم نحو الأمام، وهو علم وعمل وسعادة، فالدِّين لا يعترف أبداً بجعل الفوارق الباطلة بين الناس وبجعل الطبقية التي بها يفسد المجتمع، بل دائماً يوصي آناء الليل وأطراف النهار بإزالة كلّ الفوارق التي توضع من قبل الذين يتمدّدون ويتنعّمون على حساب الضعفاء من بني جنسهم، قال تعالى: (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا)[١].

نلاحظ في هذه الآية المباركة أنَّها وصفت هوداً عليه السلام بكونه أخاهم، وهذا التعبير جارٍ في لغة العرب، لأنَّهم يطلقون كلمة (الأخ) على جميع أفراد القبيلة لأنَّهم ينتسبون الى أصل واحد، فمثلاً يقولون في الأسدي: (أخو أسد) وفي الرجل من قبيلة مذحج: (أخو مذحج).

وقد يكون هذا التعبير يشير الى أنَّ معاملة هود عليه السلام لهم كانت أخوية بالرغم من كونه نبيًّا مبعوثًا من قبل الله، وهذه الحالة هي صفة الأنبياء عليهم السلام جميعاً، فهم لا يعاملون الناس من منطلق أنَّهم زعماء أو أمراء أو قادة بل من منطلق أنَّهم أخوة لهم، فكانت معاملتهم معاملة من دون أيّ امتياز وطلب للاستعلاء[٢].

فالقرآن الكريم الذي عبَّر بهذا التَّعبير ووصف هود عليه السلام بأنَّه أخ لعاد، أراد من هذا البيان أن يقول بأنَّكم جميعاً من آدم عليه السلام وآدم من تراب، كما في الحديث الشريف[٣]، ولا فرق بين إنسان وإنسان آخر، إذ القرآن لا يعترف بالفوارق التي توضع.

نعم هناك ضوابط أمر الله -تعالى- بها وفرضها على البشر وذلك لكي يلتزموا بها باعتبار أنَّها موصلة الى سعادة الإنسان، فأخوة هود عليه السلام لعاد لم تكن أخوة عقائدية باعتبار أنَّ هودًا عليه السلام كان نبيّاً من أنبياء الله-تعالى-، وعادًا كانوا قوماً مشركين، ولكن الظاهر أنَّ الله -تعالى- أراد أن يقول بأنَّكم جميعاً أخوة بالمنشأ والخلقة، ولاميزة

(١) سورة هود: ٥٠.

(٢) راجع تفسير الأمثل: ج٦ ص٥٢١.

(٣) راجع مكارم الأخلاق: ٤٣٨.

لأحد على أحد إلا بالتقوى التي هي أساس السعادة.

التودد الى الناس

جاء عن إمام الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام أنَّه قال: (أوّل المروءة طلاقة الوجه وآخرها التودد الى الناس)[١].

وعنه عليه السلام أيضاً أنَّه قال: (لا تتم مروءة الرجل حتى يتفقه في دينه ويقتصد في معيشته ويصبر على النائبة إذا نزلت به ويستعذب مرارة أخوانه) [٢].

وهنا قد نحتاج الى وقفة في تفسير هاتين الرّوايتين، وهي:

إنَّ التودد الى الناس يتم عبر أمور:

منها: زرع المحبة والرحمة بينهم، ولعل من أهم أسباب هداية الناس إلى الإسلام كانت سياسة العطف والرحمة التي كان يوليها رسول الله صلى الله عليه وآله الى الناس، حتى قال صلى الله عليه وآله: (إنَّما أنا رحمة مهداة) [٣].

لأنَّ الرحمة هي التي تجذب الناس وتعلمهم طريق الهدى، وأما العنف والقسوة توجب الانفضاض، قال تعالى: **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)**[٤].

ولكي يزيد القرآن في ارتباط الناس بالإسلام ويشدّهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله أمر رسوله العظيم بقوله: **(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)**[٥].

وذلك لما للمحبّة والتَّواضع من أثر كبير في زرع الثِّقة والإيمان والمودَّة، ثمّ القوّة والتماسك بين الناس.

ومنها: الصَّبر والتَّحمّل على ما يلاقيه الإنسان من الإخوان، ومعلوم أنَّ الصبر يتحقّق في تحمّل الإنسان لأذى الآخرين، إلا إنَّ هناك مرتبة أرقى في الصبر وهي أن يستعذب مرارة إخوانه؛ وذلك لأنَّ تحمل الإخوان يجذب محبّتهم ويزيد في مكانته في الدنيا، وأما في الآخرة فيعطيه الأجر الكبير.. ومن هنا عبَّرت الرواية: (ويستعذب

(١) غرر الحكم: ص٢٥٨.

(٢) تحف العقول: ص٢٢٣.

(٣) كشف الغمة: ج١ ص٨..

(٤) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٥) سورة الشعراء: ٢١٥.

مرارة إخوانه) وهذا ما يسمى في علم الأخلاق بمرحلة الرضا.

ومنها: الإحسان الى الآخرين، سواء بالتعاطف معهم أو تقديم الخدمات إليهم، أو كفالة أيتامهم ونحو ذلك، لما للإحسان من دور كبير في إشباع العواطف، وتربية النفوس لتصبح قوية نافعة في المجتمع.

الى غير ذلك مما يوجب التّودد والمحبَّة بين الناس.

المحبة لليتيم

وهكذا أوصت الآيات الكريمة والروايات الشريفة لتكرس حالة المؤاخاة والمحبة في نفوس أفراد المجتمع، وقد أكَّد الإسلام على ذلك بأساليب وطرق عديدة، وبيّن مصاديق مختلفة لها، منها الرحمة للأيتام معنوياً ومادياً، فقد جاءت آيات وروايات عديدة تؤكِّد على هذا المعنى كقوله تعالى: **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ)**[١].

وقوله سبحانه: **(وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى)**[٢].

وقوله عزوجل: **(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)**[٣].

وهناك روايات أيضاً جاءت لتضمن حقوق اليتيم وتوصي به خيراً، ففي وصايا أمير المؤمنين عليه السلام قبل شهادته: (الله الله في الأيتام فلا تغبوا[٤] أفواههم، ولا يضيّعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله عزوجل له بذلك الجنة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار) [٥].

المحبة في الإسلام

كرس الإسلام حالة التكافل الاجتماعي لكي يخلق للإنسان جوًّا ملؤه الحب والرحمة والإخاء بين بني نوعه، وجاءت الروايات تشجّع وتعد بالثواب العظيم على ذلك، فنرى بعض الأحاديث ترتب الأثر حتى على من وضع يده على رأس اليتيم تحنناً ورحمة منه عليه، فوصل الحد إلى أن يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (ما

---

(١) سورة البقرة: ٨٣.

(٢) سورة البقرة: ١٧٧.

(٣) سورة النساء: ١٠.

(٤) أغب القوم: جاءهم يوماً وترك يوماً، أي لا تجيعوهم بأن تطعموهم غباً.

(٥) فروع الكافي: ج٧ ص٥١.

من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتيم ترحماً له إلا كتب الله له بكل شعرة مرّت يده عليها حسنة)[١].

ولعل من هنا ورد ذكر الرَّحمة بالأيتام مقرونة في شهر رمضان لأنَّ الصوم يرفق مشاعر الإنسان ويلطف روحه ويجعل حواسه مرهفة.

إذ إنّ الإنسان الذي يذق ألم الجوع والعطش وخاصّة في صيام الصيف ترقّ مشاعره وتسمو روحه، ويأخذ يحسّ بمشاعر الآخرين وآلامهم أكثر فأكثر.. وبهذا تكون الأرضية مُهيّأة لإدراك معاناة الأيتام الذين لا كافل لهم ويعانون عادة من ألم الجوع، لذا فيطلب المؤمن من الله تعالى أن يرزقه الرحمة بالأيتام.. حيث يقول: (وارزقني فيه رحمة الأيتام).

علي عليه السلام والأيتام

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان يهتمّ بالأيتام كثيراً، وقد سجل التاريخ قصصاً كثيرة عنه عليه السلام بعضها معروفة ومشهورة، كما روي أنَّ الإمام عليه السلام بعد واقعة صفّين رأى أطفال عمّار (رضوان الله عليه) ويتاماه، فتأثّر بذلك كثيراً وتعطف عليهم وأخذ يقرأ هذه الأبيات:

ما إن تأوّهت من شيء رزئت به ... كما تأوّهت للأيتام في الصغر
قد كان والدهم من كان يكفلهم ... في النائبات وفي الأسفار والحضر

وفي هذا روي أيضاً أن بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يخلو من يتيم أبداً.. فكان صلى الله عليه وآله وسلم يربي يتيماً في بيته دائماً.

الإسلام والمواساة

لقد جعل الله سبحانه في أموال الأثرياء حقاً للمحرومين والفقراء والأيتام، قال تعالى: **(وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ)**[٢].

وقال سبحانه: **(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ)**[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٤.

(٢) سورة المعارج: ٢٤.

(٣) سورة التوبة: ٣٤-٣٥.

وعن الإمام جعفر بن محمد عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، قريب من النار) [١].

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنَّه قال: (من واسى الفقير من ماله وأنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً) [٢].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: (ألا أخبركم بأشدّ ما فرض الله على خلقه، فذكر ثلاثة أشياء، أوّلها: إنصاف الناس من نفسك..) [٣].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: (أفضل المروة مواساة الإخوان بالأموال، ومساواتهم في الأحوال) [٤].

لا طبقية في الإسلام

لو ألقينا نظرة على الحضارات التي سبقت مجيء الإسلام لوجدنا أنَّها تعتقد شديداً بالعنصرية والطبقية والفوارق العرقية وما أشبه، فتفرق بين الإنسان وأخيه الإنسان وتجعل بينهما فوارق وهمية عديدة مصطنعة مما تعيق بعض الناس من الوصول الى حقوقهم المشروعة، وتحرمهم من ذلك، والظاهر أنَّها كانت فلسفة حاكمة على الحياة هناك.

وربما أمكن لمس بعض الإشارات إليها من خلال ظواهر كلماتهم.. فأفلاطون الذي يُعتبر من أساطين الفكر اليوناني كان يفرّق بين الإنسان والآخر إذ كان يقول: (أقصى ما يبلغ أهالي هذه الجمهورية من الحرية هو تطاول العبيد من الجنسين على حرّيّة أسيادهم).

أما الفيلسوف الآخر (أرسطو طاليس) فكان يقسم الآلة على قسمين: آلة ناطقة، وآلة صامتة، الآلة الناطقة هم العمّال، والآلة الصامتة أدوات العمل، ثم يقول: يجب أن نسترق (الآلة الناطقة) أي العمال الى أن تستطيع الآلة الصامتة (أدوات العمل) تتحرك وحدها[٥].

فهذه قوانين كانت ومازالت تحكم المجتمعات المتحضرة ـ كما يسّمونها ـ وعلى ضوئها يجري تقييم البشر

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٠ ص٣٠٨.

(٢) الفضيلة الإسلامية: ج١ ص٩١.

(٣) المصدر نفسه: ج١ ص٩١.

(٤) غرر الحكم: ص٢٥٨ ح٥٥٠٤.

(٥) كتاب السياسة، لأرسطو طاليس.

والتعامل معهم، وهذه ليست سمة الحضارة الغربية فقط، وإنَّما تعم باقي الحضارات غير الإسلامية، فهي أيضاً تعيش هذا المرض العضال، مثل حضارة الرومان أو الهند.

أمَّا الإسلام فيتعامل مع الإنسان حسب الموازين الإنسانية إذ جعل ميزان التفاضل التقوى والعمل الصالح، كما جعل اختلاف البشر التكويني طريقاً الى التعارف والتفاهم لا العنصرية والطبقية وما أشبه، كما قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ)**[١].

أي من آدم عليه السلام وحواء عليها السلام والمعنى أنَّكم متساوون في النسب، لأنَّ كلكم يرجع في نسبه الى آدم وحواء عليهما السلام.

وقد زجر الله سبحانه عن التفاخر بالأنساب في آيات عديدة، وروى عكرمة عن ابن عباس أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال: (إنَّما أنتم من رجل وامرأة كجمام الصاع ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى، ثم ذكر سبحانه أنَّه إنَّما فرق أنساب الناس ليتعارفوا لا ليتفاخروا فقال: **(وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ)** [٢].

وقد جسد رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرون هذا المبدأ في سيرتهم العملية، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه كأحدهم يتعامل معهم معاملة الأخ والأب والصديق بلا تفريق أو تمييز بين حر أو عبد وهو خير خلق الله تعالى، فكان سلوكه التَّواضع بين الناس، ولا يجعل لنفسه فارقاً عن غيره، كما ورد عن يحيى بن كثير أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد فإنَّما أنا عبد، وكان النبي صلى الله عليه وآله يجلس محتفراً) [٣].

سياسة أمير المؤمنين عليه السلام

يُنقل أنَّ امرأتين أتيتا أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام عند القسمة، إحداهما من العرب والأخرى من الموالي، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهماً وكراً من الطعام، فقالت العربية: يا أمير المؤمنين إنِّي امرأة من العرب وهذه امرأة من العجم!

فقال علي عليه السلام: والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق[٤].

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) مجمع البيان: ج٩ ص١٣٧-١٣٨.

(٣) راجع مكارم الأخلاق ص ٢٧، ودعائم الاسلام ج٢ ص١١٨.

(٤) وسائل الشيعة: ج١١ / ص٨١.

وفي رواية أخرى أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام ولّى بيت مال المدينة عمار بن ياسر وأبا الهيثم بن التيهان فكتب: العربي والقرشي والأنصاري والعجمي وكل من في الإسلام من قبائل العرب وأجناس العجم سواء..

فأتاه سهل بن حنيف بمولى له أسود، فقال: كم تعطي هذا؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: كم أخذت أنت؟

قال: ثلاثة دنانير وكذلك أخذ الناس.

قال: فاعطوا مولاه مثل ما أخذ ثلاثة دنانير[١].

نعم هذا هو الإسلام الذي لا يفرق بين إنسان وآخر إلا بالتقوى، ومن هذا المنطلق ترى أنَّه يعم الإخاء والمحبة بين أفراد المجتمع، ولا توجد ميزات كاذبة.

ومن هنا فإنَّ المؤمن في شهر رمضان المبارك يسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقه إطعام الطعام وإفشاء السلام وصحبة الكرام، لتكريس المحبة والألفة بينه وبين الناس، ولأنّ كرام النفوس يمتازون بالرحمة والمودة ويترفعون عن العداء والحقد، ولذلك يطلب المؤمن أن يرزقه صحبتهم لكي يتعلّم منهم هذا السلوك الرفيع.

روي عن الإمام علي عليه السلام أنَّه قال: (صحبة الأخيار تكسب الخير كالريح إذا مرّت بالطيب حملت طيبا)[٢].

ولعل ورود هذا الدعاء في هذا الشهر المبارك ومقارنته لأعمال الصوم لأنَّ الصوم هو الظرف المناسب والأفضل لإيجاد هذه الأحاسيس والمشاعر المتبادلة، إذ إنَّ شهر رمضان المبارك يمتاز بخصيصة متميزة عن باقي شهور السنة، فهو شهر الرحمة والخير والبركة، وفي هذا الشهر العظيم تعمّ المحبَّة، وتنتشر بين الناس فتجعلهم أقرب الى بعضهم، وحقًّا ما يقوله البعض إنَّ شهر رمضان شهر صفاء النفوس والقلوب ونزع الغل وشوائبه، وهذا الكلام مستفاد من الروايات:

وفيما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام عند استشهاده: (عليك بالصوم فإنَّه زكاة البدن وجنة لأهلة)[٣].

---

(١) الاختصاص: ص١٥٢.

(٢) غرر الحكم: ص٤٢٩.

(٣) بحار الأنوار: ج٩٣ ص٢٤٨.

إطعام الطعام

من أهم ما يوجب المحبة والصفاء بين المجتمع: إطعام الطعام والضيافات وما أشبه، وشهر رمضان المبارك يكون وقتاً مناسباً لذلك، فترى المؤمنين يهتمّون بتقديم الإفطار للأحبّة وذوي رحمهم ولسائر المؤمنين، وخصوصاً للفقراء منهم، وقد وردت روايات كثيرة في فضل إطعام الطعام بشكل عام، وفي فضل إفطار المؤمنين في شهر رمضان خاصة، نشير الى بعضها:

قال الإمام الصادق عليه السلام: (المنجيات ثلاث: إطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام)[١].

وقال تعالى في مدح أهل البيت: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)[٢].

كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال: (خطب رسول الله صلى الله عليه وآله الناس في آخر جمعة من شهر شعبان، وقال: (أيّها الناس قد أظلكم شهر فيه ليلة القدر.. وهو شهر رمضان.. من أفطر فيه مؤمناً صائماً كان له بذلك عند الله عزوجل عتق رقبة ومغفرة الذنوب فيما مضى، فقيل: يا رسول الله، ليس كلنا نقدر على أن نفطر صائماً، فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى كريم، يعطي هذا الثواب منكم من لم يقدر إلا على مذقة من لبن ففطر بها صائماً أو شربة ماء عذب أو تميرات لا يقدر على أكثر من ذلك)[٣].

وهنا نقطة لابد من الإشارة إليها وهي أنَّه لم يقيد إطعام الطعام في هذا الدعاء بالفقراء فقط، وذلك لأنَّ أصل الطعام حتى للأغنياء مطلوب وإن كان إطعام الفقراء يشتمل على جهة أخرى وثواب آخر، ومن هنا نقرأ ونردد هذه الكلمات: (اللهم ارزقني... إطعام الطعام وإفشاء السلام).

---

(١) مكارم الأخلاق: ص١٣٤.

(٢) سورة الإنسان: ٨.

(٣) روضة الواعظين: ص٣٣٨.

إفشاء السلام

لكل قوم تحية خاصة، وتحية المسلمين (السلام) فما أجمل هذه التحية، إنَّها دعاء للمؤمن بالأمن والسلامة والخير والبركة، وقد أمرنا الإسلام بالسلام قبل الكلام حيث قال عليه السلام: (السلام قبل الكلام) [١].

كما أمر بإفشائه حيث قال صلى الله عليه وآله: (أفش السلام يكثر خير بيتك) [٢].

ثم إنَّ إفشاء السلام من أهم ما يوجب المحبّة والمودّة بين المؤمنين كما هو واضح.

هذا ويحتمل أن يراد بكلمة (السلام) وإفشائها المعنى الأعم من التّحيّة الخاصة، فيشمل كل سلام في المجتمع ويرفض العنف وما يؤدّي إليه، بمختلف أسبابه، لأنَّ الإسلام لا يرضى بالعنف، ويؤكِّد على لزوم اتباع السلم والسلام، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً)**[٣].

صحبة الكرام

يسأل العبد ربه في هذا الدعاء المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن يرزقه صحبة الكرام، حيث يقول: (اللهم ارزقني .. صحبة الكرام)، فمن هم الكرام؟

يقول تعالى: **(وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا)**[٤] وهذه الصفة تعطي عدة معانٍ سامية: فقد ورد في تفسير هذه الآية أنَّها من الصفات الرفيعة للمؤمنين، والكرام في الآية الشريفة هم الذين (لا يحضرون مجالس الباطل ولا يتلوثون باللغو والبطلان) [٥].

و(إذا اعترضهم هذا النوع من الأعمال في مسير حياتهم مرّوا بمحاذاتها مرور اللامبالي، ولا مبالاتهم نفسها دليل على عدم رضاهم الداخلي عن هذه الأعمال، فهم عظماء بحيث لا تؤثّر عليهم الأجواء الفاسدة ولا تغيرهم)[٦].

---

(١) جامع الأخبار: ص٨٩ فصل ٤٦.

(٢) الخصال: ص١٨٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٨.

(٤) سورة الفرقان: ٧٢.

(٥) راجع تفسير الأمثل: ج١١ ص٢٨٢.

(٦) تفسير الأمثل: ج١١ ص٢٨٢.

ونقول: (تكرم فلان عما يشينه: إذا تنزّه وأكرم نفسه منه)[١].

فيكون مرور الكرام بأصحاب المجالس الباطلة أنَّهم يمرّون (معرضين عنهم منزّهين أنفسهم عن الدخول فيهم والاختلاط بهم ومجالستهم) [٢].

ويدل طلب المؤمن الداعي للصحبة مع هذا النوع من الناس على أهمّيّة وأثر الصحبة أوّلاً كمقياس لشخصية الإنسان والاقتباس من صاحبه كما في القول الشائع:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه إنَّ القرين بالمصاحب يقتدي

إضافة الى أهمية اختيار نوع الصحبة، فهؤلاء الذين يتحدث عنهم الإمام الحسين عليه السلام يوم التاسع من محرم بقوله: (إنِّي لا أعلم أصحابًا أولى ولا خيرًا من أصحابي) [٣] لأنَّهم وفوا حقَّ صحبته، ووطنوا أنفسهم على الشهادة في سبيل العقيدة فهم:

نفوس أبت إلا تراث أبيهم فهم بين موتور لذاك وواتر
لقد ألفت أرواحهم حومة الوغى كما أنست أقدامهم بالمنابر [٤]

ولذا نرى أنَّ الإمام عليه السلام خاطبهم في صبح العاشر: (يا أبناء الكرام) وكأنَّه إشارة الى أنَّ أمثال هذه النفوس الكبيرة لا تنجبها إلا آباء كرماء وأمّهات كريمات، فإنَّ الأصل يؤثر في فرعه.. بينما نجد أنَّه (صلوات الله عليه) وبعد ظهر عاشوراء خاطبهم: (يا كرام) لأنَّهم بذلوا نفوسهم وأرواحهم في سبيل إمامهم ومبادئهم، ومعلوم أنَّ الجود بالنفس أقصى غاية الجود..

لذا ينبغي للمؤمن أن يسأل الله تعالى أن يوفّقه لأن يكون من الكرام ومن أصحاب ذوي الكرم والنفوس الكبيرة العظيمة، لينال بهم عزّة في هذه الحياة الدنيا ونعيم في الآخرة.

ثم إنَّ أعلى مصداق للكرام هم أهل البيت عليهم السلام ثم من يلوذ بهم ويمشي في خطاهم من العلماء والمؤمنين فيكون هذا الدعاء إشارة الى أهمية مصاحبتهم وتبعيتهم.

(١) تفسير الميزان: ج١٥ ص٢٤٤.

(٢) المصدر نفسه: ج١٩ ص٢٤٤.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٨٦..

(٤) مثير الأحزان: ص٥٣..

من هو الملجأ

وفي آخر هذا الدعاء نقرأ: (بطولك يا ملجأ الآملين) والطول في اللغة بمعنى: (الفضل، العطاء، القدرة، الغنى)(١).

وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن ندعو بهذه الكلمات حتى نعرف بأنَّ الله هو الملجأ للآملين، فينبغي أن لا يلجأ الإنسان إلا الى الله-سبحانه-، فإنَّه نعم المولى ونعم النصير.

(١) المنجد الطلاب: ص٤٧٦ .

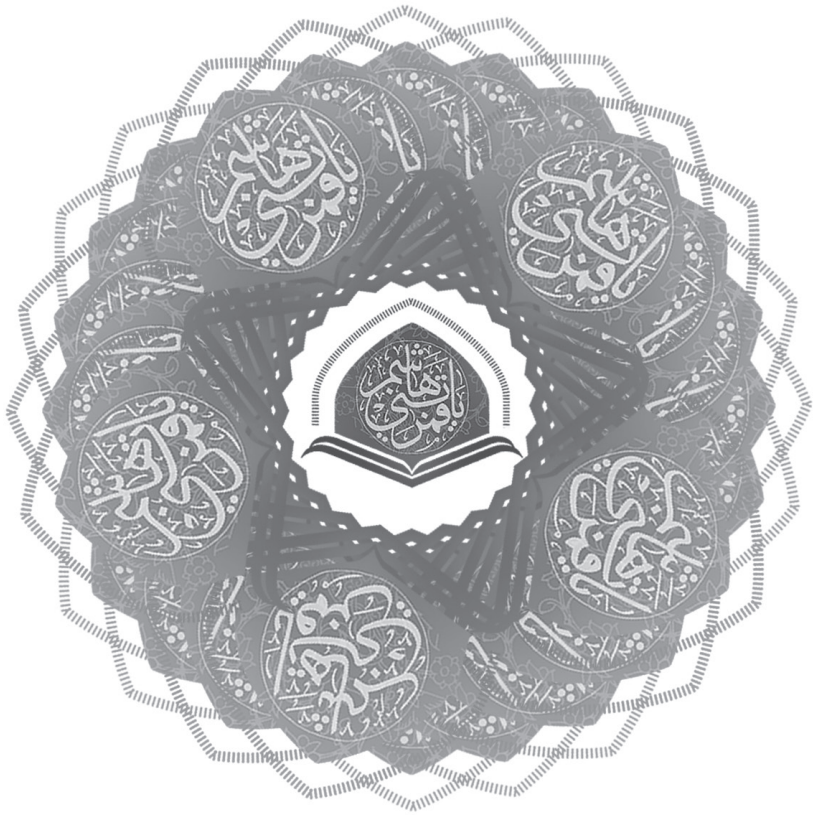

جوانب مضيئة من حياة السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام

فاطمة المسعودي

خديجة بنت خويلد لها فضل على المسلمين قاطبة، من دون استثناء، ولكن هنالك تجاهل، وهذا التجاهل مبرمج أو غير مبرمج نحن لا نعرف، وإنَّما التهميش ملحوظ في كتب الحديث للمسلمين .

أوَّل زوجة اقترن بها النبي صلى الله عليه وآله هي خديجة بنت خويلد فأين أحاديثها؟ وأين سيرتها، وأين مواقفها، وقد عاشت مع النبي صلى الله عليه وآله فجر الإسلام، عشر سنين من البعثة، وشاهدت النبي صلى الله عليه وآله قبل أن تقترن به؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وآله بُعث بعد الأربعين عام وعاش بعد الأربعين ٢٣ عام، واستشهدت في السنة العاشرة بعد البعثة مع العلم اقترنت بالنبي صلى الله عليه وآله في العمل قبل البعثة فهي أقرب الناس إليه من جميع الجوانب، هذا ثابت تاريخياً ولا نجد لأحاديثها موقعية على الإطلاق، أليس هذا شيء عجيب وغريب؟.

بحثنا يدور في عدة جوانب مضيئة في حياة هذه السيدة الجليلة:

الجانب الأول: السابقية: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ)[1]

لقد كانت سباقة في عدِّة مجالات:

(١) سورة الواقعة: الآيات ١٠-١٣.

الجانب الأول: الجانب الإيماني:

أمَّا مجال الإيمان فقد كانت خديجة أوّل من آمن بالله ورسوله وصدّقه فيما جاء به عن ربه، وآزره على أمره، فكان عليه وآله الصلاة والسلام، لا يسمع من المشركين شيئاً يكرهه ـ من ردٍ عليه أو تكذيب له أو استهزاء به ـ إلَّا فرَّج الله عنه بخديجة، التي كانت تثبته على دعوته، وتخفّف عنه وتهوّن عليه ما يلقى من قومه من المعارضة والأذى، وصلَّت مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله جماعة في مكة المكرمة عند البيت.

عن عفيف قال: كنت امرأ تاجراً فقدمت منى أيَّام الحج وكان العباس بن عبد المطلب امرأ تاجرًا فأتيته أبتاع منه وأبيعه، قال: فبينا نحن إذا خرج رجل من خبأ يصلي فقام تجاه الكعبة، ثمَّ خرجت امرأة فقامت تصلّي وخرج غلام يصلّي معه، فقلت: يا عباس ما هذا الدين، إنَّ هذا الدين ما ندري ما هو؟

فقال: هذا محمد بن عبد الله يزعم أنَّ الله أرسله وأن كنوز كسرى وقيصر يستفتح عليه، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به[1].

وروى السيد بن طاوس عن كتاب الوصية لعيسى بن المستفاد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألت عن بدء الإسلام كيف أسلم علي عليه السلام وكيف أسلمت خديجة؟

فقال: «تأبى إلَّا أن تطلب أصول العلم ومبتدأه، أما والله إنَّك لتسأل تفقها».

ثم قال: «سألت أبي عليه السلام عن ذلك فقال لي: لما دعاهما رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا علي ويا خديجة أسلمتما لله وسلمتما له، وقال: إنَّ جبرئيل عندي يدعوكما إلى بيعة الإسلام فأسلما تسلما وأطيعا تهديا».

فقالا: «فعلنا وأطعنا يا رسول الله».

فقال: «إن جبرئيل عندي يقول لكما: إنَّ للإسلام شروطًا وعهودًا ومواثيق فابتدئاه بما شرط الله عليكما لنفسه ولرسوله أن تقولا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه في ملكه، لم يتخذ ولدا ولم يتخذ صاحبة، إلهاً واحداً مخلصاً، وأنَّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله إلى الناس كافّة بين يدي الساعة، ونشهد أنَّ الله يحيي ويميت ويرفع ويضع ويغني ويفقر ويفعل ما يشاء ويَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ».

---

(١) بحار الأنوار: ج١٨ ص٢٠٨

قالا: «شهدنا»[١].

من الأُمور المتّفق عليها لدى الجميع أنَّ السّيّدة خديجة عليها السلام هي أوّل امرأة أسلمت وآمنت برسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد بقيت تصلّي مع رسول الله صلى الله عليه وآله سرّاً ما شاء الله، فعن عفيف الكندي قال: جئت في الجاهلية إلى مكّة وأنا أُريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها، فنزلت على العباس بن عبدالمطّلب، قال: فأنا عنده وأنا أنظر إلى الكعبة وقد حلّقت الشمس، فارتفعت إذ أقبل شاب حتى دنا من الكعبة فرفع رأسه إلى السماء فنظر ثم استقبل الكعبة قائماً مستقبلها، فما لبثت إلاّ يسيراً حتى جاء غلام حتى قام عن يمينه ثم ما لبثت إلاّ يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ثم ركع الشاب، فركع الغلام وركعت المرأة، ثم رفع الشاب رأسه ورفع رأسه الغلام ورفعت المرأة رأسها، ثم خرّ الشاب ساجداً وخرّ الغلام ساجداً وخرّت المرأة، قال: فقلت: يا عباس إنّي أرى أمراً عظيماً.

فقال العباس: أمر عظيم، هل تدري مَن هذا الشاب؟

قلت: لا ما أدري.

قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب ابن أخي، هل تدري مَن هذه؟

قلت: لا أدري.

قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي هذا، إنَّ ابن أخي هذا الذي ترى حدّثنا إنَّ ربَّه ربّ السماوات والأرض، أمره بهذا الدين الذي هو عليه، والله ما علمت على ظهر الأرض كلّها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة[٢].

الجانب الثاني: البذل في سبيل الله -تعالى-

فقد بذلت جميع ما تملك في سبيل الإسلام، فبعد أن ضاقت قريش بدعوة النبي صلى الله عليه وآله وقرروا أن يحاصروا بني هاشم وعزلهم في شعب أبي طالب تقف خديجة موقف المجاهد في سبيل الله فتبذل جميع أموالها لرفد من في الشعب ومرّت ثلاث سنوات على النبي صلى الله عليه وآله وأهله، ولولا أموال خديجة لمات كلّ من في الشِعب جوعاً وكان لهذه المواساة أثرها الكبير في نفس النبي الكريم صلى الله عليه وآله فلم ينسَ مواقفها وما زال يتحدَّث عن فضائلها بعد وفاتها كلّما تواتيه المناسبة.

---

(١) بحار الأنوار: ج١٨ / ص٢٣٢-٢٣٣.

(٢) شواهد التنزيل: ج١ ص١١٢

الجانب الثالث: المحدِّثة

ورد في الروايات أنَّ السيدة خديجة بنت خويلدعليها السلام في الرّوايات أنَّها كانت محدِّثة لملائكة تحدثها، وقضية تحديث الملائكة قضية عقدية ذكرها القرآن الكريم: **(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ)**[١] وإذا جئنا إلى هذا المقطع القرآني وحملناه على الظاهر كما يحمله المسلمون بكلِّ وضوح أنَّ الذين قالوا ربّنا الله خديجة بنت خويلد قالت ربُّنا الله بمعنى الكلمة ثم استقاموا وكان من أسمائها الطاهرة يعني ما لوثتها الجاهلية ولا المحيط الذي عاشت في ذلك الوقت، كما أنَّها استقامت مع كل الأركان التي أمر بها الله تعالى، خاصة النبوة والولاية، فقد آمنت بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وما رأت زوجًا صالحًا سواه، فقد خطبوها زعماء، وبذلوا جميع الإمكانيات، ولكنها رفضت وكانت تنتظر النبي صلى الله عليه وآله فتزوّجها رسول الله في ريعان شبابها كان عمرها ٢٥ عامًا، تزوّجها النبي صلى الله عليه وآله وهي بكر ما مسها أحد على الإطلاق وأما ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام فقد كانت السيدة خديجة بنت خويلد الأولى في تاريخ الرسالة النبوية في الإيمان والاعتقاد بها. لقد كانت ترى في أمير المؤمنين علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وما كانت تهدأ لها عين إلا أن تكحل هاتين العينين بعلي عليه السلام وتصر على النبي صلى الله عليه وآله أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام في دارها.

إنَّ قبول ولاية أمير المؤمنين عليه السلام دليل الإيمان والمعرفة عن النبي صلى الله عليه وآله: " لم يزل الله يحتج بعلي بن أبي طالب عليه السلام في كل أمة فيها نبي مرسل، وأشدهم معرفة لعلي أعظمهم درجة عند الله" [٢].

الوجه الرابع: الطاهرة

كانت السيدة خديجة عليها السلام في الجاهلية تسمّى الطاهرة، وسمّيت بالطاهرة لشدّة عفافها. وتسمى سيدة نساء قريش[٣].

السيدة خديجة مصطفاة طاهرة نقية بنص من السماء: **(إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**[٤].

---

(١) سورة فصلت/ الآية: ٣٠.

(٢) بحار الأنوار/، ج ٤٠/ ص ٩٥.

(٣) مجمع الزوائد / ج٩/ ص٢١٨.

(٤) سورة آل عمران/ الآية: ٣٤.

ومعنى اصطفى: اختار واجتبى وأصله من الصفوة، وهذا من حسن البيان الذي يمثل فيه المعلوم بالمرئي وذلك أنَّ الصافي هو النقي من شائب الكدر فيما يشاهد فمثل به خلوص هؤلاء القو م من الفساد لما علم الله ذلك من حالهم؛ لأنَّهم كخلوص الصافي من شائب الأدناس[١].

وقد وردت عدة روايات عن المعصومين -صلوات الله عليهم- تجعل السيدة خديجة عليها السلام منهم، وأنَّ الله -تعالى- اصطفى عليّاً والحسن والحسين وحمزة وجعفر وفاطمة وخديجة على العالمين[٢] .

الجانب الخامس: خير نساء النبي صلى الله عليه وآله

من الأُمور المتَّفق عليها عند الجميع أنَّ السيدة خديجة عليها السلام كانت خير نساء النبي صلى الله عليه وآله وذلك بتصريح من رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر من مرَّة، وهذا إنَّما يدل على علو مقامها وجلالة قدرها عليها السلام.

فعن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ذكر خديجة لم يسأم من ثناء عليها واستغفار لها، فذكرها ذات يوم فحملتني الغيرة، فقلت: لقد عوَّضك الله من كبيرة السن!.

قالت: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله غضب غضباً شديداً، فسقطت في يدي فقلت: اللهمَّ إنَّك إن أذهبت بغضب رسولك صلى الله عليه وآله لم أعد بذكرها بسوء ما بقيت.

قالت: فلمَّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ما لقيت قال: كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كفر الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، وصدَّقتني إذ كذَّبني الناس، ورزقت منّي الولد حيث حرمتموه.

قالت: فغدا وراح عليّ بها شهراً[٣].

وعن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ الله اختار من النساء أربعاً: مريم وآسية وخديجة وفاطمة»[٤].

---

(١) تفسير التبيان/ ج٢/ ٤٢٩.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٣٧/ ص ٦٣.

(٣) كشف الغمّة: ج١ ص٥١٢.

(٤) الخصال: ج١ ص٢٢٥.

الجانب السادس: تخصيصها بالسلام من الله تعالى

فقد بلغ من قداسة السّيّدة خديجة عليها السلام عند الله تعالى أنَّه عزّوجلّ كان يخصّها بالسلام.

ففي الحديث أنَّ جبرئيل أتى النبي صلى الله عليه وآله فسأل عن خديجة فلم يجدها، فقال: إذا جاءت فأخبرها أنَّ ربّها يقرؤها السلام[١].

الجانب السابع: كثرة ثناء النبي صلى الله عليه وآله

فقد كانت السيدة خديجة عليها السلام عزيزة عند النبي صلى الله عليه وآله وتتمتّع بمكانة خاصة في قلبه، حيث كان صلى الله عليه وآله يحبّها حبّاً جمّاً، ويعتزّ بها، ويقدّر مواقفها المشرفة، والشواهد على ذلك كثيرة، منها:

إنّ عجوزاً دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فألطفها، فلمّا خرجت سألته عائشة، فقال: «إنَّها كانت تأتينا في زمن خديجة وإنَّ حسن العهد من الإيمان»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لمَّا توفِّيت خديجة عليها السلام جعلت فاطمة عليها السلام تلوذ برسول الله صلى الله عليه وآله وتدور حوله وتقول: يا أبتِ أين أُمِّي؟

قال: فنزل جبرئيل عليه السلام فقال له: ربّك يأمرك أن تقرأ فاطمة السلام وتقول لها: إنَّ أُمّك في بيت من قصب، كِعَابُهُ من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية ومريم بنت عمران[٣].

بل إنَّ الرسول صلى الله عليه وآله- وكما في التاريخ - أطلق على العام الذي توفِّيت فيه السّيّدة خديجة وأبو طالب عليهما السلام «عام الحزن»، وهذا خير دليل على معزّته صلى الله عليه وآله لهما.

---

(١) روضة الواعظين: ج٢ ص٢٦٩

(٢)بحار الأنوار: ج١٦ ص٨.

(٣)الأمالي للطوسي: ص١٧٥ .

الجانب الثامن: ذرّيّة النبي من السيدة خديجة عليها السلام

لم نجد ذرية للنبي صلى الله عليه وآله إلا من السيدة خديجة، فقد قال في حقها: "وولدت لي إذ عقمتم"[١].

وفاتها

توفِّيت أمّ المؤمنين السيّدة خديجة عليها السلام بمكة في السنة الثالثة قبل الهجرة، وقد حزن عليها رسول الله صلى الله عليه وآله كثيراً.

وكان الرسول صلى الله عليه وآله بشرها بمكانها في الجنة، فإنَّه لمّا حضرتها الوفاة دخل عليها النبي صلى الله عليه وآله، عند دفنها نزل رسول الله صلى الله عليه وآله في حفرتها وأدخلها القبر بيده الشريفة في الحجون، فكانت وفاتها مصيبة عظيمة على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وقد تبعتها مصائب وكوارث تحمّلها النبي صلى الله عليه وآله برباطة جأش وصبر على المكاره ورضاء من الحق عزّوجلّ.

---

(١) بحار الأنوار: ج١٦ ص٨.

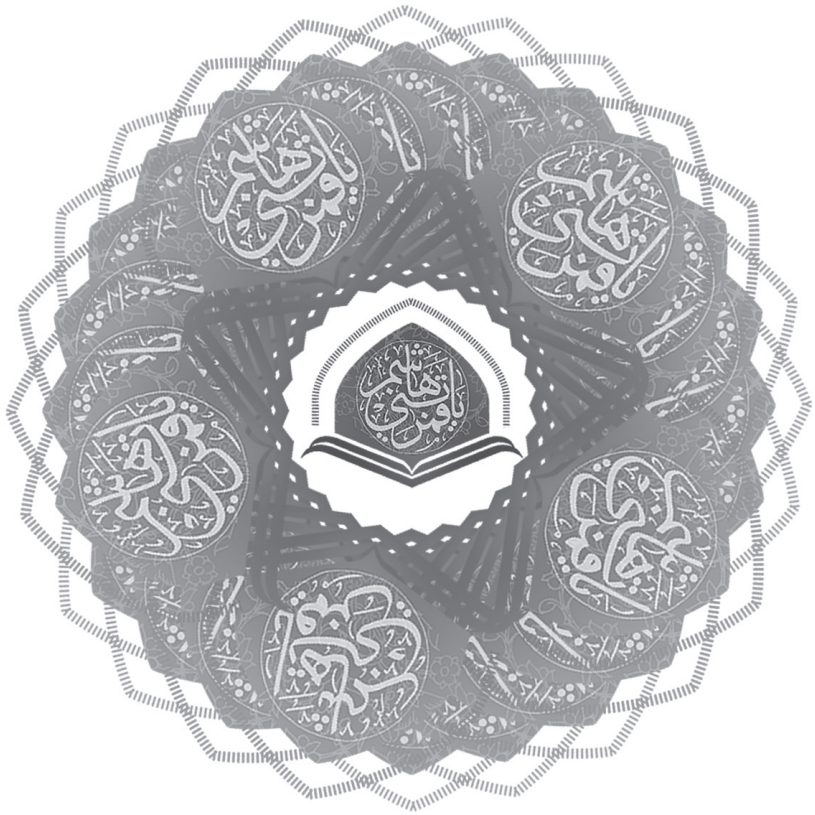

معارف وعلوم من صلح الإمام الحسن عليه السلام المظلوم

صباح الصافي

جرت عادة الباحثين عندما يتناولون صلح الإمام الحسن عليه السلام أن يسلطوا الضوء على المعطيات الخارجية لصلح الإمام الحسن عليه السلام من قبيل تهيئة الأرضية لقيام سيد الشهداء الحسين عليه السلام، باعتبار أنَّ الإمام الحسن عليه السلام عندما صالح معاوية بن أبي سفيان قلب السحر على الساحر فتوهّم معاوية بأنَّ مقاليد الأمور قد استقرّت له، وهذا ما جعله يكشف القناع الحقيقي لبني أمية، وبعد أن انكشف القناع عن واقع بني أمية جاء سيد الشهداء عليه السلام ووجد الأرضية قد تمهّدت للقيام بمعنى أنَّ الناس كانوا يرون قيام سيد الشهداء قيامًا شرعيًّا، إذ أنَّ واقع بني أمية قد انكشف لهم، ووجدوا واقعهم مجانبًا للإسلام، وبالتالي فقد كان القيام عليهم يمثّل الحق والإسلام، ولولا صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية ما كان معاوية يكشف القناع عن واقعه.

والحال أنَّ هنالك زوايا أخرى جديرة بالاهتمام، ولكنّها مغفول عنها عند الباحثين، ألا وهي زاوية المعطيات المعرفية لصلح الإمام الحسن الزكي عليه السلام فكما أنَّ هناك معطيات خارجية ترتّبت على صلحه هناك معطيات معرفية، وبمعنى آخر إنَّ صلح الإمام الحسن عليه السلام قد ساهم في إضافة مفاهيم جديدة للمنظومة الشيعية، وساهم في بلورة مفاهيم أخرى في المنظومة الشيعية ما كانت متبلورة قبل صلح الإمام الحسن عليه السلام، ومن هذه المعطيات المعرفية التي ينبغي التركيز عليها:

المعطى الأوَّل: تصحيح مفهوم الإمامة في أذهان المسلمين.

إنَّ صلح الإمام الحسن عليه السلام ساهم في تصحيح مفهوم الإمامة، باعتبار أنَّ مفهوم الإمامة في أذهان المسلمين كان مساوقًا لمفهوم الخلافة، وبعبارة أخرى حينما تأتي الى المسلمين وتسألهم ما هي الإمامة ؟

فإنَّهم يرادفونها بالخلافة والتي هي الإمساك بالسلطة والإمساك بمقاليد الأمور فالإمام عند المسلمين هو من يمسك بأزمّة الأمور، والإمام عند المسلمين هو من يتصدَّى للسلطة، ولكن الإمام الحسن عليه السلام لمّا صالح معاوية بن أبي سفيان فكَّك بين المفهومين فجعل مفهوم الإمامة على حدة، ومفهوم الخلافة على حدة، وبيَّن أنَّ هذين المفهومين قد يجتمعان وقد ينفكّان، وانفكاكهما لا يخل بإمامة الإمام .

بعبارة أخرى الإمام الحسن عليه السلام من خلال صلحه أثبت أنَّ الإمامة كالنبوة فكما أنَّ النبوة منصب إلهي غير مرتبط بمسألة التصدي للسلطة فكذلك الإمامة منصب إلهي غير منوط بمسألة التّصدّي للسلطة، ولما نأتي إلى تاريخ الأنبياء نجد مثلاً نبي الله سليمان -على نبينا واله وعليه أفضل التحية والسلام- كان نبيًّا متصدّيًا للحكم والسلطة وما أخل تصديه للسلطة بإمامته، بينما عندما نقرأ تاريخ نبي الله موسى -على نبينا وآله وعليه أفضل التحية والسلام- فإنَّ موسى ما كان متصدّيًا للسلطة، وإنَّما كانت السلطة بيد فرعون مع ذلك عدم تصدّيه للسلطة ما أخل بنبوته، ومنصبه الإلهي.

كذلك الإمامة تمامًا هي كالنبوة، فالإمامة منصب ومقام ثابت للمعصوم تصدَّى عليه السلام للسلطة أو لم يتصدّى لها، وهذا الفرز والتَّفكيك بين مفهوم الإمامة وبين مفهوم الخلافة إنَّما هو معطى معرفي من معطيات صلح الإمام الحسن عليه السلام. إذ بعد صلح الإمام بدا الفرز والتفكيك بين المفهومين.

المعطى الثاني: بلورة لزوم التسليم المطلق للإمامة .

وهذا المفهوم المعرفي بحسب ما يظهر كان مفهومًا مشوّشًا عند أصحاب الإمام عليه السلام ومن سبقهم، بل ما كان الأمر عندهم واضحًا أنَّهم يجب عليهم التسليم المطلق للإمام عليه السلام في كلِّ قراراته، ولكن الذي بلور هذه الفكرة وصارت مفهومًا ثابتًا عند شيعة أهل البيت عليهم السلام هو الإمام الحسن الزكي عليه السلام بصلحه مع معاوية.

وحينما نقرأ التاريخ نجد أنَّ أكثر أصحاب الإمام اعترضوا عليه في صلحه مع معاوية ومع اعتراضهم على صلح الإمام عليه السلام إلَّا لأنَّ مفهوم التسليم المطلق للإمامة ما كان عندهم واضحًا، بل كان مشوّشًا وما كان مبلورًا والإمام الحسن عليه السلام بعدما صالح معاوية ركَّز على هذا المفهوم، وبلوره لشيعته .

عن أبي سعيد الذي سأل الإمام الحسن عليه السلام عن السبب الذي دفعه للصلح مع معاوية مع علمه أنَّه على حق وأنَّ معاوية ضال ظالم، فأجابه الإمام عليه السلام " يا أبا سعيد ألست حجّة الله تعالى ذكره على خلقه، وإمام عليهم بعد أبي عليه السلام ؟ قلت: بلى، قال: ألست الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ؟ قلت: بلى، قال: فأنا إذن إمام لو قمت، وأنا إمام إذا قعدت، يا أبا سعيد علة مصلحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة وبني أشجع، ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية، أولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل قال أولست الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي الحسين، الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا؟

يا أبا سعيد إذا كنت إمامًا من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجهه الحكمة فيما أتيته ملتبسًا. ألا ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله، لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي، هكذا أنا سخطتم عليَّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه، ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل [1].

وحينما نأتي ونقرأ هذه الوثيقة للإمام فنجد الرسالة التي يريد الإمام يوصلها إلينا أنَّ مفهوم الإمامة كمنصب النّبوّة، فكما أنَّ النَّبي لا يصح الاعتراض عليه بل يجب التسليم المطلق له، وإن لم يتّضح وجه الحكمة في تصرّفه؛ لوجود علم إجمالي ارتكازي بأنَّ النبي مرتبط بالله فكلّ تصرّف يتصرّفه فهو بأمر الله-تعالى-، وبالتالي لابُدَّ من التسليم له علمنا وجه الحكمة، أو لم نعلم، كذلك الإمام عليه السلام مادامت الإمامة تعبر عن منصب إلهي وارتباط بالله فكل تصرّف يتصرّفه الإمام ، إنَّما هو بأمر الله فلابُدَّ من التسليم المطلق له علمنا وجه الحكمة، أم لم نعلم .

الإمام الحسن عليه السلام يقول لا فرق بين النّبوة والإمامة مثلما النبي عندما صالح صلح الحديبية ينبغي التسليم لمصالحته فأنا صلحي كصلح النبي، وكما أنَّ الخضر تصرف ولم يعلم وجه الحكمة من فعله وهذا ينبغي التسليم له كان ينبغي على موسى أن يسلم له أيضًا أنا إذا تصرَّفت ينبغي التسليم لتصرّفات عَلِمَ وجه الحكمة أم لم يعلم، فلا يأتي شخص ويقول أنا أحاسب الإمام، وأنَّ لي الحق أن ناقش الإمام أو أن اعترض على الإمام، بل ينبغي التسليم المطلق له؛ لأنَّه من خلال منصبه مرتبط بالله فلا يصدر إلَّا عن الله-تعالى- وإذا كان لا يصدر إلا عن الله وجب التسليم لفعله.

---

(١) بحار الأنوار / ج ٤٤ / ص ١.

المعطى الثالث: تصحيح خطأ تطبيق مفهوم العزة.

عندما نرجع إلى كيفية تعامل أصحاب الإمام ﷺ مع الإمام نقرأ في أكثر الرواية أنَّ أصحاب الإمام ﷺ سلموا على الإمام الحسن بعد صلحه مع معاوية بصيغة السلام عليك يا مذّل المؤمنين، وكان الإمام -صلوات الله وسلامه عليه- في مقام الجواب: يقول: " مه ما كنت مذلّهم، بل أنا معزّ المؤمنين، وإنَّما أردت الإبقاء عليهم" [١].

هنا مفارقة واضحة بين مفهوم العزّة عند الإمام، وبين مفهوم العزّة عند أصحاب الإمام الحسن ﷺ بحيث أنَّهم كانوا يرون أنَّ صلح الإمام مظهر من مظاهر الذّلة، بينما الإمام الحسن ﷺ كان يراه مظهرًا من مظاهر العزَّة، فهنا مفارقة واضحة في تطبيق مفهوم العزّة عند أصحاب الإمام الحسن وعند الإمام الحسن من أين أتى هذا؟

وهل أن مفهوم العزة كان ملتبسًا عند أصحاب الإمام ﷺ؟

مفهوم العزة غير قابل للالتباس باعتبار أنَّه من المفاهيم العرفية الواضحة، وعندما تسأل أي إنسان، ما هي العزَّة ؟ وما هي الذلة ؟

يقول لك العز والعزة هي عبارة عن الشعور بالقوّة، بالشموخ، والفخر، بينما الذل هو عبارة عن الشعور بالضعف، بالانكسار .

والواقع إنَّ مفهوم العزَّة ومفهوم الذّلة لا لبس فيهما بل هما مفهومان عرفيان واضحان، ولكن جاءت المفارقة من الخطأ في التطبيق، فأصحاب الإمام الحسن ﷺ اخطأوا في تطبيق مفهوم العزَّة ومفهوم الذّلّة على صلح الإمام الحسن ﷺ.

إنَّ النّقطة التي أضاءها الإمام الحسن ﷺ بصلحه تُشكّل لنا قاعدة مفاهيمية، فيما يرتبط بمفهوم العزة والذلة، وأنَّ تطبيق الأحكام الشرعية وتطبيق الوظيفة الشرعية هو مظهر من مظاهر القوّة والكبرياء والشموخ وإن كان ينظر إليه بمنظار الاستخفاف والاستصغار.

ولتقريب الصورة أضرب مثالاً فلو كانت هناك عندنا امرأة مؤمنة ولكنَّها تعيش في مجتمع متفسخ ومنحرف وأرادت أن تلتزم بحجابها الشرعي وهي تعلم أنَّها لو التزمت بحجابها الشرعي فإنَّها ينظر لها بمنظار الاستخفاف والاستهانة، والضعف، وهنا العزّة في التزامها بوظيفتها الشرعية وحجابها، فهي وإن كانت حسب

---

(١) مدينة المعاجز / ج ٣ / ص ٢٣٣ .

المنظور الاجتماعي ينظر إليها بمنظار الاستخفاف، ولكنّها عندما تقاوم الضغط الاجتماعي وتتمسَّك بحجابها الشرعي وتواجه ضغوط المجتمع حتى وإن كان المجتمع يحقرها ويستخف بها إلّا أنَّ ذلك يولد عندها كبرياء وشموخًا؛ لأنَّها قاومت كل الضغوط، وتمسّكت بوظيفتها الشرعية.

هذا مفهوم بلوره صلح الإمام الحسن عليه السلام، فبعض أصحابه عليه السلام اعتبروا صلحه ذلًّا؛ لأنَّ هذه النقطة عندهم لم تكن واضحة بينما هي واضحة عند الإمام عليه السلام ولذلك كان يَعْتَبر الصلح عزًّا ولم يعتبره من مظاهر الذّلّة؛ لأنَّ الأمر كان يدور بين خيارين إمَّا أنَّ الإمام الحسن عليه السلام يُقاتل ويحارب معاوية، والغالب بحسب الظروف تلك تصفية الشيعة وإبادتهم، وإذا تحقَّقت الإبادة الكاملة للوجود الشيعي ستخلو الساحة لمعاوية بن أبي سفيان، وإذا خلت الساحة للحكم الأموي هل سيبقى دين؟ وهل سيبقى إسلام؟

كان للإمام الحسن عليه السلام خيار أن يُقاتل معاوية، لكنه بلا عدّة ولا عتاد ولا أنصار، فالنتيجة محسومة هي قتل الإمام الحسن عليه السلام وتصفية الشيعة على الإطلاق، والخيار الثاني أن يصالح معاوية وفي صلحه لمعاوية حفظ الكيان الشيعي، ولكن ذلك سيوجب النظر إليه بمنظار الضعف، والاستخفاف، بمنظار الانكسار والاستهانة، فأين هي وظيفة الإمام الحسن عليه السلام؟

وظيفته التضحية بالدين؟

أو حفظه؟

لاشك أنَّ وظيفته حفظ الدِّين فلذلك الإمام الحسن عليه السلام اعتبر الصلح عزًّا فإنَّه وإن نظر إليه الآخرون بمنظار الاستخفاف، بمنظار الاستهانة، ولكن هذه النظرة لا تُغيّر من الواقع.

وهذا التزام بالوظيفة الشرعية، وتطبيق للوظيفة الشرعية التي هي حفظ الدين، وتطبيق الدين عزة، فالإمام الحسن عليه السلام النقطة التي أضاءها بصلحه هي أنَّ تطبيق التكاليف الشرعية هو مصدر الإلهام بالشموخ وبالكبرياء وبالعزة وإن نظر الآخرون بمنظار الاستخفاف.

لذلك نحن أعزّاء وأقوياء لأنَّنا التزمنا بتكاليفنا الشرعية، ولم نهزم أمام الضغوط الاجتماعية والنظرات الاجتماعية هذا مفهوم مهمٌّ جدًّا بلوره صلح الإمام الحسن عليه السلام .

فصلح الإمام الحسن الزكي عليه السلام له معطيات معرفيَّة عديدة جدًّا وهذه بعضها فيما يرتبط ببلورة المفاهيم في المنظومة الشيعية، وكان الإمام عليه السلام بقيامه وقعوده مصدر الإلهام عليه السلام، وإنَّما صالح معاوية بن أبي سفيان؛ لأنَّه كان

مضطرًّا للمصالحة وإلا ليس الموقف الأوّل للإمام الحسن ﷺ، المصالحة كانت موقف ثانوي بعد أن خاطب الإمام الحسن أهل الكوفة فما استجاب له على بعض الروايات إلا عشرون رجلاً، أقاتل بمن؟

أواجه معاوية بمن؟

عشرون رجلاً هم الذين استجابوا فاضطرّ لمصالحة معاوية حقنًا لدماء المسلمين، حفظًا للوجود الشيعي، حفظًا للدين بالنتيجة، ولكن معاوية ما هدأ له بال، ولا قرّت له عين، فكان يترصَّد الإمام الحسن ﷺ في كلِّ لحظة وفي كلّ فرصة، حتى أرسل مجموعة إلى الإمام الحسن لاغتيال الإمام والتخلّص منه، وقد اعترضه واحد منهم في منطقة صابات وطعن الإمام ﷺ بمغول، هل تعلم ما هو المغول؟المغول في اللغة العربية الآلة الحادة التي تكسر بها الجبال بهذه الآلة طعن إمامنا الحسن في فخذه، الرواية تقول حتى بان عظم فخذه وأرسلوا لمعاوية أنَّنا على أتمّ الاستعداد لتسليم الحسن الزكي وخذلانه، ولم ينصروه بل ضيّعوا قدره ﷺ وضيّعوا شأنه، ولما أعيت معاوية الحيلة صار يستعين بدسِّ السم للإمام ﷺ.

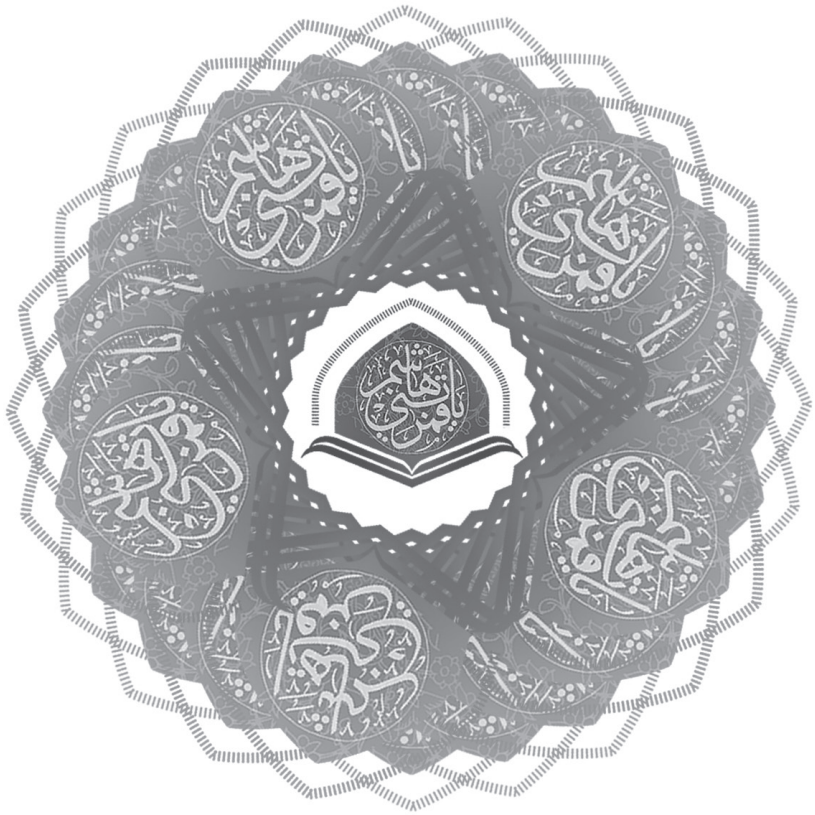

مع الرحلة الرسالية الخالدة

الشيخ نبهان البصراوي

في الليلة السابعة عشرة، أو الحادية والعشرين من شهر رمضان ـ على قول من الأقوال ـ وقعت حادثة الإسراء والمعراج، وإن كان هناك من يرى وقوعها في السابع والعشرين من شهر رجب، وهو يوم المبعث عندنا، أو السابع عشر من ربيع الأوَّل قبل الهجرة بسنة، وهو يوم المولد النبوي عندنا كذلك.

فعلى أيّ حال ليس من الضروري تحديد تأريخها بل المهم هو استذكار معاني تلك الرحلة الخالدة، والاستفادة من جلال ذلك الحدث الذي كان يتألّف من خطوتين:

الأولى: خطوة أرضية، تلك التي كانت فيها رحلته ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في لحظة أقرب من لمح البصر مع البعد المكاني بين المسجدين، لذلك كانت موضع اهتمام القرآن الكريم وتأكيده على الجانب الإعجازي فيها كرحلة روحية وبدنية معًا، وليست مجرّد رؤيا منام كما يدعى.

قال تعالى: (**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**)[1].

فقد اصطلح القرآن الكريم على الرحلة الأرضية بالإسراء، وأنّه وقع ليلًا، كما قال -تعالى- في شأن موسى

(١) الإسراء: ١.

عليه السلام: **(وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى)** يريد السير بهم ليلا، لأنَّ الإسراء هو السير بالليل.

الثانية: خطوة سماوية، تلك التي كانت على شكل عروج، والعروج هو الصعود والارتقاء بتدرّج من المسجد الأقصى إلى السماء العلى فكان من ربّه كقاب قوسين أو أدنى.

جاء في مفردات غريب القرآن: (عرج: العروج ذهاب في صعود، قال (تعرج الملائكة والروح – فظلوا فيه يعرجون) والمعارج : المصاعد قال: (ذي المعارج).

وليلة المعراج: سُمِّيت، لصعود الدعاء فيها، إشارة إلى قوله: (إليه يصعد الكلم الطيب) وعرج عروجًا وعرجانا مشى مشي العارج، أي : الذاهب في صعود)[١].

لقد كان هذا الحدث من ناحية: يمثل تحوّلاً في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ويؤكد على كونه في حركة تكامل مستمرّة نحو الله تعالى بروحه وفكره ونفسه، وفي كلِّ أحاسيسه، حتى ذكر بعض المفسرين في قوله تعالى: **(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)**[٢].

ومن ناحية أخرى: كان هذا الحدث معجزة كبرى لرسول الله صلى الله عليه وآله بما تحوي من مضامين عالية، يتحدّى بها القرآن الكريم عناد المشركين وتنكرهم للرسالة والرسول صلى الله عليه وآله ومرائهم وجدالهم له في صحّة مدعاه لرؤية الله عزوجل **(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)**[٣].

جاء في كتاب تزكية النفس: (ويبدو أنَّ المقصود به هو : المشاهدة الحضوريَّة بالقلب التي لا يمكن أن تخطأ، ويكون ذلك – بلا تشبيه – من قبيل مشاهدتنا لأنفسنا ولحبِّنا وبغضنا وما إلى ذلك ممَّا هو حاضر لدى أنفسنا.

وهذه مشاهدة مصونة عن الخطأ، ولذا قال تعالى: (أفتمارونه على ما يرى) ففرق بين العلم بالأُمور التي هي منفصلة عن النفس، والتي يمكن فيها الخطأ، والعلم بمشاهدة ما هو متصل بالنفس)[٤]، وقد كان لهذا الحدث

(١) مفردات غريب القرآن / ١ / ٣٢٩.

(٢) محمد : ١٩.

(٣) النجم : ١١– ١٨.

(٤) تزكية النفس : ١ / ٣٧٧.

مدلولان في حياة رسول الله ﷺ والأمة:

المدلول الأوَّل: المدلول العلمي الذي كان مهمّة من المهمات الرسالية التي يباشر فيها الرسول ﷺ المرسل، ويرتبط بحضرة الجلالة لغرض إعداده للقيادة، وتلقينه دروسًا يعالج بها قضايا الأمة ومشاكلها من خلال معرفة الحلال والحرام، وتفاصيل أحكام الشريعة التي بعث بها، وأساليب التربية والتعليم للأمة.

المدلول الثَّاني: المدلول العلمي الذي يرتبط بترسيخ الجانب العقيدي، والإيمان المبني على أسس علمية متينة، قوامها التفكير في خلق الكون بأرضه وسمائه وأجرامه وما فيها من تدبير حكيم وإتقان رصين من خلال هذه الرحلة الخاصة، وإن كان هذا نتيجة لكل الرحلات والسياحات في الأرض التي شجع القرآن الكريم، وأكد على الإلتزام بها.

(أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)[1].

ولكن في هذا الأمر قد اختص الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بهذه الرحلة الخالدة من دون الخلق؛ لأنَّها تدخل في صميم إعداده الخاص، فكريًا وروحيًا، وبنائه كقائد مميز.

وأما على مستوى استفادة الأمة من هذه الرحلة، فهو أيضًا بناء عقيدتها بناءً علميًا، وتثمين ثقتها وإيمانها بالرسول ﷺ وفي كل ما يقول ويعمل، مضافًا على ذلك النظر والتفكر والاستفادة من جوهر وتفاصيل هذه الرحلة العلمية، وذلك:

فقد امتطى الرسول الكريم ﷺ راحلة يقال لها ـ البراق ـ وهي – على ما ذكر الحديث وفي ذلك تلقين إلهي لنا بوجوب التعلق بالأسباب.

فلم يكن عزيزًا على ربنا أن ينقل رسوله من مكة إلى القدس دون وسائل النقل، بحيث يجد الرسول ﷺ نفسه فجأة على أبواب المسجد الأقصى، ولكنه جلت حكمته، قضى بأن يجري كل شيء على قوانين لا تتبدل ولا تتحول.

وفي استخدام هذه الرحلة التي قطعت المسافة الطويلة في سرعة مذهلة، تحريض للعقول على النظر في إبداع

---

(١) الأعراف : ١٨٥ .

وسائل جديدة تقطع المسافات البعيدة في مدة وجيزة.

ثم نسأل الذين يعلمون ما هي أقصى سرعة تجري في كون الله طبقًا لما انتهى إليه العلم ؟ ويأتينا الجواب بلا تردّد إنَّها على وجه اليقين سرعة الضوء وهي ٣٠٠ ألف كيلو متر في الثانية الواحدة.

والبراق الذي امتطاه رسول الله ﷺ كان ينطلق بسرعة ضوئية؛ لأنَّ كلمة البراق ـ مشتقة من كلمة البرق ـ ومن خلال المحاولات العلمية في دراسة الفضاء توصل الإنسان إلى معرفة كثير من الأسرار واستطاع بسلطان العلم أن ينفذ من أقطار الأرض إلى عجائب الملكوت.

ولكن العلم المادي وحده ينسي الإنسان خالق الكون، وحادث الإسراء والمعراج يعطينا درسًا بأنَّ المادة والروح متلازمتان، فقد كان الرسول ﷺ بعروجه إلى الملأ الأعلى على هيأته بشرًا من مادة الكون، وقبساً من روح الخالق الأعظم، وكان جبرئيل يمثل الدليل الأمين.

ولا مانع من أن نرمز إليه في الرحلة بسلطان العلم الذي يجب أن يقودنا في رحلتنا بهذه الحياة إلى خالق الأكوان)[1].

(١) تفسير الكاشف/ ٥ / ٩ .

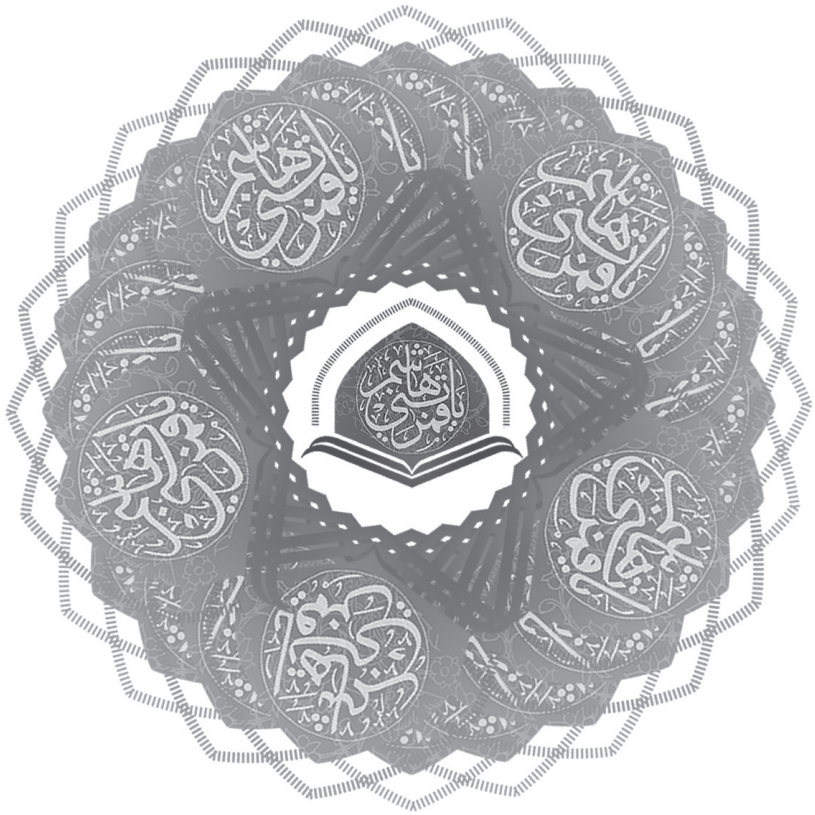

معركة بدر تجربة تربوية

لؤي عبد الرزاق

ارتبط اسم بدر بموقعها التأريخي والجغرافي معًا، فهي وادٍ في الطريق بين مكة والمدينة، ولعله كان موسماً هاماً من مواسم العرب يترددون إليه في فترات متعاقبة ومنطقة يتوفر فيها الماء والكلأ، مما جعلها مرتعاً للنزاهة والراحة .

ومهما يكن موقع بدر وسبب تسميتها، فلا يهمنا سواء اتصلت تسميتها بموقع جغرافي أو باسم رجل معين، فإنَّما المهم من ذلك كله أن نسلط الأضواء القرآنية عليها بصفتها تجربة تربوية لعزائم الأمة في طريق كفاحها ضد الشرك الطاغوتية.

فهي الواقعة الأولى التي خاض المسلمون تجربتها بأحسن الأداء، واهتم القرآن الكريم بملازمة أحداثها وظروفها بالذكر والعرض، وكشف الحقائق التي تستحق الكشف لصلتها بتربية وإعداد الأمة.

وبين أيدينا سورة الأنفال، وهي التي احتضنت أحداثها بالذكر والعرض أكثر من بقية السور المباركة وكلمة (الأنفال) قد يراد بها معنى خاصاً.

أي : ما غنمه المسلمون في معركة بدر، أو معنى عاماً وهو: كل ما كسبه المسلمون من المشركين مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، كبطون الأودية، ورؤوس الجبال، وهو ما يسمى بالفيء أحياناً باصطلاح الفقهاء، وقد جاء

في بعض الروايات، أنَّ الفيء والأنفال شيء واحد.

وسورة الأنفال سورة مدنية، وإن ذهب البعض كمجاهد وابن عباس إلى أنَّها مدنية عدا سبع آيات، تبدأ بقوله تعالى: **(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)**[١].

وقال البعض أنَّ السورة نزلت كلها في واقعة بدر الكبرى، وقيل: نزلت بعد الواقعة وهي تشرح أحداثها ونتائجها.

ولا تشكل هذه الأقوال عقبة في طريق النظر إلى السورة المباركة في جوّها العام، من العرض التذكيري والتربوي، بتناول وكشف نقاط القوة تارة، ونقاط الضعف تارة أخرى، واقتباس الدروس التربوية من معالم هذه الواقعة المشرفة.

السلبيات في طريق التربية

من خلال العرض الذي تكلفته السورة المباركة لأحداث بدر، ذكرت مواضع ضعف، وكشفت عن ظاهرتين سلبيتين في الأمة، تمخَّضت عنهما تلك الواقعة إلى جانب النتيجة الكبرى وهي النصر الذي كتبه الله تعالى للأمة، ولكن تتمخض من عرض هاتين الظاهرتين مفاهيم فكرية ودفقات روحية تقع في طريق الإعداد والتربية للأمة لمراحل الجهاد والمنازلات القادمة:

الظاهرة الأولى: الكره والجدال

عندما بدأت الخطوات الأولى على طريق المنازلة التأريخية وعند الخروج من المدينة، فقد لوحظ شيء من التثاقل والتباطؤ في السير، ينم عن وجود كراهية في بعض النفوس للقتال.

(كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ)[٢].

والآيتان بمنطقهما التربوي تفترضان أنَّ السير إلى الجهاد ليس سوقاً إلى الموت كما يتصور المتثاقلون وضعاف النفوس، حيث لم يميزوا بين الموت وبين مفهوم الجهاد الذي تتمثل فيه عناصر وأسباب العزة والحياة الكريمة.

---

(١) الأنفال : ٣٠.

(٢) الأنفال : ٥ - ٦ .

فقد عقدت الآية هذا التشبيه بين حالة التثاقل وبين الشعور بالموت لأمرين:

الأول: الوضع والصورة التي كان عليها بعض المسلمين حين التجهز للخروج، وهي صورة تعبر عن المضاضة والألم والتكاسل، مما يكشف عن الكره وعدم الرضا من البعض.

الثاني: بيان المغزى التربوي من هذا التشبيه وهو إشعار الأمة بأنَّ السير إلى الجهاد كما أمر الله، يختلف تماماً عن السوق إلى الموت؛ لأنَّ الله تعالى شرع الجهاد للحياة ومن أجل الحياة.

بماذا يتحدد معنى الحياة؟

وهل يتحدد معنى الحياة من خلال المنازلات العسكرية بالمقاييس المادية الصرفة؟ وهل يتحدد بالإطار النفسي والمزاجي المغلف؟

كلا وإنَّما حدده الله تعالى بما يرجى لديه من الخلود والنعيم المقيم للمؤمن، في مقابل العذاب الذي يصيب به الله عزّ وجل أعداءه من عنده أو بأيدي المؤمنين، كما أشار تعالى بقوله:

(وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)[1].

(قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ)[2].

قصة هذه الظاهرة

(قال أصحاب السير، وذكر أبو حمزة وعلي بن إبراهيم في تفسيرها - أي الآيتين:

(وإذ يعدكم .. وكما أخرجك ربك من بيتك) أقبل أبو سفيان بعير قريش من الشام وفيها أموالهم وهي اللظيمة، وفيها أربعون راكباً مع قريش، فانتدب النبي ﷺ أصحابه للخروج إليها ليأخذوها، وقال: لعل الله أن ينفلكموها، فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم، ولم يظنوا أنَّ رسول الله ﷺ يلقى كيداً ولا حرباً فخرجوا

---

(١) النساء: ١٠٤.

(٢) التوبة: ٥٢.

لا يريدون إلا أبا سفيان . والركب لا يرونها إلا غنيمة لهم)[١].

وجاء أيضاً من خلال العروض التأريخية لأحداث بدر:

أنَّه لما نجت قافلة أبي سفيان (وأصبح الغد والمسلمون في انتظار مروره بهم فإذا الأخبار أنَّه فاتهم وأنَّ مقاتلة قريش هم الذين لا يزالون على مقربة منهم، فيذوي في نفوس جماعة منهم ما كان يملؤها من أجل الغنيمة، ويجادل بعضهم النبي ﷺ كي يعودوا إلى المدينة، ولا يلقوا القوم الذين جاؤوا من مكة لقتالهم وفي ذلك نزل قوله تعالى (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين..)[٢].

زاويـــة للنقـد

ومن خلال التثاقل والتباطؤ والجدال الذي يكشف عن كره في نفوس البعض لملاقاة العدو، تنفتح نافذة لنقد هذا الموقف الذي لم يكن فيه المسلمون بمستوى مسؤوليتهم بما يتطلبه الموقف منهم كحملة رسالة.

ولكن بالرغم من وجود إرادتين متعارضتين في المسلمين آنذاك، إرادة للدنيا وحطامها، وإرادة لله والآخرة، فعلينا ملاحظة الأمور التالية:

أوَّلاً: بما أنَّ الله تعالى وعد المسلمين إحدى الطائفتين، وودّ الضعفاء أن غير ذات الشوكة تكون لهم، فقد نفذت في نهاية المطاف إرادة الله تعالى، واختار لهم طائفة ذات الشوكة لأنَّه ولي التخطيط والتوجيه لهذه المعركة، ليتحقق الغرض الذي عبّر عنه القرآن الكريم، بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وقطع دابر الكفر والكافرين.

ثانياً: لولا أنَّ هناك صوتاً كبيراً من أصوات الاستبشار والرضا بقرار السماء، ولولا أنَّ هناك نفراً قويّاً أعلنوا الاستعداد للبذل والتضحية بالنفوس والدماء في سبيل إعلاء كلمة الله..وهوّنوا من خطر ذلك الصوت المغلف بضعف الإنسان وطمعه في الحياة الدنيا، لولا ذلك كله ما كان ليتحقق ذلك الغرض الذي اختار الله لتحقيقه المواجهة.

ثالثاً: إنَّ ذلك الصوت الضعيف كان من مجموعة قليلة من الذين ألهتهم أموالهم وشغلهم حب الدنيا والحطام الزائل، فراحوا يعلنون أصواتهم باليأس والتَّشاؤم وينادون بالتمهّل، وهم لا يريدون أن يبذلوا ولو ذرة من العناء في سبيل الله تعالى، ولم يكن ذلك الصوت صادراً من الأمة كلها.

(١) تفسير الميزان/ ج٩ / ص٢٤ .

(٢) حياة محمد /٢٦٠ .

رابعاً: إنَّ ذلك الصوت وإن كان يدل على الضعف في بعض النفوس، والشعور بالوهن أمام الدنيا وأمام العدو، إلا أنَّ مثل هذا الضعف في بعض النفوس لا تخلو منه أمة قوية، ولا موقف من مواقف الأمة القوية فهو يصدر من أُناسٍ تضيع أصواتهم وسط الأعم الأقوى.

ولقد ضاعت تلك الأصوات وسط موج كبير من أصوات الأمل والاستبشار والاستعداد للحرب انطلاقاً من نداء القرآن الكريم.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)[٣].

فعلى هذا الأساس العقائدي نفض المؤمنون غبار الضعف والذل والخمول وتدرّعوا بالعزيمة والتصميم، وراحوا يشقون عباب اليأس بأشرعة الأمل وذلك:

(عندما استشار رسول الله ﷺ أصحابه وأخبرهم بما بلغه من أمر قريش) فقام إليه المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله اِمض لما أراك الله فأنا معك، والله لا نقول كما قال بنوا إسرائيل لموسى عليه السلام إذهب أنت وربك قاتلا وإنّا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، وسكت الناس فقال الرسول ﷺ :

أشيروا عليّ أيّها الناس – وكان يريد بكلمته هذه الأنصار الذين بايعوا يوم العقبة على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ولم يبايعوه على اعتداء خارج مدينتهم – فلما أحس الأنصار أنه يريدهم وكان سعد بن معاذ صاحب رايتهم التفت إلى النبي محمد ﷺ وقال:

لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال أجل، قال سعد:

لقد آمنا بك وصدَّقناك، وشهدنا أنَّ ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض لما أردت فنحن معك، فو الله الذي بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، وما تخلف منَّا رجل واحد وما نكره أن تلقى الله بنا عدونا غداً إنا لصبر في الحرب، صدق في اللواء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله.

---

(٣) الصف : ١٠ - ١٣ .

ولم يكد سعد يتم كلامه، حتى أشرق وجه محمد ﷺ بالمسرة، وبدى عليه كل النشاط، وقال: (سيروا وابشروا فإنَّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين) [١] .

ثمرة القرار المشترك

ومن خلال الخطاب الخالد الذي ألقاه النبي ﷺ على مسامع المسلمين، يبين جوهر الصلة الوثيقة بين القائد والأمة، تلك الصلة التي تعتبر من مميزات البنية السياسية للأمة.

فقد راح النبي القائد ﷺ يخاطب الأمة بأروع وأدق الأساليب، وأصرحها بياناً، وهو يطرح مبدأ المشاورة بقوله: أشيروا عليّ، بالرغم من قراره الصائب بحكم الصلاحيات الموكلة إليه من السماء، كرسول مبلغ عن الله تعالى، وقائد يتميز بالفكر والوعي والإرادة، فمن الطبيعي سوف يقابل قراره هذا، بتصميم وإيمان وتحفز من الصفوة المؤمنة من أصحابه وقد حقق رسول الله ﷺ بخطابه غرضين مهمين:

الأول: وضع اللمسات على نبض الأمة، وكشف مستوى الاستعداد والإمكانات القتالية، ومعرفة مدى عمق الحس الإسلامي بالمسؤولية الملقاة على عاتق الأمة تجاه رسالتها، وليلمس مؤهّلات القيادة لدى الشخصيات التي من حقّها أن تتصدّر مسيرة الركب إلى الجهاد وتكون قدوة المقتدين.

ولذلك كانت كلمة - (وابشروا فإنَّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين)....قد مداها في أعماق القلوب المؤمنة ممن نذروا أنفسهم للرسالة أخذ صداها كذلك يصك مسامع الذين كرهوا الجهاد بغية الظفر بطائفة غير ذات الشوكة، ليقشع عن قلوبهم سحابة الطمع وحب الحطام الزائل.

الثاني: إشعار الأمة بشخصيتها وهيبتها وقيمة رأيها إلى جانب رأي القائد فإنَّه الرجل الذي يتفاعل قلبه مع قلب الأمة، ورأيه مع رأيها، فهو لا يرضى لنفسه أن يعيش لذاته، أو يستقل بقراراته وإن كان صائباً، بل هو منها وهي منه في الفكر والشعور، والإيمان والمسؤولية، والحب والثقة.

الموقف من شعار الديمقراطية

كثيراً ما وضع مصطلح الديمقراطية في أسواق المزاد السياسي، وكثيراً ما أصبحت بضاعة يقايض بها لشراء المناصب السياسية والسلطة في الأرض، وعناوين تحملها وسائل الإعلام العالمية، وشعارات تملأ بها جدران الأبنية

(١) حياة محمد ﷺ ٢٥٨ - ٢٥٩ .

العامة عندهم، لترويج سيادة حكّام الغرب الذين ينادون بالحريات في المجتمعات الرأسمالية.

والأمة من شرق الأرض إلى غربها تسمع وترى من ذلك الكثير، وهي تستوعب مدلول ما تسمع وترى؛ لأنَّها لم تتعامل مع مجتمعنا المسلح مدلولها من تأريخ الرسالة الإسلامية التي فرضت سيادتها العادلة على مجتمع الجزيرة العربية حيث ينتقل النبي ﷺ بهذا المجتمع من القرار المنفرد والانعزال السلطوي، إلى القرار الموحد، والوقف الاجتماعي والاشتراك السياسي الذي لا يخرج بالأمة عن إطار المصلحة الإسلامية العامة، ولا عن منهج الطاعة المطلقة للحاكم العادل.

في الوقت الذي كان واقع الجزيرة العربية يحتوي على مجتمع من البشرية، تحكم منه طبقة متزعمة بالمال والسيطرة بالجاه، ولها حق السيادة على جميع القبائل، وطبقة أخرى ترى لنفسها حق التكلم باسم السماء في سبيل الذات وهي طبقة الأحبار والرهبان.

فهناك طبقتان، طبقة جمعت بيدها زعامة الأرض وطبقة جمعت بيدها زعامة الأرض والسماء، لغرض التحكم الباطل في رقاب الضعفاء الأرقّاء، وقد جاءت رسالة السماء الإسلامية، التي هي رسالة تطوير وتحرير:

لتفهم هذا المجتمع أنَّهم بشر لهم الحق في الحرية والنور، وأنَّهم مغلولون لهم الحق في الانعتاق، وأنَّ هؤلاء الذين يدّعون الزَّعامة في الأرض من كلا الطبقتين، ليسوا سوى عبيد مخلوقين لله تعالى.

ولتفهمهم أنَّ المقياس للتفاضل هو: مقدار ما يؤدِّيه كل فرد للناس من خدمات، وأنَّ هؤلاء المتزعمين، ما هم إلا مفترون على الله تعالى، يشترون بآيات الله ثمناً قليلا.

ولتفهمهم أنَّ الحاكم الذي يتسنم مركز القيادة، ويستلم زمام الإدارة في الأمة كرسول الله ﷺ يتمتع بشخصيتين:

شخصيته الذاتية البشرية، التي يشترك في خصائصها وعوارضها مع كلّ البشرية وهذه الشخصية ملكه، ويعتبر فيها كأيّ فرد من الناس، يخضع لكلّ العوارض الطبيعية ويفتقر إلى كل ما تفتقر إليه الطبيعة البشرية.

وشخصيّته الموهوبة، وهي شخصية المنصب، بصفته حاكماً ووليّاً لأمر هذه الأمة، والشخصية هذه، هي ملك الأمة والرسالة التي اعتبر أميناً عليها، وتقديساً للأمانة التي يحملها.

(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[١].

ولا شك أنّ العمل المشترك بين الحاكم والأمة – كما جاءت أمثلته على يد رائد الرسالة الأول محمد ﷺ كقائد شارك الأمة آلامها - وامتزجت متاعبه ومباهجه بمتاعبها وبمباهجها – أنَّ هذا العمل هو الأسلوب التطبيقي للديمقراطية وأما الأساس النظري فهو ما أكَّده القرآن الكريم في بياناته وتعاليمه لرسوله ﷺ.

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)[٢].

(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)[٣].

فالديمقراطية في إيديولوجية المجتمع المسلم والحاكم المسلم ليست هي الشعار المجرد الذي تُشْتَرى به المصالح وتستدر به المنافع السياسية الخاصة كما ينادي بها الحكام الغربيون المتسلطون على العالم بقوة الحديد والتسلح.

وليست هي الفوضى واللاقيود، التي تلقي على كل فرد مسؤولية نفسه، وتتركه يتصرف كيف يشاء خارج حدود ضوابط القانون، وتتخلى عن ملاحظة الخطأ وشذوذ الأهواء والنوازع كما هو الحال في تسيب وانحطاط المجتمع الغربي.

قال تعالى : **(فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)**[٤].

ولما كان الإسلام صرخة هدم لأسس الاستبداد والتسلط من ناحية، والفوضوية واللاقيود من ناحية أخرى فقد أعد أعداؤه العدة لتطويق هذه الصرخة، واستهدفوا القيادة العليا المتمثلة في شخصية سيدنا الرسول الكريم ﷺ بالحملات التشويهية منذ ذلك التأريخ متّهمين إيّاه بالسحر والجنون وغير ذلك، وحتى هذا الآن، الذي يسعى فيه الكفر والماسونية العالمية إلى التقليل من شأنه والحط من قدره والحرب ضد كل بلد يحتضن رسالته ﷺ

(١) المنافقون : ٨ .

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

(٣) الشورى : ٣٨ .

(٤) الشورى: ١١ .

بل يسعى أولئك إلى طمس اسمه وذكره، ويأبى الله إلّا أن يتم نوره.

ومما يؤلم - أكثر - أنّ هناك ممن سمّوا مسلمين توحيديين قد اندفعوا بالحرارة نفسها وعلى الغاية ذاتها التي اندفع إليها سلطويّو الشرق وفوضويّو الغرب، وعلى ديدن أولئك القدامى الذين هاجموا سيدنا الرسول الأعظم ﷺ عدا الاختلاف في الأبواب والأساليب التي ينفذون من خلالها إلى طعن صميم الإسلام وصاحب الرسالة محمد ﷺ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

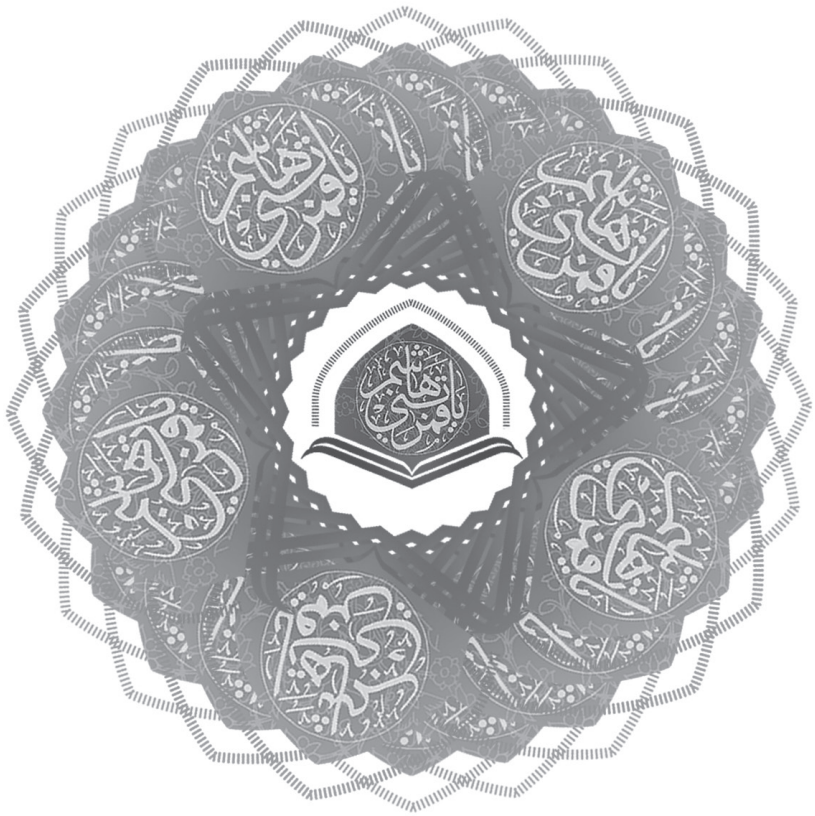

العبقرية الموهوبة

محمد النجفي

قد يحدث لإنسان مّا، أن يتميّز بعبقريّة، أو ذكاء، أو فراسة ينظر من خلالها إلى أكثر من بعد من أبعاد الحياة، ولكن هذه العبقريّة، إنَّما هي عبقريّة أو ذكاء مكتسب من ناحية.

ومن ناحية أخرى، إنَّما تحدث هذه العبقريّة لهذا الإنسان أو ذاك، في ظروف معيّنة، وفي أحوال نفسيّة وفكريّة خاصّة.

لذا قد يفتقدها الإنسان في حال من الأحوال عندما تختل لديه الموازين النفسية والفكريّة تحت الضغوط الاستثنائية، وقد تتناقض في نفسه المواقف في ظرف معين فيقع في صراع مع الذات.

لكنّ الإمام عليًّا عليه السلام، في نطاق هذه العبقريّة، بل في كلّ خصاله وخلاله، يعتبر طرازًا خاصًّا، لم يقع تحت تأثير أيّ ظرف من الظروف والأحوال التي كانت تتظافر ضدّه.

بل بقي محتفظًا بهذه الخوارق والإمكانات والمواقف التي تتسم بعنصر إعجازي، وتستند في طرازها إلى عمق ودقة البناء الرّباني لهذه الشخصيّة، فإليك نزرًا قليلًا من أمثلة زخر بها التاريخ:

أ- نزل الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بذي قار لأخذ البيعة، فأخبر أصحابه قائلاً: (يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون ولا ينقصون رجلًا، يبايعوني على الموت).

قال ابن عباس: فجزعت لذلك، وخفت أن ينقص القوم من العدد، أو يزيدوا عليه فيفسدوا الأمر علينا، وإنِّي أحصي القوم فاستوفيت عددهم تسعمائة رجل وتسعة وتسعين رجلاً، ثم انقطع مجيء القوم فقلت: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ماذا حمله على ما قال؟

فبينما أنا مُفكِّر في ذلك، إذا رأيت شخصًا قد أقبل حتى دنا، وهو رجل عليه قباء صوف ومعه سيف وترس وإداوة، فاقترب من أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أمدد يديك لأبايعك، قال علي عليه السلام: وعلى ما تبايعني؟

قال: على السمع والطاعة، والقتال بين يديك، أو يفتح الله عليك.

فقال: ما اسمك؟ قال: أويس القرني، قال: (نعم، الله أكبر فإنَّه أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أنِّي أدرك رجلاً من أمته يقال له أويس القرني، يكون من حزب الله، يموت على الشهادة، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر)[١].

ب- كان الإمام عليّ عليه السلام يخطب على المنبر في المدائن، وقد مضى عمرو بن حريث، وهو رأس من رؤوس المنافقين، إلى الخورنق للتنزّه، ومعه سبعة من المنافقين، فاصطادوا ضبًّا خلال سياحتهم، فأخذ عمرو بيد الضب، وقال: بايعوا هذا أمير المؤمنين ولا نبايع عليًّا على جمعة ولا جماعة، فلمّا رجعوا وجلسوا عند الإمام عليّ عليه السلام.

فلما نظر إليهم أمير المؤمنين عليه السلام عرّج قائلًا: (يا أيّها الناس، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أسر إليَّ ألف حديث في كل حديث ألف باب، ولكل باب ألف باب، وإنِّي سمعته يقول: إنَّ الله -تعالى- يقول: (يوم ندعو كل أناس بإمامهم)[٢]، وإنِّي أقسم لكم بالله، ليبعثن يوم القيامة ثمانية نفر وإمامهم الضّب، ولو شئت أن أُسمّيهم لفعلت.

فقام الثَّمانية من مجلس الإمام عليه السلام وقد عرتهم الدَّهشة وارتعدت فرائصهم، وقال (الأصبغ بن نباتة): فلولا رأيت عمرو بن حريث ينتفض كما تنتفض السعفة حياء لوما)[٣].

ج - كان قد أخبر عليه السلام بملك الحجّاج، وما يلقى أهل الكوفة منه من الظلم والجور والفضائع، ولا أعتقد أنَّ هناك خلافًا بين الكتاب المسلمين في جور الحجّاج، وما بلغه من تعسّف وظلم، وما ذاقت الكوفة منه من ويلات ومرارات.

فقد قال عنه الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام : (أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال - إشارة إلى

(١) بحار الأنوار/ ٤١ / ٣٠٠ .

(٢) الإسراء : ٧١.

(٣) بصائر الدرجات / ج٢ / ص : ٨٤ - ٨٥ .

طول قامته وخيلائه وتبختره في مشيه – إيه أبا وذحة –)[١].

كان ذلك إشارة إلى الخنفساء وما لقيه من حتفه بسببها، حيث كانت تدب على الأرض، فوصلت إلى مصلّاه، فأبعدها فعادت، ثم أبعدها فعادت، فأمسكها بيده فلسعته فتورّمت يده، وأخذته الحمّى حتى مات بأوهن مخلوق من مخلوقات الله تعالى[٢].

د- كان قد أخبر عليه السلام بملك معاوية، ونوّه عمّا تلقى الأمة من ظلمه وجوره، أمام من حضر مجلسه وسمع منه خطابه فقال:

(سيظهر عليكم من بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن – إشارة إلى ضخامة بطنه – يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه – ولن تقتلوه – ألا والله سيأمركم بسبِّي والبراءة منِّي، فأمَّا السب فسبّوني، وأمَّا البراءة فلا تتبرّؤوا منِّي فإنِّي وُلِدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة)[٣].

هـ – كما أخبر عليه السلام، بكيفية موت معاوية، وأنَّه لا يموت إلَّا والصليب في عنقه، فقال: (لا يموت ابن هند حتى يعلق الصليب في عنقه)[٤].

وقد روى المؤرخون: أنَّه لما اشتدَّت العلّة بمعاوية، وكان يتردّد عليه طبيب نصراني، فشكا إليه شدَّة الألم وطلب وسيلة للتخلّص منها، فقال: عندنا صليب ما علّقه مريض إلَّا خفَّف عنه، فجيء لمعاوية بالصليب فعلّقه في عنقه، حتى توفّي والصليب في عنقه[٥].

و- كان الإمام عليّ عليه السلام على منبر الكوفة، وهو يتنبّأ بأحداث قبل وقوعها، فيصوغ حولها بيانات ويعطي عنها لوائح صادقة.

فكان يقول : (يخرج من ديلمان بنو الصّياد، ثم يستشري أمرهم، حتى يملكوا الزّوراء، ويخلعوا الخلفاء)،

---

(١) نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبدة مفتي الديار المصرية سابقا - ص : ١٣٦ / ١١٤.

(٢) بحار الأنوار : ٣٤ / ٩٤.

(٣) شرح النهج : ١ / ١٠٥.

(٤) مناقب آل أبي طالب للحافظ ابن شهر آشوب- ج٢ / ص : ٤٨٥ .

(٥) راجع الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي / ج ٣ / ص : ٥٠ .

فقام إليه رجل وقال له: سيّدي وكم مدّتهم؟ فقال عليه السلام: (مئة أو تطول قليلا)[١].

فلم يعرف المؤرّخون سرّ هذا القول، حتى مرّت العصور وتعاقبت الأزمنة، وإذا بالدّيالمة (عضد الدّولة وأخوته)، يملكون بغداد ويخلعون الخلفاء، فكانت مدّتهم مئة وزادت قليلا.

ز- جيء بمروان بن الحكم أسيرًا يوم الجمل، فاستشفع بالحسنين عليهما السلام إلى الإمام عليّ عليه السلام ليخلي سبيله، فقالا: يا أمير المؤمنين ادعه للبيعة لك، فقال عليه السلام: (أو لم يبايعني قبل قتل عثمان؟ لا حاجة لي ببيعته إنَّها كف يهوديّة، لو بايعني بكفه لنقض بسبته، أما أنَّ له خلافة كلعقة الكلب أنفه وهو أبو الأكباش الأربعة، وستلقى الأمّة منه ومن ولده يومًا أحمر)[٢].

فكانت خلافة مروان بن الحكم – كما قال الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام – ستة أشهر، فقتل بعدها، فخلف أولاده الأربعة الذين حكموا بعده.

عبقريته نتاج العصمة

ولاشكّ في أنَّ هذه العبقريّة الخارقة، تندرج في نطاق العصمة الممنوحة من الله عزّ وجل للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد استعظم العصمة واستغربها منكروها، وقالوا: أنَّها ضرب من الغلو والتأليه والعبادة للمخلوقين، وعلى هؤلاء أن يلتفتوا:

١- إنَّنا عندما نقول بعصمة الأئمة عليهم السلام، لم نكن ندعوا إلى عبادتهم من دون الله عزّ وجل، بل جاء عنهم عليهم السلام أنَّهم أنكروا وحكموا بالكفر على كلِّ من يدَّعي أنَّهم أرباب من دون الله تعالى.

فقد جاء في النص عنه عليه السلام: (لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا ما شئتم)[٣].

وكما قال الإمام الصادق عليه السلام:

(فو الله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا... ما لنا على الله من حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنا لميّتون، ومقبورون، ومنشرون، ومبعوثون، وموقوفون، ومسؤولون- ويلهم ما لهم لعنهم الله ؟؟)[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد : مجلد ٤ - ج ٧/ ص : ٣٧ .

(٢) نهج البلاغة : شرح الشيخ محمد عبدة مفتي الديار المصرية سابقا – ص : ٧٦ / ٧١.

(٣) الاحتجاج/ ج ٢ / ص : ٤٥٣ - ٤٥٤ .

(٤) بحار الأنوار /ج ٢٥ / ص : ٢٨٩ / باب ١٠.

فما يستوحى من كلمة الإمام الصادق عليه السلام: (ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا...) هو:

إنَّ العصمة لا تتنافى مع كونهم مخلوقين لله تعالى، ففي الوقت الذي هم مخلوقون لله تعالى ومأمورون بالعبادة، فهم مصطفون من قبل الله تعالى لهداية الناس وإرشادهم إلى الله عزّ وجل، ممّا يلزم أن يكونوا أكمل الناس من كلِّ الوجوه، وأنَّهم الصفوة المسدَّدة في حركتها الرسالية.

٢- إنَّ الذين يستغربون العصمة ويكابرون في إنكارها - بالرغم من هذا الوضوح لحدودها ومفهومها - لا يريدون بهذه المكابرة سوى تبرير الانحراف الذي عليه بعض قادة التاريخ، الذين نصبوا أنفسهم أئمة على المسلمين بغير حق، وأخذوا بأعناقهم للطاعة لهم في كلِّ ما يقولون وما يفعلون.

٣- إنَّ على الناس أن يفهموا معنى العصمة ومدلولها التربوي السامي في حياة الأمة، وفي حفظ الرسالة، إذ ليست العصمة خاصّة بترك المعاصي وقبائح الذنوب فحسب، بل إنَّها شاملة لكلِّ أبعاد القوة في شخصيّة المعصوم عليه السلام.

وهي تشكِّل الأساس في خلق الصّفاء الرّوحي والفكري للإمام المعصوم عليه السلام، وتعتبر المنطلق لهذا الشمول لكلّ مظاهر الانسجام في الأبعاد النفسيّة والفكريّة والرّوحيّة والسلوكيّة للإمام عليه السلام، وتستند العصمة بالأساس إلى عاملين رئيسيين:

الأول: الحب لله عزّ وجل، وهو ما يخلق الحرص في نفس المعصوم عليه السلام، على أن يتحرّى رضا الله عزّ وجل في كلّ حركة من حركاته وسكناته، بل في كلِّ نفس من أنفاسه، وأن يحتفظ بعلاقته الصّادقة بالمحبوب عزّ وجل.

الثاني: العلم والمعرفة بالله عزّ وجل، معرفة يقينيّة دونما شك أو تردّد، والعلم يوقد البصيرة وينير النفس، ويولّد لدى المعصوم عليه السلام إحساسًا متوهّجًا بخطر الذنب صغيرًا أو كبيرًا.

وعلى هذا الأساس، يتنزه المعصوم عليه السلام في فكره وروحه وسلوكه وقوله، وفي مأكله ومشربه وملبسه، عن كلّ ما هو دنيء في هذه الحياة، فتصفو نفسه، وتطهر ذاته، وتشرق روحه، وتنسجم قواه النفسيّة والفكريّة، ويتوقد ذكاؤه وفطنته ورؤيته، فلا تبقى لديه الأمور على ظاهرها، بل يخترق علمه ظواهر الأشياء لينفذ الى باطنها وأسرارها.

ولا غرابة عندنا في ذلك لمن اصطفاه الله عزّ وجل وانتجبه هاديًا للأمّة، أن يكون بهذا المستوى من العبقريّة الخارقة، حيث أنّ العصمة للإمام عليه السلام تعتبر لازمة حتميّة من لوازم عقيدة الإماميّة، كالعقيدة في لزوم النص على

إمامته.

فقد جاء عن الإمام موسى بن جعفر ﷺ، عن أبيه، عن جده، عن علي بن الحسين ﷺ، قال : (الإمام منا لا يكون إلا معصومًا، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، فلذلك لا يكون إلَّا منصوصًا) فقيل له: يا ابن رسول الله، فما معنى المعصوم؟ فقال:

(هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله القرآن، لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عز وجل (إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم[١])[٢] .

نعم إنّ من عقيدة الإماميّة، بحكم المنطق العملي والمصلحة الإنسانيّة العامة، اشتراط العصمة في رسالة الرّسول وإمامة الإمام على حدّ سواء، وفي كلّ أدوار الحياة، ومن جميع أصناف المعاصي والذنوب، وأنواع النقائص والمخالفات؛ لأنَّ العصمة لا تعني إلَّا الكمال وتعادل القوى النفسانيّة، وتوفر الحصانة الذاتيّة التي يرتفع بها صاحب الموقع الأعلى عن الاتضاع في طبيعته الإنسانية، ويمتنع بها عن الانزلاق والشذوذ في إرادته، ويتنزه عن كافة الانحرافات التي قد تترسّب في منطقة اللاشعور، فتتحوّل – كما يقرّر علماء النفس– إلى عقد نفسيّة تتحكم في دوافع الإنسان وفي سلوكه واتجاهاته وملكاته، وتسوقه – من حيث لا يريد – إلى الشرود عن الحق، والنشوز عن العدل.

وعلى هذا، فإنّ اشتراط العصمة في الإمام لدى الإمامية، يصبح بمنتهى الحكمة والموضوعيّة الشرعيّة لمن يريد أن ينصف هذه الحقيقة.

ولو وضعنا الجانب النظري لتصوّراتنا عن العصمة إلى ناحية، وتركنا عملية الاستدلال والأخذ والرّد، وحصرنا الحديث فيما نحن بصدده من عبقريّة الإمام عليّ ﷺ، فإنّنا نجد جزئيات التطبيق في حياته وسلوكه ﷺ، ونزاهة الطبع، وحصافة الرّأي، وسداد الكلمة، وإشراقة كل ذرة من ذرات وجوده، كلها تشير إلى عصمته.

---

(١) الإسراء : ٩

(٢) بحار الأنوار/ ج ٢٥ / ص : ١٩٤ باب ٦.

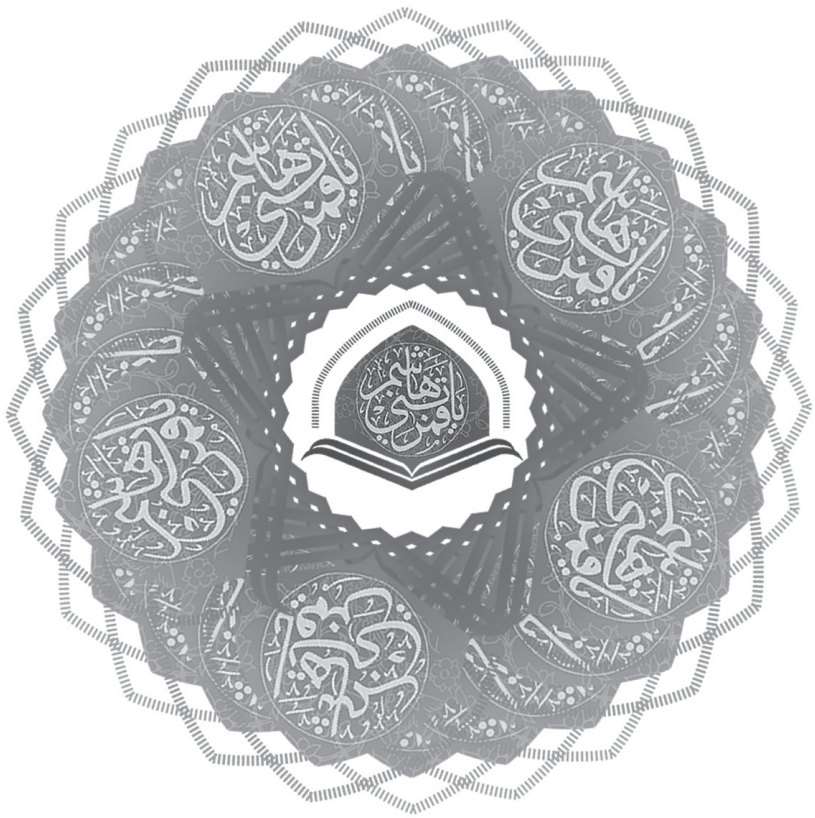

تساؤلات حول ليلة القدر

علي عبد الرزاق

قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ(١) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ(٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيرٌ مِّنْ أَلْفِ شهْر(٣) تَنزَّلُ الْمَلائكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبهِم مِّن كلِّ أَمْر(٤) سلامٌ هِيَ حَتى مَطلَعِ الْفَجْرِ(٥)﴾ سورة القدر.

لقد طرحت تساؤلات عدة لدى المفسرين عند مرورهم بسورة القدر، تمت الإجابة عنها من عدة زوايا حسب ما يتبنّاه كلّ منهم من رأي، لابأس بطرحها -بصورة موجزة- مع بيان ما لهذه الليلة من علو القدر والمنزلة:

س١-: من خلال الإشارة إلى نزول القرآن الكريم في هذه الليلة المباركة، جاء التعبير بـ - إنا- وهو من صيغ الجمع، فهل المراد به الجمع حقيقة أو أن هناك شيئًا آخر؟.

الجواب: قطعًا أنَّ المراد به التعظيم لشأن الخالق المدبّر عزّوجل، فلو كان المراد به الجمع الحقيقي للزم تعدّد الآلهة، وإذا كان في الآلهة كثرة وتعدّد.

فإمّا أن يكون كل إله منهم قادرًا مطلقًا، وبذلك يتم الاستغناء به عن الآخر، فيكون كل إله منهم مستغنى عنه، ولا شك في: أن المستغنى عنه بغيره ناقص، فيكون الكل ناقصًا.

وإمّا أن يكون كل إله منهم غير قادرًا قدرة مطلقة، فيكون الكلّ ناقصًا - أيضًا - فلا بُدَّ من المصير إلى الإله الواحد الكامل المطلق، وحمل هذا الضمير على التعظيم في كلِّ مواقع الاستحقاق للتعظيم له جل في علاه.

س٢- : إذا كان ضمير الهاء في - أنزلناه - يعود إلى القرآن الكريم، فلماذا لم يذكره الله تعالى باسمه تصريحًا؟.

الجواب: بما أنَّ الضمير يعود على القرآن الكريم المنزل في هذه الليلة المباركة، فللدلالة على عظمته لم يذكره الله عزّ وجل تصريحًا، وذلك :

أ- لكون القرآن الكريم كتاب الله العزيز، والمسند في إنزاله إليه عزّ وجل.

ب- لكون القرآن الكريم مشهورًا ينتبه إليه كل ذي لبّ، فيستغنى بذلك عن التصريح به.

ج- ومن خلال تعظيم القرآن الكريم كان ذلك تعظيمًا للوقت الذي أنزل فيه.

س٣- : ما معنى -القدر - ولماذا سمّيت الليلة بليلة القدر؟.

الجواب: القدر مصدر قدر، يقدر قدرًا، أي: ما يمضيه الله عزّ وجل من الأمور في الكون والحياة (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)[١]، والقدر بالتحريك والقدْر بالتسكين واحد، سوى فرق واحد هو: أنَّه بالتسكين مصدر وبالتحريك اِسم، أما تسمية الليلة بليلة القدر فهو لوجوه عدّة:

الأوَّل: لأنَّها الليلة التي تقدّر فيها الأمور والأحكام، أي : يقدر الله تعالى فيها ما يكون في كل تلك السنة من أرزاق وآجال وحوادث كونية أخرى، ابتداءً منها إلى مثلها من السنة الآتية كما قال تعالى: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)[٢].

الثاني: سُمّيت ليلة القدر لما لها من العظمة والقدر عند الله عزّ وجل، كما يقال: للعالم عند الناس قدر ومنزلة، وقدر هذه الليلة - كما قيل - يعود إلى أنَّها: نزل فيها كتاب ذو قدر، بلسان ملك ذي قدر، على نبيّ ذي قدر.

فجمعت بين قدر الرسالة، وقدر الوحي الذي أنزل هذه الرسالة، وقدر النبيّ الذي تلقى هذه الرسالة، لذا فقد انعكس هذا القدر على واقع الأمّة التي عملت بسنن هذه الرسالة من جهتين:

أ - من جهة الفاعل، بمعنى أنَّ الإنسان المؤمن بعمله وطاعاته لله عزوجل يكون ذا قدر وشرف ويحظى بالمنزلة لدى الله تعالى لشرف وقدر هذه الليلة.

ب - من جهة الفعل، بمعنى أنَّ أي عمل من الأعمال والطاعات يتضاعف فضله ويكون ذا قدر، ويحظى بالقبول

(١) القمر : ٤٩

(٢) الدخان : ٤

والرضا من لدن الله عزّ وجل - كذلك - لأجل قدر وشرف هذه الليلة.

الثالث: سُمّيت بليلة القدر أي ليلة ضيق الأرض بالملائكة، إذ من معاني القدر، هو: الضيق لقوله تعالى: **(إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ)**[١] أي: يوسع الرزق لمن يشاء ويضيقه على من يشاء.

ونسب هذا القول إلى الخليل بن أحمد، قال القرطبي: وقال الخليل: لأنَّ الأرض تضيق فيها بالملائكة كقوله تعالى: (ومن قدر عليه رزقه)[٢] أي: ضيق)[٣].

س٤ - : لماذا أخفى الله تعالى هذه الليلة في الشهر المبارك، أو على الأقل في العشر الأواخر منه، وفي خصوص ليالي الأفراد منها؟.

الجواب: إنَّ إخفاء ليلة القدر في ليالي الشهر المبارك يرجع إلى منطلقين:

أ- منطلق حرص الله عزوجل على إثارة اهتمام العبد ليقدم بما ينفعه من الطاعات في جميع الأوقات، كما أخفى الله تعالى أشياء في أشياء، فأخفى رضاه في طاعته، وسخطه في معصيته، ووليه في عباده، وإجابته في دعائه، والصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، واسمه الأعظم في أسمائه، كذلك أخفى ليلة القدر في ليالي شهره المبارك.

ب - منطلق رحمة الله عزوجل بعباده وذلك لعلمه تعالى بتجريء العبد أحيانًا على معاصيه في أيام عمره، لأنَّ النفس أمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي، فإذا كانت ليلة القدر معلومة للعبد فدعته نفسه لعمل المعصية فيها، كان الذنب أعظم فيها من سائر الليالي والأيام، لأنَّ المعصية مع العلم أعظم من المعصية مع الجهل.

قال الفخر الرازي في تفسيره: كأنَّه تعالى يقول: لو عيّنت ليلة القدر، وأنا عالم بتجاسركم على المعصية، فربما دعتك الشهوة في تلك الليلة إلى المعصية، فوقعت في الذنب، فكانت معصيتك مع علمك أشد من معصيتك لا مع علمك، فلهذا السبب أخفيتها عليك.

روي أنَّه - أي: النبي صلى الله عليه وآله - دخل المسجد فرأى نائماً، فقال: ياعلي نبّهه ليتوضأ، فأيقظه علي، ثم قال علي: يا رسول الله إنك سباق إلى الخيرات، فلم لم تنبّهه؟ قال: لأنَّ رده عليك ليس بكفر، ففعلت ذلك لتخف جنايته لو

---

(١) الإسراء : ٣٠

(٢) الطلاق : ٧

(٣) تفسير القرطبي : ٢٠ / ١٢٠

أبى ، فإذا كان هذا رحمة الرسول، فقس عليه رحمة الرب تعالى)[١].

س٥-: لماذا جعل الله تعالى ليلة القدر خيرًا من ألف شهر؟.

الجواب : تفضيل ليلة القدر وكونها خيرًا من ألف شهر فيه عدة احتمالات:

أ - أنَّ العبادة فيها خير من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

ب - روى القاسم بن فضل عن عيسى بن مازن، قال : قلت للحسن بن علي عليه السلام يا مسوّد وجوه المؤمنين عمدت إلى هذا الرجل فبايعت له - يعني معاوية - فقال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله رأى في منامه بني أمية يطؤن منبره واحداً بعد واحد.

وفي رواية: ينزون على منبره نزو القردة، فشق ذلك عليه، فأنزل الله تعالى : (إِنَّا أنزلناه فِى لَيْلَةِ القدر) إلى قوله: (خَيْرٌ مّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) يعني ملك بني أمية قال القاسم: فحسبنا ملك بني أمية، فإذا هو ألف شهر.

قال الرازي: طعن القاضي في هذا الوجه فقال: ما ذكر من ألف شهر في أيام بني أمية بعيد، لأنَّه تعالى لا يذكر فضلها بذكر ألف شهر مذمومة، وأيام بني أمية كانت مذمومة.

واعلم أنَّ هذا الطعن ضعيف، وذلك: لأنَّ أيام بني أمية كانت أيّاماً عظيمة بحسب السعادات الدنيوية، فلا يمتنع أن يقول الله تعالى إنِّي: أعطيتك ليلة هي في السعادات الدينية أفضل من تلك السعادات الدنيوية)[٢].

وفي سند الصحيفة السجادية عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إنَّ أبي حدثني عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذته نعسة وهو على منبره، فرأى في منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القردة يردون الناس على أعقابهم القهقرى..) إلى أن قال:

(فاطلع الله عزّ وجل نبيه صلى الله عليه وآله أنَّ بني أمية تملك سلطان هذه الأمة، وملكها طول هذه المدة، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا أخبر الله نبيه بما يلقى أهل بيت محمد وأهل مودتهم وشيعتهم منهم في أيامهم وملكهم)[٣].

---

(١) التفسير الكبير: ١٧ / ١٢٤ .

(٢) تفسير الرازي : ١٧ / ١٢٨.

(٣) تفسير نور الثقلين : ١٠ / ١٥٩

جـ – ما روي أنَّ النبي ﷺ عندما اطلع على أعمار الأمم السابقة، استقصر أعمار أمّته، وخشي أن لا يبلغوا من الأعمال والطاعات مثل ما بلغته سائر الأمم، فأعطاه الله عزوجل ليلة القدر وجعلها خيرًا من ألف شهر، ليزيد المؤمن من مدخرات الطاعة لله تعالى.

روى ذلك أنس بن مالك إذ قال : (أُري رسول الله ﷺ، أعمار الناس، فاستقصر أعمار أمته، وخاف أن لا يبلغوا من الأعمال مثل ما بلغه سائر الأمم، فأعطاه الله ليلة القدر وهي خير من ألف شهر لسائر الأمم)[١].

د – ما رواه عبد الله بن مسعود قال: إنَّ النبي ﷺ ذكر رجُلاً من بني إسرائيل حمل السلاح ألف شهرٍ، فعجب المسلمون من ذلك فنزلت هذه الآية، يعني خير من ألف شهر التي لبس السلاح فيها في سبيل الله)[٢].

س٦– : حيث عرفنا أنَّ من خصوصيات ليلة القدر أنَّها تنزل فيها الملائكة فما هو الغرض من تنزّل الملائكة وكيف تنزّل؟.

الجواب : ورد لدى المفسرين في هذه المسألة أمور عدّة نوضحها بالنحو التالي:

أ – بما أنَّ الملائكة قد اطلعوا على أرواح العباد حين الخلق الأول، وتساءلوا بالقول: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ)(٣)، فلما رأوا ما عليه الإنسان المؤمن من الطاعة لله تعالى مالوا إليه، فكان تنزلهم بمثابة الاعتذار عما قالوه في حق الإنسان.

ب – بما أنَّ الملائكة هم في الكثرة التي لا تحتملها الأرض، لهذا السبب ورد أنَّ التنزل: إما أن يعني نزولهم للسماء الدنيا فوجًا فوجًا أي: أنَّهم مابين نازل وصاعد، وهو مما يستفاد من كلمة تنزل الذي يفيد التعاقب.

وإما أن يكون نزولهم إلى الأرض مباشرة على سبيل التعاقب – أيضا – وهو الأوجه، لأنَّ من أغراض نزولهم هو أن يرغّبوا الناس في إحياء هذه الليلة ، والتزود من الطاعات.

جـ – يستوحى من قوله تعالى : (بإذن ربهم) أنَّهم قد استأذنوا ربّهم في النزول إلى الأرض، مما يدل على أنَّهم يحملون للإنسان المحبة والرغبة للقائه على صعيد الطاعة لله عزّ وجل، في الوقت الذي تدل بعض الآيات على أنهم في موضع آخر لا يتم نزولهم إلا بأمر الله تعالى، (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا

(١) التفسير الكبير : ١٧ / ١٢٨ .

(٢) تفسير اللباب : ١٦ / ٤٠٥ .

(٣) البقرة : ٣٠.

كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا)[١].

د- إنَّ شعور الإنسان بنزول الملائكة إلى الأرض واحتفائهم به يؤجج فيه الإحساس بلذّة العبادة والطاعة لله عزّ وجل، لأنَّ العبادة بحضور الأولياء والعلماء والمقرّبين يعطيها دفقات من الحرارة والحرص على الإتيان بها بصورة أتم، لذا أنزل الله الملائكة لتنبع العبادة من خلال هذا الإحساس، وبذلك يضاعف الله تعالى ثوابها في رصيد طاعات المؤمن.

س٧-: ما هو المقصود من الروح في قوله تعالى : (تنزل الملائكة والروح فيها)؟.

الجواب : هناك احتمالات عدة أوردها المفسرون، خلاصتها:

أ - الروح: اسم من أسماء الرحمة (ولا تيأسوا من روح الله).

ب - الروح: هم طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا في ليلة القدر.

ج - الروح: هو روح الله عيسى بن مريم عليه السلام ينزل برفقة الملائكة.

د - الروح: هو القرآن الكريم، فإنَّه روح من أمر الله تعالى لقوله: **(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)**[٢].

هـ - الروح: هو ملك عظيم لوالتقم السماوات والأرض كانت له لقمة واحدة.

و- الرّوح: هو أشرف الملائكة وهو يتناسب مع الأمين جبرئيل عليه السلام حيث خصه الله تعالى بالذكر لأنَّه فوق الملائكة، وهذا الاحتمال أقرب إلى الصّحة من غيره.

س٨ - : ما المقصود من السلام الوارد في قوله تعالى: (سلام هي حتى مطلع الفجر)؟.

الجواب : للمفسرين في معنى السلام لليلة القدر وجهات عدة:

أ - السلام وصف لليلة القدر، لتسليم الملائكة فيها على المؤمنين، فهو من باب وصف المحل بصفة الحال.

ب - السلام وصف لنفس الملائكة الذين كلهم سلام على المؤمنين المطيعين، كما سبق للملائكة أن سلموا على

---

(١) مريم : ٦٤

(٢)الشورى : ٥٢ .

الخليل فكانت نار النمرود عليه بردًا وسلامًا.

ج – السلام هو الأمان من الشرور والآفات في هذه الليلة فهي كلّها سلام، كما فلان كله كرم وكله رحمة إذا كان ديدنه الكرم والرحمة.

د – السلام هو كون الليلة سالمة من الأذى والعواصف والصواعق وما شاكل ذلك من الاختلالات الطبيعية.

هـ – السلام هو كون هذه الليلة آمنة من كيد الشيطان، وأنَّ الشيطان لا يستطيع أن يفعل فيها سوءًا (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)[1].

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الفائزين ببركات ليلة القدر، والمتمسكين بكتابه المنزل فيها، المعتصمين بحبله، والعاملين بشريعته وسنة نبيه المصطفى وآل بيته الطاهرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) النساء : ٧٦

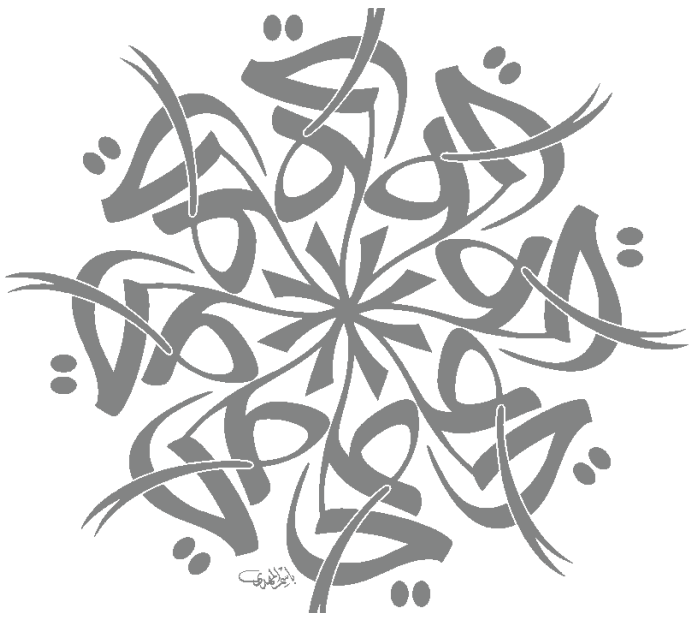

شهر شوال

- السعي لبناء البقيع
- من فكر الإمام الصادق عليه السلام
  التعامل مع الشبهات

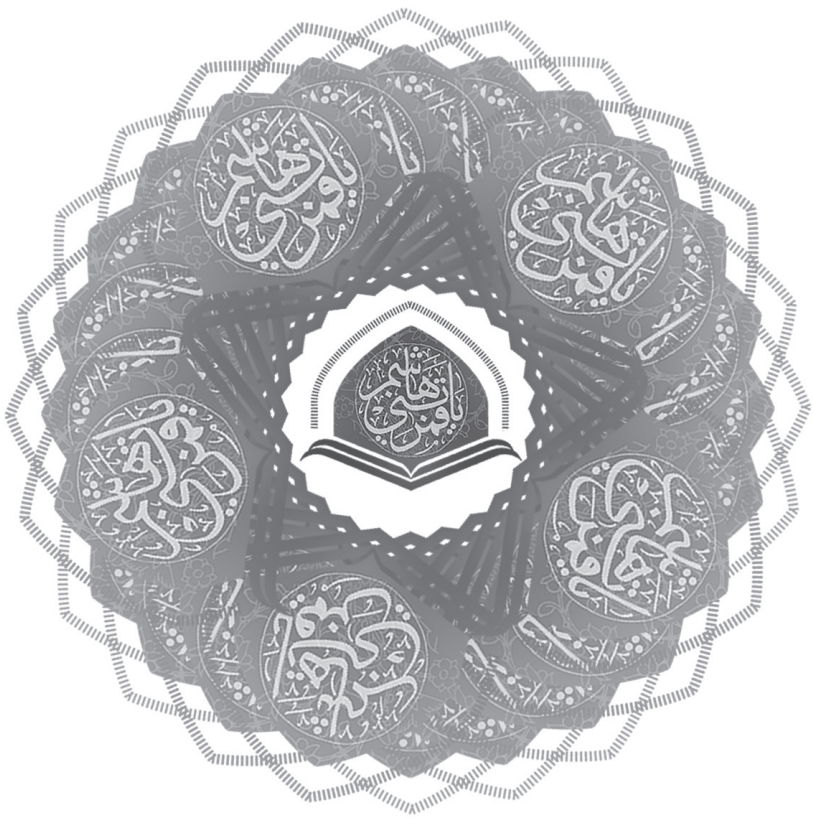

السعي لبناء البقيع

الشيخ أحمد كاظم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

قال الله -تبارك وتعالى- في محكم كتابه الكريم: (**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**)[1].

تشير هذه الآية المباركة لعدة نقاط مهمة:

النّقطة الأولى: الحسنة والسيئة تكوينيتان أو تشريعيتان، فهناك حسنة تكوينية وسيئة تكوينية .أما التشريعيتان ما يرتبطان بالأعمال التشريعية للإنسان.

الله -عز وجل- يأمر بكلِّ حسنة تشريعية، وهذا الأمر قد يكون أمرًا اقتضائيًّا أو أمرًا لا اقتضائيًّا، وبعبارة أخرى قد يكون الأمر واجبًا إذا كانت الحسنة ملزمة، وقد يكون مستحبًّا إن كانت الحسنة ليست في تلك الدرجة من الإلزام فيقال لها لا اقتضائية .

كذلك في السّيّئة التشريعية فقد تكون إلزامية نهى الله عنها نهي حرمة، وقد تكون سيّئة لا إلزامية نهي كراهة

---

(١) سورة النساء/ الآية: ٧٩.

عندما شيء يكون مكروهًا وهذا سيّء، ولكن ليس لحدّ الحرمة.

الله عز وجل يأمر بكلِّ خيرٍ تكويني: (**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**)[١] هذه حسنات تشريعية (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) هذه سيّئات تشريعيّة .

الحسنة من الله فكلّ خير وكل نجاح وكل سرور، وفرح من الله، وكلُّ شر ومصيبة ومشكلة فمن نفسك، فنظام التشاؤم غير موجود، قال الله -تعالى-: (**وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ**) [٢].

أنبياء من بني إسرائيل كانوا يأتون ينصحون الناس فلا ينتصحون ولا يسمعون كلامهم فيأتي عليهم العذاب وترى جناتهم تؤول الى خراب، وبيوتهم تخرب، قراهم ينزل عليها العذاب فكانوا يقولون: هذه من عندك وأنت شؤم، وبمجيئك نزل العذاب، وهؤلاء لم ينتصحوا بأمر أنبياء بني إسرائيل، وكان ينزل عليهم العذاب .

ومثال آخر حينما يكون عندك طفل تنصحه وتحثه على الدراسة وهو لا يدرس، وبعد ذلك يفشل في الامتحان يأتي ويقول أنت المقصّر، ستجيبه أنا نصحتك وأنت لم تنتصح، فالمصيبة والسيئة من فعلك.

النقطة الثانية: نظام التكامل في الكون يقتضي وجود الخير والشر؛ حتى يرتقي الإنسان بحسن اختياره سلّم السعادة، وبسوء اختياره ينزل الى حضيض النار والشقاء .

هذا نظام التكامل فالمشاكل موجودة، ولا نقدر أن نقول أنَّ النار تنفع الإنسان للطبخ، وتنفع الإنسان للتدفئة ولكن هذه النار نفسها قد تحرق البيت وقد تحرق الزرع، وقد توجب قتل الإنسان، وإذا قلنا بأنَّ النار عليها تكون دائمًا في المصلحة يعني أن تكون معصومة، وأن تكون لها العصمة، وهذا لا يجوز هنا في الدنيا، فهنا الدنيا وليست الجنة، نعم الجنة ليس فيها حزن، ولا هم، ولا غم: (**لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ**)[٣](**لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**)[٤].

---

(١) سورة النحل/ الآية: ٩٠.

(٢) سورة النساء/ الآية: ٧٨.

(٣) سورة الأنبياء/ الآية: ١٠٢.

(٤) سورة الأنبياء/ الآية: ١٠٣.

فالدنيا نظام التكامل مرتبط بعمل الإنسان، فهو الذي يختار الخير والشر، ويختار الحسنة، أو السيئة.

النقطة الثالثة: بالنسبة للاستفادة من هذه الآية المباركة أنَّ الله عزّ وجلّ هو الذي يبادر بإعطاء النعمة، يعني الله ينعم بعد ذلك ينتظر الجواب من العبد، يعني الله يتفضّل بالنعمة فينتظر الجواب من العبد، العبد إن شكر النعمة يزيدها، وإن كفر بالنعمة يأخذها ويسلبها منه: **(وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا)**[١] فيسبب البلاء الإلهي عليه، هنا آيات كثيرة ومتعدّدة تتكلّم بأنَّ الله يتفضّل على البشر، وهم بسوء اختيارهم يبتعدون عنه.

الشباب، والصّحّة، والعافية كلها نعم، قال الرسول الأعظم ﷺ: «**يا أبا ذر نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ. يا أبا ذر اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[٢]، فهذه نعم من الله-تعالى- أعطاها لعباده، ولكن كيف استفدنا منها من هذه النعم في طريق الخير أو طريق الشر.

إذا رأى الله تعالى- الإنسان يستفيد من النعمة في طريق الشر، ويهمل النعمة فيعني ذلك سلبها كما سلب النعمة من المسلمين الأوائل بأخذ رسول الله ﷺ، وسلب نعمة الحقيقة أن ينعموا بالأمان، وأن ينعموا بالعيش بالرأي بعد رسول الله ﷺ عندما أعرضوا رفضوا والتجأوا إلى غيره لذلك السيدة فاطمة الزهراء-عليها أفضل الصلاة وأزكى السلام- تقول: "**وأبشروا بسيفٍ صارم، وهرجٍ دائمٍ شامل، واستبدادٍ من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لهم وقد عميت عليهم الأنباء أَنلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَاكَارِهُونَ**" [٣] عندما ابتعدتم عن هذه النعمة الإلهية فستكون هذه النتيجة، ويمكن في بعض الأحيان نرى الإنسان يضحّي بما عنده في سبيل الدين في سبيل القيم، ولكن إن لم يضحّي بما عنده النتيجة تكون أسوأ.

أصحاب الحسين -سلام الله عليه- ضحوا بأنفسهم في سبيل أبي عبد الله الحسين، وفي سبيل الله ففازوا بخير الدنيا والآخرة .

هناك مشكلة عندما يخسر الشخص أمواله، أو قد يخسر صحَّته في سبيل التمسك بمذهبه، وفي سبيل أن

---

(١) سورة الإسراء/ الآية: ٨٣.

(٢) بحار الأنوار / ج ٧٤ / ص ٧٥.

(٣) المصدر نفسه / ج ٤٣ / ص ١٥٩.

يساعد الآخرين المظلومين، ومن الممكن أن يخسر نفسه، وأولاده وأقرباءه عندما يذهب للجهاد في سبيل الله، ولكن هذا أصعب أم " أبشروا بسيف صارم"؟

مئات السنين من الظلم والقهر في الدولة العلوية والدولة العباسية عندما ابتعدوا عن أهل البيت غرقوا في بحر الظلمات، فقد نقل الاتاريخ أنَّ والي معاوية كان يأتي لبيت المالو يأخذ الخراج لمعاوية ولا يبقي شيئًا للناس، هذا معاوية الذي اختاره الناس بسوء فعلهم، وتركوا أمير المؤمنين الذي كان لا يأخذ شيئًا من بيت المال ويوزّع جميع ما في بيت المال، وكانت حصّته كحصّتهم بل قد ينفق حصته .

الله يسلب النعمة إذا لم تشكر فقد أعطاهم نعمة أحد عشر إمامًا ومع الرسول الأعظم ومع فاطمة الزهراء -عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام-، ولكنهم لم يهتمّوا فسلبت النعمة، والآن لا يوجد إمام حاضر بالمعنى الذي يمكن أن نتّصل به مباشرة.

النقطة الرابعة: في هذه الآية المباركة إنَّ الله عز وجل بعد نظام التكامل في الكون، ونظام الأسباب والمسبّبات يقول بأنَّ الحسنة من الله، يعني الإنسان هو بفعله وبصنعه غير متفضّل ولو عبد الإنسان ألف سنة فلن يؤدِّي حقَّ نعمة من نعم الله، فلا يأتي شخص ويقول ما قاله قارون : (**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ**)[1].

كل الخيرات من الله، وعلى الإنسان أن يعرف أنَّه عبدٌ لله، وفَّر له هذا الخير العظيم والجسيم، ولا يوجد شيء من الإنسان نفسه، لذلك علينا أن نعرف أنَّ أي خير بدون الله تعالى لا قيمة له، ولا يتصوّر الشخص إذا الله أعطى لشخص العلم أنَّه بجهده، نعم على الشخص أن يأخذ بالأسباب لأجل الحصول على العلم والمعرفة والحصول على الدرجات، فيذهب الى الجامعة أو يذهب الى الحوزة ويدرس، ولكن عليه أن يتيقّن ويعرف أنَّ اللطف من الله -عز وجل -فإذا الله تفضّل على الإنسان بالعلم وعليه أن ينشر العلم، وإذا تفضَّل على الإنسان بالمال عليه أن ينشر هذا المال، فهذه الأموال وديعة عندنا كما أنَّ أرواحنا وديعة جعلها في أبداننا، وبعد فترة يسلبها من أبداننا .

نأتي بعد الاستفادة من الآية المباركة الى قضية البقيع، في هذه الأيام نعيش ذكرى هدم قبور الأئمة في البقيع الغرقد -عليهم أفضل الصلاة والسلام-.

هذه مصيبة، وهذه سيئة ولكن من الذي صنعها؟

---

(١) سورة القصص/ الآية: ٧٨..

لا نلقي اللوم على الآخرين، الله-سبحانه- في هذه الآية يقول استخلاف الأرض هذه الآية مصداقها الأتم هو الإمام الحجة -عجل الله تعالى فرجه الشريف- ولكن قبل الإمام الحجة أيضًا يمكن استخلاف المسلمين في الأرض كما استخلفهم قبل رسول الله ﷺ قبل نزول هذه الآية: (**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**)[1]الذين كانوا سابقًا جعلهم الله خليفة وخلفاء في الأرض.

كيف يمكن الاستخلاف في الأرض ؟

الاستخلاف في الأرض يعني أخذ زمام الأرض من الناحية الثقافية، ومن الناحية الاقتصادية، ومن الناحية العسكرية، ومن الناحية العقائدية .

هل المسلمون هكذا؟

الله استخلفهم في الأرض؟

الآن لا،لم يستخلفهم في الأرض لماذا؟

فمن نفسك نرجع الى الآية نفسها هم الذين لم يريدوا الاستخلاف.

قد نواجه شخصاً يقول أنا أريد أن أنجح وأكون معلّماً، او أستاذاً جامعيًا او أصبح تاجرًا كبيرًا، وبعد ذلك لا يهتم بالمقدمات والنتائج فهذا كاذب في هذا القول؛ لأنَّ الصادق من يتّخذ المقدّمات.

إنَّ قضية البقيع وهذه المصيبة وهذه السيئة التي حلَّت بنا نحن المسلمين ترتبط بنا، لم نفكِّر بأمر البقيع حقيقة لم نهتم .

الإنسان باليوم ثمان ساعات يعمل أو يدرس هل يُفكِّر بالأسبوع ساعة بالبقيع؟

مالذي يقدِّمه للأئمة في البقيع ؟

إذا واحد هدم بيته والبلدية تمنع بناء بيته، هل يترك القضية، أو يذهب ويحاول ويرى وسائط، ويتكلّم،

---

(١) سورة النور/ الآية: ٥٥.

وكل يوم يذهب الى باب البلدية، ويشكل عليهم بأنَّ البيوت الأخرى مبنيّة، فلماذا بيتي لا تعطوه إجازة بناء؟

ومثال آخر، لو أنَّ قبر أحد أقربائه مهدّم في مقبرة عامرة يذهب ويهتمّ لأجل بناء ذلك القبر. ولكن الأئمة الأطهار -عليهم أفضل الصلاة والسلام- في البقيع والأولياء والصالحين المدفونين في البقيع هكذا نتركهم على مر هذه السنين.

فيجب أن نُفكِّر ما الذي نقدمه لأهل البيت عليهم السلام؟

ممكن أن تُؤسس منظمة عالمية للدفاع عن البقيع، والمراقد المقدسة، وتحيي أمر البقيع دائمًا في مناسباتنا في الانترنت، واستخدام وسائل الضغط، يقال: أوَّل العمل آخر الفكر، فلو أنَّ مجموعة يجلسون ويفكّرون فسوف يصلون الى نتيجة فيبداؤن الخطوة الأولى من العمل، فهذه القضية غير ملقاة على عاتق السياسيين أوملقاة على عاتق العلماء فحسب، بل ينبغي أن نعيشها بأنَّها قضيّتنا المقدسة جميعاً.

هذه قضية مدانة دوليًا، وقد أرادو تخريب قبر رسول الله صلى الله عليه وآله لولا التهديد الحاصل من بعض الدول الإسلامية بشنّ حرب عليهم .

فلو أنَّ خمسين ألف شيعي كل يوم يكتبون رسالة بالانترنت للمنظمات العالمية للشخصيات والساسة السعوديين والدول الأخرى فهذا طبعًا يؤثِّر .

نحن مقصّرون، ويمكن للإنسان أن يقدِّم شيئًا لأهل البيت عليهم السلام-، ويمكن أن يهمل فهذا الإهمال يسبِّب نتائج وخيمة.

نسأل من الله عز وجل أن يوفّقنا لما فيه مرضاة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام .

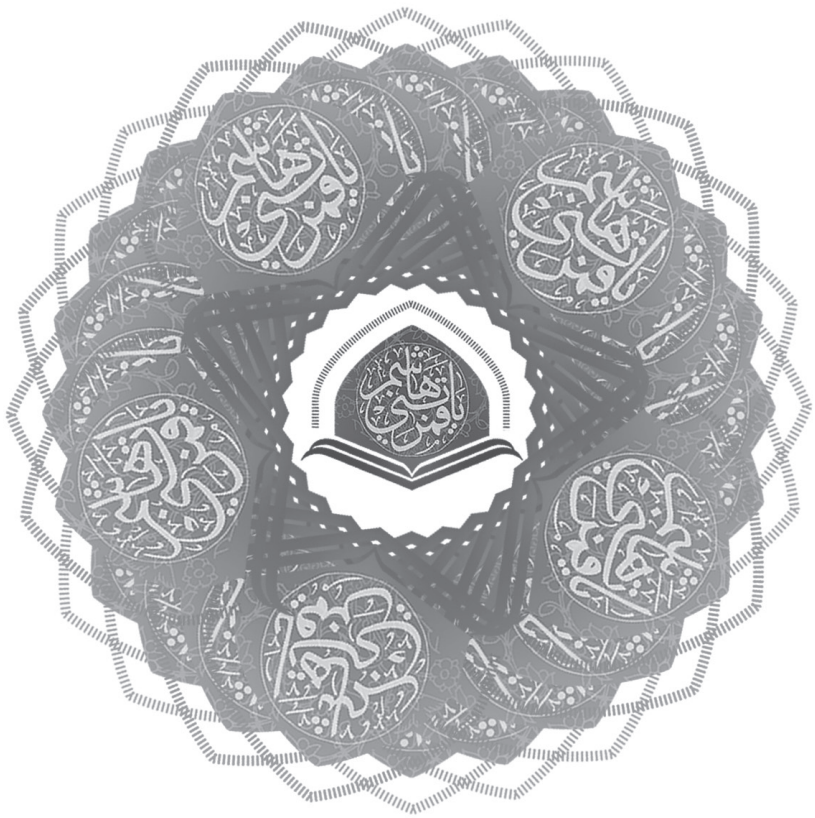

من فكر الإمام الصادق عليه السلام
التعامل مع الشبهات

حيدر فائق الهنداوي

عن الإمام الصادق عليه السلام: الأمور ثلاثة: «أمر بَان لك رشده فاتّبعه، وأمر بَان لك غيّه فاجتنبه، وأمر أشكل عليك فرددته إلى عالمه»[١].

حرصت الشريعة على تحصين المؤمن من الوقوع في المحرّمات فرسمت حدوداً لها، و دعت الإنسان أن لا يتجاوزها، وتتمثّل هذه الحدود بدائرة الشبهات التي قد يتعرّض لها الإنسان، فلا يدري أنَّ هذا الفعل حلال أو حرام. ويشتبه في حرمة الدخول إلى ذلك المكان، ويشكّ في جواز الكلام عن فلان، ولا يعرف تكليفه تجاه بعض الأطعمة أو الأشربة، فيتجرّأ البعض ويقتحم الشبهة، ويفعل ما يشكّ فيه، وهذا قد يؤدّي إلى ضعف في حصانته المعنويّة والروحيّة واحتمال الوقوع في الحرام، وعلى حدِّ تعبير النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فمن رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه».[٢]

---

(١) تحف العقول/ ٢١٠.

(٢) ميزان الحكمة/ ٢/ ١٤٠٥.

ضرورة الوقوف عند الشبهة

عن الإمام الباقر عليه السلام: «الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة، وتركك حديثاً لم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحصه».(١)

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «أمسك عن طريق إذا خفت ضلاله، فإنَّ الكفّ عن حيرة الضلالة خير من ركوب الأهوال».(٢)

فالشبهات من نسج الأعداء الذين يلبسون الحقّ بالباطل ويعمّوا على الناس الرؤية، كما ورد عن عليّ عليه السلام ـ من كتاب له إلى معاوية ـ: «وأرديت جيلاً من الناس كثيراً، خدعتهم بغيك، وألقيتهم في موج بحرك، تغشاهم الظلمات، وتتلاطم بهم الشبهات».(٣)

ووجوب تجنّب الشبهات ناشئ من خوف الوقوع في الحرام فعن الإمام عليّ عليه السلام: «إيّاك والوقوع في الشبهات، والولوع بالشهوات، فإنّهما يقتادانك إلى الوقوع في الحرام، وركوب كثير من الآثام».(٤)

وعن الإمام الصادق عليه السلام: إنَّما الأمور ثلاثة: «أمر بيّن رشده فيتّبع، وأمر بيّن غيّه فيجتنب، وأمر مشكل يردّ علمه إلى الله وإلى رسوله»(٥) ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حلال بيّن، وحرام بيّن، وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرّمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرّمات، وهلك من حيث لا يعلم».(٦)

كيفيّة التعامل مع الشبهات

١ـ طلب اليقين:

عن الإمام عليّ عليه السلام: إنَّما سمّيت الشبهة شبهة؛ لأنَّها تشبه الحقّ، فأمّا أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين،

(١) الكافي/ ١/ ٥٠.
(٢) تحف العقول/ ٧٩.
(٣) نهج البلاغة/ ٣/ ٥٧.
(٤) عيون الحكم والمواعظ/ ٩٩.
(٥) شرح أصول الكافي/ ٢/ ٣٣٤.
(٦) وسائل الشيعة/ ٢٧/ ١٥٧.

ودليلهم سمت الهدى، وأمّا أعداء الله فدعاؤهم فيها الضّلال، ودليلهم العمى[١].

ولذلك روي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنَّ العلم بالدين يزيح الشبهات: «وأشهد أنَّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادع، إزاحة للشبهات، واحتجاجاً بالبيّنات، وتحذيراً بالآيات»[٢].

وعنه عليه السلام: «أمّا بعد يا بن حنيف، فقد بلغني أنَّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها... فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه».[٣]

وقد تستغلّ بعض الناس هذه الشبهات لتبرّر أخطاءها بعدم وضوح الحقّ بيّناً ساطعاً كما ورد عن الإمام عليّ عليه السلام لعمّار بن ياسر، وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً: «دعه يا عمّار، فإنّه لم يأخذ من الدين إلّا ما قاربه من الدنيا، وعلى عمد لبس على نفسه؛ ليجعل الشبهات عاذراً لسقطاته»[٤].

٢ـ الصمت عند الشبهات:

عنه عليه السلام من وصاياه لابنه الحسن عليه السلام: أوصيك يا حسن -وكفى بك وصيّاً- بما أوصاني به رسول الله... الصمت عند الشبهة[٥].

٣ـ التوقّف:

عن الإمام الباقر عليه السلام - لمّا سأله زرارة عن حقّ الله على العباد؟-: أن يقولوا ما يعلمون، ويقفوا عندما لا يعلمون[٦].

وعن الإمام الجواد عليه السلام: «اقصد العلماء للمحجّة الممسك عند الشبهة»[٧].

---

(١) عيون الحكم والمواعظ/ ١٧٩.

(٢) نهج البلاغة/ ١/ ٢٨.

(٣) وسائل الشيعة/ ٢٧/ ١٥٩.

(٤) نهج البلاغة/ ٤/ ٩٥

(٥) ميزان الحكمة/ ٢/ ١٤٠٥.

(٦) الأمالي/ الشيخ الصدوق/ ص ٥٠٦.

(٧) ميزان الحكمة/ ٢/ ١٤٠٤.

٤ـ الحذر من الفتنة:

١ـ فعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «احذروا الشبهة، فإنّها وضعت للفتنة».[١]

وعنه عليه السلام – من كتاب له إلى معاوية –: «فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها، فإنَّ الفتنة طالما أغدفت جلابيبها[٢]، وأغشت الأبصار ظلمتها»[٣].

وعنه عليه السلام: «إنَّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجل وكله الله إلى نفسه... ورجل قمش جهلًا، موضع في جهّال الأمّة... فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت، لا يدري أصاب أم أخطأ»[٤].

٢ـ الدعاء: أي التوسّل به تعالى لإزاحة الغشاوة عن عينيه ليرى نور الحقيقة ساطعاً، فعن الإمام زين العابدين عليه السلام– في الدعاء–: ووفّقني إذا اشتكلت عليّ الأمور لأهداها، وإذا تشابهت الأعمال لأزكاها، وإذا تناقضت الملل لأرضاها»[٥].

بركات الوقوف على الشبهات

١ـ التوفيق والتسديد: عنه عليه السلام: «من التوفيق الوقوف عند الحيرة»[٦].

٢ـ الورع: الإمام الصادق عليه السلام: «أورع الناس من وقف عند الشبهة»[٧].

٣ـ الحزم: الإمام عليّ عليه السلام: "أصل الحزم الوقوف عند الشبهة"[٨].

٤ـ التقوى: الإمام عليّ عليه السلام: "إنَّ من صرحت له العبر عمّا بين يديه من المثلات، حجزته التقوى عن تقحّم

---

(١) ميزان الحكمة/ ٢/ ١٤٠٤.

(٢) أي أسدلت بثوبها.

(٣) نهج البلاغة/ ١٢٥.

(٤)المصدر نفسه/ ٥١.

(٥) الصحيفة السجّاديّة/ ١٠٩.

(٦) تحف العقول/ ص ٨٣.

(٧) المصدر نفسه/ ص ٢١٤

(٨) المصدر نفسه/ ٢١٤.

الشبهات"[١].

آية الله السيد محمد باقر الدرچهاي

قال أحد تلامذته: كان هذا العالم الجليل آية عظمى في العلم والورع والتقوى.

.. رأيت ذات مرة أنَّهم جاؤوه بأربعمائة أو خمسمائة تومان، كانت تعادل أربعمائة ألف أو خمسمائة ألف تومان في زماننا هذا، فلم يأخذ منها إلَّا عدة ريالات.

كان إذا أكل لقمة مشتبهة، وضع أصبعه فوراً في حنجرته حتى يقيئها، رأيت هذا بالخصوص منه ذات مرة، كما يلي:

دعاه أحد التّجّار الأثرياء مع عدد من العلماء والطلاب، ومدّ سفرة وسيعة أنيقة مكلفة، عليها أنواع الأطعمة، وكعادته رحمه الله اكتفى بتناول مقدار قليل من الطعام، وبعد الانتهاء من تناول الطعام وغسل الأيدي، قدم صاحب الدعوى للسيد سنداً يتضمّن أمراً حراماً بحسب فتواه، وطلب منه أن يوقع عليه..أدرك (رضوان الله عليه) أنَّ هذه الوليمة كانت مقدّمة لإمضاء هذا السند.

إنَّ فيها إذًا شبهة الرشوة، فتغيّر لونه، وارتعدت فرائصه وقال: أيّة إساءة أسأتها إليك حتى وضعت في حلقي هذا الزقوم؟.

لماذا لم تأتِ بهذا السند قبل الغداء حتى لا ألوّث يدي بهذا الطعام؟..

ثم نهض مضطرباً ومضى مسرعاً إلى المدرسة وجلس بجوار الحديقة المقابلة لحجرته، ووضع إصبعه في فمه حتى استفرغ، ثم تنفّس الصعداء.

ويقول نفس صاحب النص المتقدّم عن أستاذه الآخر الشيخ عبد الكريم الكَزي: كان رحمه الله بحق كالشيخ البهائي في عصره، كانت له المرجعية التامة في الفتوى والقضاء، ورغم أنَّه تولّى القضاء في أصفهان وتوابعها لمدّة ثلاثين إلى أربعين سنة، فإنَّ عائلته لم تكن تملك ليلة وفاته النفط للسراج، ولا لقمة الطعام، وقد كتب المرحوم الفشاركي حوالة لتأمين طعام العشاء ولوازم المعيشة لأسرته، وكنت شخصياً شاهداً في ذلك ومباشراً

(١) نهج البلاغة/ ١/ ٤٧.

لتلك الخدمة، ريالات فقط[١].

ضرورة مراجعة أهل العلم:

والعلماء الحقيقيّون هم أهل الذكر الذين أمر الله -تعالى- بالرجوع إليهم بقوله: **(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)**[٢]، ومن سار على خطاهم، وهم الذين بذلوا كلّ ما بوسعهم لإيضاح الطريق وبيان الحقّ من الباطل، وسعوا لإسماع صوتهم حتى لأعدائهم، ومن هؤلاء سيدنا ومولانا الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فلقد عاش الإمام الصادق عليه السلام عصره وقضاياه ووضع نصب عينيه أن يواجه المشكلات والتحدّيات والشبهات باتّجاه حفظ الشريعة من الشبهات والأخطار المحدقة بها، فكيف تصرّف تجاه هذه الأخطار والشبهات؟ يمكن أن نلاحظ:

١ ـ إنَّ الإمام الصادق عليه السلام لم يغمض عينيه، ولم يصمّ أذنيه عن هذه الوقائع المستجدة، والشبهات المطروحة، بل انفتح عليها، وعرفها جيّداً؛ ليتمكَّن من مواجهتها، انطلاقاً من العقيدة الإسلاميّة وإلّا فكيف نفهم هذه القدرة على مواجهة كافَّة الخصوم بما يلزم السكوت والاندحار.

يقول الشيخ محمّد أبو زهرة في كتابه «الإمام الصادق عليه السلام ص ٩٥»: « إنّ الصادق كان على علم دقيق بالفلسفة، ومناهج الفلاسفة، وعلى علم بمواضع التهافت عندهم، وإنَّه كان مرجع عصره في ردّ الشبهات، وقد كان بهذا جديراً وذلك لانصرافه المطلق إلى العلم، ولأنَّه كان ذا أفق واسع في المعرفة لم يتسنَّ لغيره من علماء عصره، فقد كانوا محدّثين أو فقهاء أو علماء كلام أو علماء في الكون وكان هو كلّ ذلك ».

بهذا العلم وبهذه المعرفة استطاع الإمام أن يواجه الأطروحات الغربية وتحدِّياتها الموجهة ضدّ الإسلام .

٢ ـ إنّ الإمام الصادق عليه السلام لم يكتفِ بالردّ على الخصوم، وتهفيت حججهم. بل سعى لتعليم وتدريب أعداد كبيرة مهيّأة للقيام بمثل ما يقوم به في أمكنة أخرى وفي أزمنة أخرى. لتظلّ إمكانات المواجهة متاحة حفاظاً على المسلمين من الخداع والتضليل ... فلنلاحظ هنا ما يعطيه من دور للتعليم وللإعلام في العمل الإسلامي.

٣ ـ إنّ الإمام الصادق عليه السلام لم يسمح للغلاة أن يقولوا فيه وفي آل البيت -صلوات الله عليهم- ما ليس فيهم ممّا يسيء

---

(١) قصص وخواطر / ٥٤٤ ـ ٥٤٥.

(٢) سورة النحل: الآية ٤٣.

إلى العقيدة بأصولها ومبادئها، ولم يمنعه تقرّبهم منه ولا محاباتهم له أو الدعوة إليه أن يقف ضدّهم بحزم ويلعنهم ويكفرهم ويبرأ منهم. وأن يُعلّم أتباعه المخلصين أن ينقلوا عنه وأن يعلِّموا الناس أن لا يقبلوا كلّ ما يرويه الرواة عنهم، وأن لا يقبلوا إلّا ما وافق القرآن والسنّة أو ما يجدون عليه شاهداً من أحاديثهم المتقدّمة، وقال الإمام الصادق ﷺ بعد أن بلغه أنَّ أحد الغلاة « بشار الشعيري » يقول فيه ما يؤدّي إلى الإشراك، قال ﷺ: « إنِّي عبد الله، وابن عبد الله، ضمتني الأصلاب والأرحام، وإنِّي لميّت ومبعوث ثمّ مسؤول ... ».

٤ ـ إنّ الإمام الصادق ﷺ حذّر أصحابه ورواد دروسه من الانفصام بين القول والفعل أو بين المعتقد والسلوك، ونصحهم بأن يعلِّموا الناس، ويستميلوهم بسلوكهم لا بمواعظهم وإرشاداتهم.

٥ ـ إنّ الإمام الصادق ﷺ تعامل مع الظروف السياسيّة لعصره بأقصى ما يمكن من الحكمة وتقدير ما نسمّيه في اللغة السياسيّة الحديثة موازين القوى بصورة دقيقة لكي لا يتحوّل الخروج إلى فتنة تتصبّب لها دماء المسلمين، ولا تزيد الظالم إلّا ظلماً وانتقاماً.

على أنَّ ذلك لم يكن يعني السكوت، بل مجاهدة الظالم، ولكن بأسلوب يقوم على الإسلام عقائد وعبادات ومعاملات وسياسيات، وانتظار التغيير في موازين القوى، والسهر على الأتباع ومساعدتهم؛ لكي لا يقعوا في فخاخ الظالمين بفعل الحاجة إلى اللقمة أو بعض المكاسب.

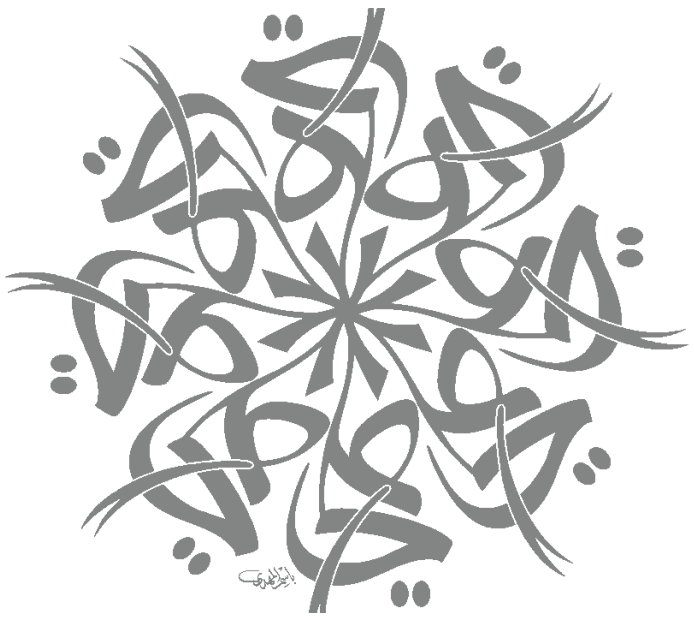

شهـر ذي القعدة

- قاعدة الإمامة في عصر الإمام الرضا عليه السلام
- شذرات من حياة الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام

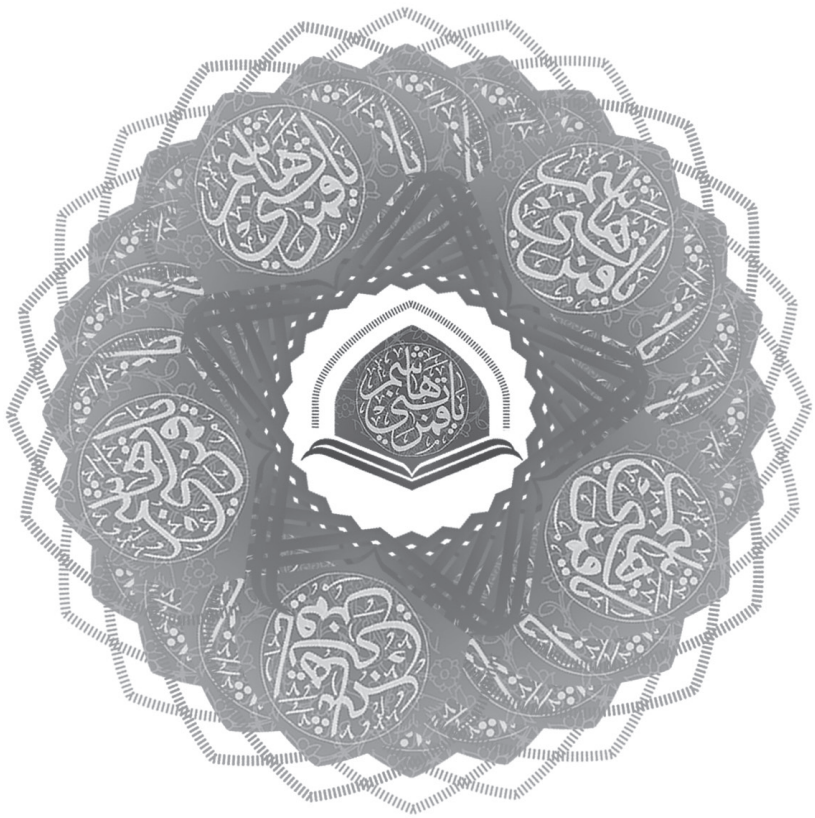

قاعدة الإمامة في عصر الإمام الرضا عليه السلام

عباس الذهبي

توفَّرت للإمام الرضا عليه السلام قاعدة جماهيرية واسعة لم تتوفَّر لإمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام قبله، فقد « رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه، ولم يكن ذلك لأحد من آبائه عليهم السلام، فلذلك سمي من بينهم الرضا عليه السلام »[1] .

وسوف نقف على بعض معالم هذه القاعدة من خلال ثلاثة أصناف:

أوَّلاً: العلماء

تظهر لنا عظمة الإمام الرضا عليه السلام واستحقاقه للإمامة من كلمات التقدير والثناء التي أطراه بها كبار علماء الشيعة من محدثين ومفسرين وكتاب ومتكلمين، وبعضهم تلاميذه المشهورون كأبي الصلت الهروي وإبراهيم بن عباس الصولي وأحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي والحسن بن محبوب، بعد أن وجدوه بحراً لا يدرك غوره، وجبلاً شامخاً لا تهزه عواصف الأحداث وأراجيف المبطلين، ويقف العالم الجليل أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي في طليعة محدثي الشيعة الذين رافقوا الإمام الرضا عليه السلام وغرفوا من نمير علمه، قال: ما رأيت أعلم من عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام، ولا رآه عالم إلّا شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد علماء

(١)من حديث للإمام الجواد عليه السلام / ٢٢.

الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلمين فغلبهم عن آخرهم حتّى ما بقي أحد منهم إلّا أقرّ له بالفضل وأقرّ علىٰ نفسه بالقصور [١]. ولأبي الصلت شهادات أُخر يصوغها بعبارة جامعة، يرى فيها الإمام عليه السلام اسم على مسمّىٰ، فيقول: كان والله رضيً كما سمّي [٢].

وهناك شهادة أخرى من كاتبٍ كبير وشاعرٍ ملهم هو إبراهيم بن العباس الصولي الذي عاصر الإمام عليه السلام واتصل به اتصالاً وثيقاً، وقد لخّص انطباعه عن الإمام عليه السلام بقوله: ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا عليه السلام، وشاهدت منه ما لم أشاهد من أحد [٣]، وقال: ما رأيت الرضا عليه السلام سئل عن شيء قطُّ إلاّ علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلىٰ وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كلّ شيء فيجيب عنه [٤].

ومن علماء الشيعة البارزين أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي المتوفى سنة (٢٢١ هـ) وكان كوفياً ثقةً، لقي الإمام الرضا عليه السلام، وكان عظيم المنزلة عنده، وروىٰ عنه كتاباً، وله من الكتب (كتاب الجامع) وله (كتاب النوادر)، كان واقفياً ثم رجع لما ظهر له من المعجزات على يد الإمام الرضا عليه السلام الدالة على صحة إمامته، فالتزم الحجة وقال بإمامته وإمامة من بعده من ولده [٥]. أما الحسن بن محبوب السراد، ويقال له الزراد، المتوفى سنة (٢٢٤ هـ) فكان ـ كذلك ـ كوفياً ثقةً، روى عن الإمام الرضا عليه السلام، وروى عن ستين رجلاً من أصحاب الإمام أبي عبد الله عليه السلام، وكان جليل القدر، وألف مجموعة من الكتب، وعده الشيخ الكشي من الفقهاء الذين أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عنهم عند تسمية الفقهاء من أصحاب الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام [٦]، كان يقر بإمامة الرضا عليه السلام ويراسله باستمرار، وإمامنا يصدقه ويُثني عليه. [٧]

ونعرض شهادة أخرى من أحد أعلام الشيعة وهو الحسين بن بشار الواسطي، مولى زياد، ثقة، روى عن الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام. في البداية لم يقر بموت الإمام الكاظم عليه السلام وعليه لم يعترف بإمامة الرضا عليه السلام ولكنه لما

---

(١) إعلام الورى ٢ : ٦٤.

(٢) كشف الغمة ٣ : ٨٣.

(٣) إعلام الورى ٢ : ٦٣.

(٤) المصدر نفسه ٢ : ٦٣.

(٥) أُنظر : الخرائج والجرائح ٥ : ٦٦٢.

(٦) أُنظر : رجال الكشي : ٥٥٦.

(٧) أُنظر المصدر نفسه : ٤٨٩، ترجمة (٤٧٩).

التقى وجد فيه ضالّته المنشودة، وأيقن بإمامته، وصار من صفوة أتباعه والناشرين لعلومه[١] .

ويدلي لنا قطب آخر من أقطاب التشيع هو عبد الله بن المغيرة مولى بني نوفل بن الحارث بن عبد المطلب[٢]، كان واقفياً وحج على تلك الحالة فدعا الله تعالى أن يهديه إلىٰ الإمام الحق، فالتقى بالإمام الرضا ﷺ فأخبره بما في نفسه، قال والإعجاب والإكبار يملأ نفسه ويرتسم على قسمات وجهه: أشهد أنَّك حجَّة الله على خلقه[٣] .

تجدر الإشارة إلى أنَّ بعض علماء الشيعة شهد بإمامة الرضا ﷺ بناءً على شهادة أبيه الإمام الكاظم ﷺ بحقه، وتصريحه للمقرّبين من أصحابه بإمامته من بعده.

وعلى العموم كان إمامنا حديث المجالس، وذكره لا يفتر على ألسن الناس، وقد بهر العقول بعلومه وحيّر الأفئدة بمعاجزه الباهرة، بحيث نجد معبد بن جنيد الشامي يدخل على الإمام الرضا ﷺ ويقول له بالحرف الواحد: قد كثر الخوض فيك وفي عجائبك !! .

أينما حلّ ورحل يستقبل بالترحاب ويجيب عن كلّ الأسئلة التي توجَّه إليه، ولو كانت من أجل اختباره، ومن مصاديق ذلك أنَّه لمّا وصل البصرة واختبره جماعة من علمائها، منهم عمرو بن هذّاب، وقد أخبر الإمام ﷺ بن هذّاب بأنَّه سيصاب بعلّة، وقد حصل ما أخبر به، قال محمد بن الفضل: فشهد له الجماعة بالإمامة [٤]. وقال ﷺ: «يا محمد انظر من الكوفة من المتكلمين والعلماء فأحضرهم.. إنِّي أريد أن أجعل لكم حظّاً من نفسي كما جعلت لأهل البصرة»[٥]. لقد كان صيته قد طبق الآفاق وأقرّ كلّ من التقى به من علماء الشيعة باستحقاقه الإمامة وأهليّته لها.

كان مظهره ﷺ يخبر عن سريرته وطويته، عندما يتكلّم ينساب صوته العذب كمثل الماء المنساب، وحينما يصمت يستغرق في صمتٍ بليغٍ كصمت الطَّبيعة، هذه الخصال ملأت نفوس العلماء والناس بالإجلال والهيبة له، وكانت من القرائن القوية على أهليّته للإمامة، وساعدت على التفاف العلماء حوله وتعطشهم لحديثه.

ومن الشواهد على الإجلال والهيبة التي لقاها من علماء عصره، وحتى من أهل بيته، ما جاء عن سليمان

---

(١)رجال الكشي ٤٤٩ : ٨٤٧، بحار الأنوار ٤٨ : ٢٦٢.

(٢)أُنظر : رجال الشيخ الطوسي : ٣٧٩.

(٣) الخرائج والجرائح ١ : ٣٦٠.

(٤) دلائل الإمامة : ٣٦٣.

(٥) الخرائج والجرائح / الراوندي ١ : ٣٤٢ـ٣٤٨.

بن جعفر، قال : قال لي علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم): أشتهي أن أدخل على أبي الحسن الرضا عليه السلام أُسلّم عليه، قلت : فما يمنعك من ذلك ؟ قال: الإجلال والهيبة له[١] .

وكان بعض كبار علماء الشيعة يطلبون لقاء الإمام عليه السلام لا لشيء إلّا لالتماس البركة منه، وحكاياتهم في هذا كثيرة، وهو أمر معهود في شأن عمداء أهل بيت النبوّة، ناهيك عن اعتقادهم بأنّه الإمام الحقّ الواجب الطاعة..

ثانياً : جمهور الناس

لما كانت أسرار الرسالة ومفاتيح كنوزها قد انتهت إلى الإمام الرضا عليه السلام غدت جموع الجماهير تحفُّ به، وبالمقابل كان الإمام عليه السلام يكن للناس كل الحبِّ والعطف، وعندما تحف به الجماهير تتألق ملامحه بالبشر والنور، وتفيض عيناه بالوداعة واللطف، كانت شخصيته ذات جاذبية خاصة تجذب القلوب المؤمنة والنفوس الطاهرة كما يجذب شذا الأزهار النحل، أينما يرحل أو يحل يمطروه بوابل كلمات التقدير والتبجيل، يتعطشون إلى رؤيته تعطش الضمآن إلى الماء.

عن أبي حبيب النباجي، قال : جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن الرضا عليه السلام من المدينة، ورأيت الناس يسعون إليه.. [٢]. وعبارة « يسعون إليه » تكشف لنا مدى شوق الناس للإمام الرضا عليه السلام وشدَّة محبتهم له، فقد كانوا يتبركون به ويسألونه عن معالم دينهم وعن الحلال والحرام.. روى الكليني في (الكافي) بسنده عن اليسع بن حمزة، قال : كنت في مجلس أبي الحسن الرضا عليه السلام وقد اجتمع إليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام.. [٣].

كان شذا علمه وبيانه يجذب الناس، كانت ترنو إليه أبصارهم وتحدق إليه عيونهم، وكانوا يلتمسون البركة في كلِّ شيء يلامسه بدنه، روى الصدوق: أنَّ الرضا عليه السلام لما دخل نيسابور نزل في محلة يقال لها القزويني، أو الغزيني، فيها حمّام، وكانت هناك عين فدخل ماؤها فأقام عليها من أخرج ماءها حتى توفر وكثر، واتخذ من خارج الدرب حوضاً ينزل إليه بالمراقي إلى هذه العين فدخله الرضا عليه السلام واغتسل فيه ثم خرج منه فصلى على ظهره والناس يتناوبون ذلك الحوض ويغتسلون منه التماساً للبركة ويصلون على ظهره، ويدعون الله عزّوجلّ في حوائجهم، وهي العين المعروفة بعين كهلان يقصدها الناس إلىٰ يومنا هذا [٤].

(١) الخرائج والجرائح / ١ : ٣٤٩.

(٢) رجال الكشي : ٤٩٥، ترجمة (٤٨٥).

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢٢٧.

(٤) أعيان الشيعة ٢ : ١٥.

كان الرضا عليه السلام آية الحق وراية العدل ورمزاً للفضيلة، وكانت روعة الإيمان تغطي وجهه، لذلك كانت له في قلوب الناس هيبة كبيرة، يروى أنَّه لما خرج للصلاة في مرو ورآه القُوّاد والعسكر رموا بأنفسهم عن دوابهم ونزعوا خفافهم وقطعوها بالسكاكين لما رأوه راجلاً حافياً، وأنَّه لما هجم الجند على دار المأمون بسرخس بعد قتل الفضل بن سهل وجاءوا بنار ليحرقوا الباب وطلب منه المأمون أن يخرج، فلما خرج وأشار إليهم أن يتفرّقوا، تفرّقوا مسرعين[1].

صفوة القول ؛ لقد فجّر الإمام أمامنا نهراً من العاطفة في قلب كل إنسانٍ مسلم، فقد وجدوا فيه إنسانية فذّة استمدّها من روح الرسالة.

ثالثاً: الشعراء

كان الشعراء يتوافدون إليه، ينظمون القوافي ويتفنّنون في صوغ قوالب المعاني التي تشيد بفضله ومنزلته. كان دعبل الخزاعي من أبرز شعرائه، فقد كان كلّ ولائه موجّهًا نحو العلويين، حتى أنَّه جهر بعدائه الشديد للخلفاء العباسيين، وهجاهم هجاءً لاذعاً مرّاً، وأبدى دعبل حبوره لبيعة المأمون للإمام العلوي الرضا بولاية العهد، فدخل عليه بمرو فقال له: يا ابن رسول الله، إنِّي قد قلت فيكم قصيدة، وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك. فقال عليه السلام : « هاتها » فأنشده:

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرصات

فلما بلغ إلى قوله:

أرى فيئهم في غيرهم متقسّما وأيديهم من فيئهم صفرات

بكى أبو الحسن الرضا عليه السلام وقال له : « صدقت ياخزاعي » فلما بلغ إلى قوله :

إذا وتروا مدُّوا إلى واتريهم أكفًّا عن الأوتار منقبضات

جعل الرضا عليه السلام يقلّب كفّيه ويقول: « أجل والله منقبضات » فلما بلغ قوله :

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها وإنِّي لأرجو الأمن بعد وفاتي

قال الرضا عليه السلام : « آمنك الله يوم الفزع الأكبر » فلما انتهى إلىٰ قوله :

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ١٤٥.

وقبر ببغداد لنفسٍ زكيّةٍ تضمَّنها الرحمٰنُ في الغُرفات

وهي قصيدة عصماء، من أشهر ماقيل من الشعر في أهل البيت عليهم السلام [١].

وأنشده إبراهيم بن عباس:

أزالت عناء القلب بعد التجلّد مصـــارع أولاد النبي محمد

فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه، وكان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت.

قال : أما دعبل فصار بالعشرة آلاف التي حصته إلى قوم، فباع كلّ درهم بعشرة دراهم، فتخلّصت له مائة ألف درهم، الأمر الذي يحكي بوضوحٍ مدى تعلّق قاعدة الإمام الرضا عليه السلام بكلّ ما خرج عنه مطلقاً، وأمَّا إبراهيم فلم تزل عنده بعد أن أهدى بعضها وفرّق بعضها على أهله إلى أن توفّى رحمه الله، وكان كفنه وجهازه منها.

أما أبو نؤاس، فارس الشعر في زمانه، فقد أدلى بدلوه، وأظهر جواهر شعره بعد صمتٍ طويل، فلمّا وفد على المأمون، قال له: يا أبا النؤاس، قد علمت مكان علي بن موسى الرضا مني وما أكرمته به، فلماذا أخّرت مدحه وأنت شاعر زمانك وقريع دهرك ؟ فأنشد يقول:

قيل لي أنت أوحد الناس طرّاً في فنون من الكلام النبيه
لك من جوهر الكلام بديع يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلامَ تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا أهتدي لمدح إمامٍ كان جبريل خادماً لأبيه

فقال المأمون: أحسنت ! ووصله من المال بمثل الذي وصل به كافة الشعراء، وفضّله عليهم [٢].

وعن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه، قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن يحيى الفارسي، قال : نظر أبو نؤاس إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام ذات يوم وقد خرج من عند المأمون على بغلة له، فدنا منه أبو نؤاس، فسلّم عليه وقال : يا ابن رسول الله، قد قلت فيك أبياتاً فأحب أن تسمعها منّي، قال : « هات » فأنشأ يقول:

---

(١) إعلام الورى ٢ : ٦٧.

(٢) المصدر نفسه ٢ : ٦٧.

مطهّرون نقيّات ثيابهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
مَن لم يكن علوياً حين تنسبه فما له من قديم الدهر مفتخر
فالله لما برى خلقاً فأتقنه صفّاكم واصطفاكم أيها البشر
فأنتم الملأ الأعلى وعندكم علم الكتاب وما جاءت به السور

فأكرمه الإمام ثلاثمائة دينار كانت نفقته، وساق إليه بغلته.[١]

مما تقدّم ظهر لنا سعة قاعدة إمامة الرضا عليه السلام بين الناس؛ العلماء منهم والجمهور والشعراء، وليس ثمة عبارة تعكس ذيوع صيته وسعة دائرة مواليه، أتمّ من عبارة أبي جعفر عليه السلام : « رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه "[٢] .

(١) إعلام الورى ٢ : ٦٥، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ١٥٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢٢.

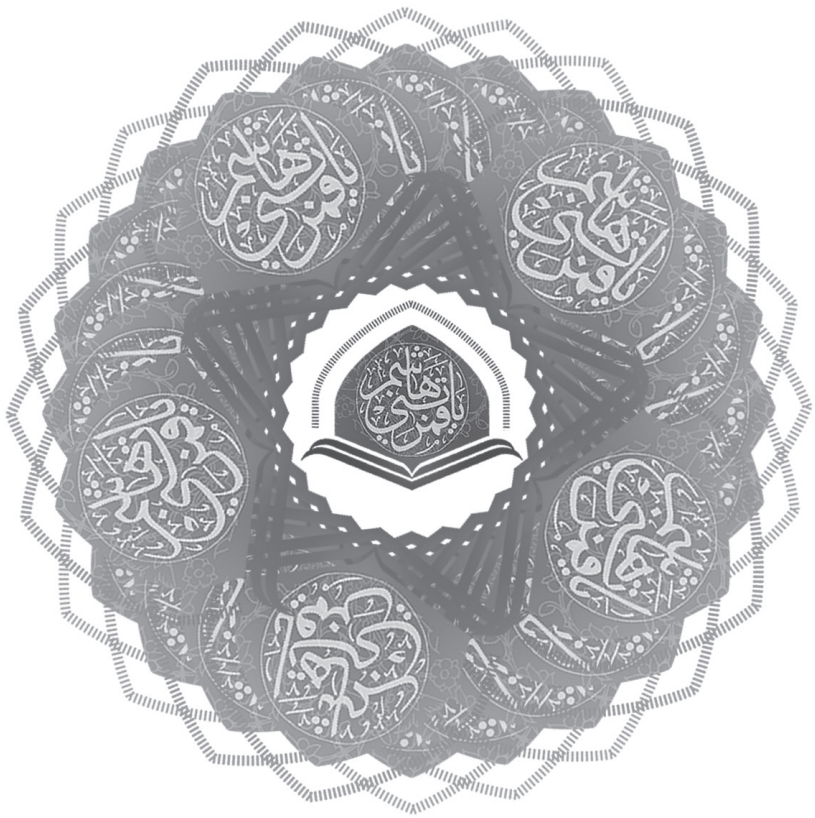

شذرات من حياة الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام

علي مظلوم

نسبه عليه السلام: هو الإمام محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

والده عليه السلام: الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

والدته عليها السلام: أم ولد يقال لها: سبيكة النوبية، وقيل: المريسية. وهي قرية في مصر، وقد وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله بخيرة الإماء فقال: «بأبي ابن خيرة الإماء، ابن النوبية[1]».

وقد أبلغها الإمام الكاظم عليه السلام سلامه. فقال ليزيد بن سليط عندما التقى به في طريق مكة وهم يريدون العمرة: «إني أؤخذ في هذه السنة والأمر هو إلى ابني علي، سمي علي وعلي. فأمّا علي الأول فعلي بن أبي طالب عليه السلام، وأمّا الآخر فعلي بن الحسين عليه السلام، أُعطي فهم الأول وحلمه ونصره وودّه ودينه ومحنته، ومحنة الآخر وصبره على ما يكره. وليس له أن يتكلم إلاّ بعد موت هارون بأربع سنين».

ثم قال لي: «يا يزيد، وإذا مررت بهذا الموضع ولقيته وستلقاه فبشره أنه سيولد له غلام أمين مأمون مبارك، وسيعلمك أنك قد لقيتني فأخبره عند ذلك أنّ الجارية التي يكون منها هذا الغلام جارية من أهل بيت مارية جارية

---

(١) الكافي: ج١/ ص٣٢٣.

رسول الله ﷺ أُمّ إبراهيم، فإن قدرت أن تبلغها منّي السلام فافعل ذلك[١]».

ولادته عليه السلام: وُلد الإمام الجواد عليه السلام في العاشر من شهر رجب الأصب عام ١٩٥هـ.

ألقابه عليه السلام: الجواد، القانع، المرتضى، التقي، وأشهرها الجواد.

كنيته عليه السلام: أبو جعفر، وهي كنية جدّه الإمام الباقر عليه السلام، وربما قيل له: أبو جعفر الثاني.

صفته عليه السلام: أبيض معتدل القامة.

البشارة به عليه السلام: لقد بشّر رسول الله ﷺ بهذا المولود المبارك، فقال: «وإنَّ الله عزّ وجل ركب في صلبه ـ أي في صلب الإمام الرضا عليه السلام ـ نطفة مباركة طيبة زكية رضية مرضية وسمّاها محمد بن علي، فهو شفيع شيعته، ووارث علم جدّه، له علامة بيّنة وحجة ظاهرة[٢]».

كما بشّر به جدّه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث قال ليزيد بن سليط الزيدي: «يا يزيد، وإذا مررت بهذا الموضع ولقيته ـ أي الإمام الرضا عليه السلام ـ وستلقاه، فبشّره أنَّه سيولد له غلام أمين مأمون مبارك[٣]».

وبشارة الإمام الرضا عليه السلام وذلك لما خاطب الحسين بن قياما الواسطي ـ وكان من رؤساء الواقفة ـ قائلاً: "إني أشهد والله أنَّه لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ولداً منّي".

قال عبد الرحمان بن أبي نجران: فعددنا الشهور من الوقت الذي قال، فوهب الله له أبا جعفر عليه السلام في أقل من سنة[٤].

قالوا فيه عليه السلام: قال محمد بن طلحة الشافعي في حقّه: (وهو وإن كان صغير السن، فهو كبير القدر، رفيع الذكر)[٥].

---

(١) الكافي: ج١ ص٣١٥

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص٦١-٦٢.

(٣) الكافي: ج١ ص٣١٥.

(٤) إعلام الورى بأعلام الهدى: ص٣٢٣.

(٥) مطالب السؤول: ص٤٦٧.

وقال السبط ابن الجوزي: (وكان عليه السلام على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود)[١].

وقال ابن حجر الهيتمي: (أجلّهم ـ أي أبناء الإمام الرضا عليه السلام ـ أبا محمد الجواد لكنه لم تطل حياته)[٢].

وقال ابن خلكان: (أبو جعفر محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر... المعروف بالجواد أحد الأئمة الأثني عشر)[٣].

وقال الشيخ محمود الشيخاني: (وكان محمد الجواد جليل القدر عظيم المنزلة... قالوا: إنّ كراماته كاشفاته كثيرة لا تحمله الدفاتر، ومن كمال علمه أنَّه غلب في طفوليته قاضي المأمون وهو يحيى بن أكثم)[٤].

مولود عظيم البركة

من الأمور التي امتحن الله بها الشيعة في عهد الإمام الرضا عليه السلام هي أنَّ عُمْر الإمام عليه السلام جاوز الأربعين ولم يُرزق بمولود يعقبه في الإمامة، حتى أنَّ الواقفة أخذوا يشنّعون بذلك على الإمام عليه السلام. فعن عبد الرحمن بن أبي نجران وصفوان بن يحيى، قالا: حدثنا الحسين بن قياما ـ وكان من رؤساء الواقفة ـ فسألنا أن نستأذن له على الرضا عليه السلام ففعلنا. فلمّا صار بين يديه، قال له: أنت إمام!.

قال عليه السلام: "نعم".

قال: إنِّي أُشهد الله أنَّك لست بإمام. قال: فنكت عليه السلام في الأرض طويلاً منكس الرأس ثم رفع رأسه إليه، فقال له: «ما علمك أنّي لست بإمام؟».

قال له: إنا قد روينا عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّ الإمام لا يكون عقيماً، وأنت قد بلغت السن وليس لك ولد.

قال: فنكس رأسه أطول من المرة الأولى ثم رفع رأسه فقال: «إنّي أُشهد الله أنَّه لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ولداً منّي». قال عبد الرحمن بن أبي نجران: فعددنا الشهور من الوقت الذي قال، فوهب له أبا جعفر عليه السلام في أقل من سنة[٥].

(١) تذكرة الخواص: ص٣٢١.

(٢) الصواعق المحرقة: ص١٢٣.

(٣) وفيات الأعيان: ج٤ ص١٧٥ .

(٤) الصراط السوي: ص٤٠٢.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٢٠٩-٢١٠.

وبمولد الإمام محمد الجواد عليه السلام دحضت شبهة الواقفية، والتي لم يسبقها مثلها في سائر الأئمةعليهم السلام.

روى ابن أسباط، وعباد أبو إسماعيل: إنّا لعند الرضا عليه السلام بمنى إذ جيء بأبي جعفر عليه السلام. قلنا: هذا المولود المبارك؟. قال عليه السلام: "نعم، هذا المولود المبارك الذي لم يولد في الإسلام أعظم بركة منه"(١).

من معاجزه عليه السلام

المعجزة بمعناها الشامل دليل صدق النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام. والمقصود بالمعنى الشامل هو القدرة التي منحها الله تعالى لوليه وحجته على الخلق في مختلف المجالات، وليس في مجال واحد فقط. وبعض من يدعي تلك المقامات كذباً وإن تمكَّن من خداع الناس في قضية فإنَّه لا يتمكَّن في سائر القضايا.

وهذه المعاجز والكرامات من الأئمة تشد أواصر المحبة بهم وتقوّي المعتقدات بهمعليهم السلام.

عباد مكرمون

عن أحمد بن محمد الحضرمي، قال: حج أبو جعفر ـ الجواد ـ عليه السلام، فلما نزل زبالة فإذا هو بامرأة ضعيفة تبكي على بقرة مطروحة على قارعة الطريق. فسألها عن علة بكائها؟. فقامت المرأة إلى أبي جعفر عليه السلام وقالت: يا ابن رسول الله، إنِّي امرأة ضعيفة لا أقدر على شيء، وكانت هذه البقرة كل مال أملكه.

فقال لها أبو جعفر عليه السلام: "إن أحياها الله تبارك وتعالى لكِ فما تفعلين؟".

قالت: يا ابن رسول الله، لأُجدِّدنَّ لله شكراً .

فصلى أبو جعفر ركعتين ودعا بدعوات ثم ركض برجله البقرة، فقامت البقرة وصاحت المرأة: عيسى بن مريم.

فقال أبو جعفر عليه السلام: "لا تقولي هذا، بل عباد مكرمون أوصياء الأنبياء"(٢).

النجاة من السجن

عن علي بن خالد: كنت بالعسكر فبلغني أنَّ هناك رجلاً محبوساً أُتي به من ناحية الشام مكبولاً. فقالوا: إنَّه تنبّؤ حق.

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٠.

(٢) الثاقب في المناقب: ص٥٠٣.

قال: فأتيت الباب واستأذنت البوَّاب حتى وصلت إليه، فإذا رجل له فهم وعقل. فقلت له: يا هذا ما قصّتك؟.

قال: إنِّي كنت رجلاً بالشام أعبد الله تعالى في الموضع الذي يقال إنَّه نصب فيه رأس الحسين ﷺ، فبينما أنا ذات ليلة مقبل على المحراب أذكر الله تعالى إذ رأيت شخصاً بين يدي، فنظرت إليه فقال لي:قم. فقمت معه فمشى بي قليلاً، فإذا أنا في مسجد الكوفة. فقال لي: تعرف هذا المسجد؟.

فقلت: نعم، هذا مسجد الكوفة.

قال: فصلى وصليت معه، ثم خرج وخرجت معه، ومشى بي قليلاً فإذا أنا بمكة، فطاف بالبيت فطفت معه، ثم خرج فمشى قليلاً فإذا أنا بالموضع الذي كنت أعبد الله فيه بالشام، وغاب الشخص عن عيني، فبقيت متعجباً متهولاً ممّا رأيت.

فلما كان في العام المقبل رأيت ذلك الشخص فاستبشرت به، ودعاني فأجبته ففعل كما فعل في العام الماضي، فلما أراد مفارقتي بالشام قلت له:سألتك بالذي أقدرك على ما رأيت منك إلا أخبرتني من أنت؟.

فأطرق طويلاً ثم نظر إليّ وقال: «أنا محمد بن علي بن موسى». وتراقى الخبر إلى محمد بن عبد الملك الزيات، فبعث إليَّ وكبّلني في الحديد، وحملني إلى العراق وحبست كما ترى وادعى عليَّ المحال. فقلت له: فارفع قصتك إلى محمد بن عبد الملك؟.

فقال: أفعل. فكتبت عنه قصة شرحت أمره فيها، ورفعتها إلى محمد بن عبد الملك. فوقع في ظهرها: قل للذي أخرجك من الشام في ليلة إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى المدينة، ومنها إلى مكة ومنها إلى الشام أن يخرجك من حبسك هذا.

قال علي بن خالد: فغمّني ذلك من أمره ورققت له، وانصرفت محزوناً عليه. فلما كان من الغد باكرت الحبس لأعلمه بالحال وآمره بالصبر والرضى، فوجدت الجند وأصحاب الحرس وصاحب السجن وخلقاً عظيماً من الناس يهرعون. فسألت عن حالهم فقيل لي: المحمول من الشام المتنبئ افتقد البارحة فلا يدرى أ خسفت به الأرض أم اختطفه الطير. وكان علي بن خالد زيدياً فقال بالإمامة لما رأى ذلك وحسن اعتقاده[1].

---

(١) الثاقب في المناقب: ص٥١٠-٥١١.

امتحان الشيعة

امتحن الشيعة في عهد الإمام الجواد ﷺ بامتحان صعب جداً، ألا وهو تصدي الإمام ﷺ للإمامة وهو صغير. فمن كلام للطبري الشيعي ـ أحد علماء القرن الرابع الهجري ـ قال:

ولما بلغ عمره ـ أي الإمام الجواد ﷺ ـ ست سنين وشهور قتل المأمون أباه، وبقيت الطائفة في حيرة، واختلفت الكلمة بين الناس، واستصغروا سنّ أبي جعفر، وتحير الشيعة في سائر الأمصار[١].

وهذا ومن الواضح أنَّه ليس المعيار في النّبوة والإمامة السن. قال عيسى بن مريم ﷺ وهو في المهد: [قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آَتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا][٢].

عن صفوان بن يحيى، قال: قلت للرضا ﷺ: قد كنّا نسألك عن الإمام بعدك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر وكنت تقول: «يهب الله لي غلاماً»، وقد وهب الله لك وأقر عيوننا ولا أرانا الله يومك، فإن كان كون فإلى من؟.

فأشار بيده إلى أبي جعفر ﷺ وهو قائم بين يديه. فقلت: جعلت فداك، وهو ابن ثلاث سنين؟!. فقال ﷺ: "وما يضره من ذلك، فقد قام عيسى ﷺ بالحجة وهو ابن ثلاث سنين"[٣].

وعن معمّر بن خلاد، قال:سمعت الرضا ﷺ وذكر شيئاً، فقال: «ما حاجتكم إلى ذلك! هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي وصيرته مكاني ـ وقال ـ إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذّة بالقذّة[٤]».

وعن علي بن أسباط، قال: رأيت أبا جعفر ﷺ قد خرج عليَّ، فأحددت النظر إليه وإلى رأسه وإلى رجله؛ لأصف قامته لأصحابنا بمصر. فخرّ ساجداً فقال: «إنّ الله احتج في الإمامة مثل ما احتج في النبوة، قال الله تعالى: [وَآَتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا][٥]، وقال الله: [حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً][٦]، فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبي، ويجوز أن يؤتى وهو ابن أربعين سنة[٧]».

(١) دلائل الإمامة: ص٢٠٤.

(٢)سورة مريم: ٣٠.

(٣) الكافي: ج١ ص٣٢١.

(٤) المصدر نفسه: ج١ ص٣٢٠.

(٥) سورة مريم: ١٢.

(٦) سورة الأحقاف: ١٥.

(٧) بصائر الدرجات: ص٢٣٨.

الهجرة إلى بغداد

بعد أن دسَّ المأمون السم القتّال إلى الإمام الرضا ﷺ نقم الناس عليه، وعلموا بأنَّه قاتل الإمام ﷺ. فعمد المأمون كعادته إلى حيلة جديدة لعله يحسّن من خلالها سمعته، فاستدعى الإمام الجواد ﷺ إلى بغداد وذلك لـ:

١. تقييد حركة الإمام ﷺ ووضعه تحت نظره.

٢. يزوّجه ابنته، وبذلك يغطّي جريمته النكراء بقتل الإمام الرضا ﷺ ويبيّن للناس أنَّه نال فخر الانتساب لهذا البيت الطاهر، ومن خلال ابنته تصله أخبار الإمام كاملة.

٣. يظهر تقرّبه للإمام الجواد ﷺ كما تقرّب لأبيه من قبل، أنَّه لا يكن للإمام ﷺ إلاّ الودّ والاحترام على عكس ما يتصوره الناس.

٤. يمتص غضب العلويين ويضع حدّاً لثوراتهم الساخطة ضد الظلم والطغيان.

فأجبر الإمام الجواد ﷺ على المجيء إلى بغداد ومجاورة المأمون. ففي الخبر عن الحسين المكاري، قال:دخلت على أبي جعفر ﷺ ببغداد وهو على ما كان من أمره، فقلت في نفسي: هذا الرجل لا يرجع إلى موطنه أبداً وأنا أعرف مطعمه.

قال: فأطرق رأسه، ثم رفعه وقد اصفر لونه. فقال: "يا حسين، خبز الشعير وملح جريش في حرم جدي رسول الله ﷺ أحب إليَّ ممّا تراني فيه"(١).

الزواج من ابنة المأمون

بعد أيام من مجيء الإمام الجواد ﷺ إلى بغداد، دعاه المأمون إلى القصر وعرض عليه الزواج بابنته أمّ الفضل، فسكت الإمام ﷺ: ..

ثم شاع الخبر بين العباسيين وشاعت الضجة بينهم، فخاطبوا المأمون بلسان الغضب، وهم لا يعلمون ما يضمره المأمون من خبث النية، فقالوا:

---

(١) مدينة المعاجز: ج٧ ص٣٧٦.

ننشدك الله يا أمير أن تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا، فإنا نخاف أن تخرج به عنّا أمراً قد ملّكناه الله، وتنزع منّا عزّاً قد ألبسناه الله، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كُنّا في وهلة من عملك مع الرضا حتى كفانا الله المهم من ذلك، فالله الله أن تردنا إلى غم قد انحسر عنّا، واصرف رأيك عن ابن الرضا، وأعد له إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره... إنَّ هذا الصبي وإن راقك منه هديه؛ فإنَّه صبي لا معرفة له ولا فقه، فأمهل ليتأدب ويتفقه في الدين، ثم اصنع ما بدا لك بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم! إنِّي أعرف بهذا الفتى منكم، وأن أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى ومواده وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يبين لكن به ما وصفت لكم عن حاله.

فقالوا له: قد رضينا لك يا أمير ولأنفسنا بامتحانه، فخل بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة؛ فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن اعتراض في أمره، وظهر للخاصة والعامة سديد رأي الأمير فيه. وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه.

فقال لهم المأمون: شأنكم وذلك متى أردتم. فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم ـ وهو يومئذ قاضي الزمان ـ على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعادوا إلى المأمون فسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع فأجابهم إلى ذلك..

وبالفعل فقد عقد مجلس المناظرة وقال يحيى بن أكثم للمأمون: تأذن لي يا أمير أن أسأل أبا جعفر؟.

فقال له المأمون: استأذنه في ذلك. فأقبل إليه يحيى بن أكثم، فقال: أ تأذن لي ـ جعلت فداك ـ في مسألة؟.

قال له أبو جعفر عليه السلام «سل ما شئت».

قال يحيى: ما تقول ـ جعلت فداك ـ في محرم قتل صيداً؟.

فقال أبو جعفر عليه السلام :"قتله في حلّ أو في حرم، عالماً كان المحرم أو جاهلاً، عمداً كان أو خطأً، حراً كان أو عبداً، صغيراً كان أم كبيراً، مبتدياً أم معيداً، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد أم من كبارها، مصرّاً على ما فعل أو نادماً، أ بالليل كان قتل صيده أم نهاراً، محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟.

فتحيّر يحيى بن أكثم، وبان في وجهه العجز والانقطاع وتلجلج، حتى عرف جماعة من أهل المجلس أمره. فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثم نظر إلى أهل بيته وقال لهم: أعرفتم الآن إلى ما كنتم تنكرونه، ثم أقبل على أبي جعفر عليه السلام[١].

معارف خالدة

أهل البيت عليهم السلام كانوا يستفيدون من الفرص المتاحة لترويج العلوم ونشر المعارف التي تنفع الناس في دنياهم وآخرتهم، وهكذا كان الإمام الجواد عليه السلام:

يقول زرقان صاحب ابن أبي داود أنَّه رجع ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم، فقلت له في ذلك. فقال: وددت اليوم أنِّي قد متّ منذ عشرين سنة. قال: قلت له: ولِمَ ذاك؟!.

قال: لما كان من هذا الأسود أبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليه السلام اليوم بين يدي الأمير. قال: قلت له: وكيف كان ذلك؟!.

قال:إنّ سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحد عليه.

فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي، فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يقطع؟.

قال: فقلت: من الكرسوع[٢]. قال: وما الحجة في ذلك؟.

قال: قلت: لأن اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع؛ لقول الله في التيمم: [فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ][٣] واتفق معي على ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق. قال: وما الدليل على ذلك؟.

قال: لأن الله لما قال: [وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ][٤] في الغسل، دل ذلك على أنَّ حد اليد هو المرفق.

---

(١) الإرشاد: ج٢ ص٢٨١-٢٨٤.

(٢) الكرسوع: طرف الزند الذي يلي الخنصر النائي عند الرسخ.

(٣) سورة النساء: ٤٣، سورة المائدة:٦.

(٤) سورة المائدة:٦.

قال: فالتفت إلى محمد بن علي عليه السلام فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟.

فقال: قد تكلم القوم فيه يا أمير.

قال: دعني ممّا تكلموا به، أي شيء عندك؟.

قال: أعفني عن هذا يا أمير.

قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه.

فقال: «أما إذا أقسمت عليَّ بالله إنِّي أقول: إنَّهم أخطؤوا السّنّة، فإنَّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكف».

قال: وما الحجة في ذلك؟.

قال: «قول رسول الله صلى الله عليه وآله: السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبقَ له يد يسجد عليها. وقال الله تبارك وتعالى: [وَأَنَّ المَسَاجِدَ للهِ][1] يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، [فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا] وما كان لله فلا يقطع.

قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف [2].

وقفة مع وضّاعي الحديث

أهل البيت عليهم السلام كانوا يؤكِّدون على تدوين الأحاديث وضبطها والاهتمام بها وإخراج الموضوعات منها، لذا كان الأصحاب يعرضون كتبهم عليهم.

كما عرض يونس بن عبد الرحمن على الإمام الرضا عليه السلام كتب جماعة من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، فأنكر الإمام منها أحاديث عديدة أن تكون من أحاديث أبي عبد الله عليه السلام، وقال صلوات الله عليه: «إنَّ أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله عليه السلام لعن الله أبا الخطاب، وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله عليه السلام" [3].

---

(١)سورة الجن:١٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٨ ص٢٥٢-٢٥٣.

(٣) اختيار معرفة الرجال: ج٢ ص٤٨٩-٤٩٠.

وعن هشام بن الحكم، أنَّه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان المغيرة بن سعيد (لعنه الله) يتعمد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه وكان أصحابه المسترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة لعنه الله، فكان يدس فيها الكفر والزندقة ويسندها إلى أبي عليه السلام" [١].

وفي عهد الإمام الجواد عليه السلام ومن خلال مناظراته العلمية مع قاضي القضاة آنذاك يحيى بن أكثم وغيره، ردّ الإمام عليه السلام تلك الأحاديث الموضوعة، وبين الحقائق للناس.

حكام عصره عليه السلام

عاصر الإمام الجواد عليه السلام عددًا من حكّام الجور والظلمة:

١. المأمون العباسي، وهو الذي قتل الإمام الرضا عليه السلام.

٢. المعتصم العباسي:

وكان رجلاً ظلوماً شديد البطش، ليس له حظّ من العلم والأدب. ففي أحد الأيام ورد عليه كتاب من بعض العمّال، وإلى جانبه وزيره حمد بن عمار بن شاذي البصري، فقرأ الوزير الكتاب وفيه ذكر الكلأ. فقال له المعتصم: ما الكلأ؟.

فقال: لا أعلم، وكان قليل المعرفة بالأدب. فقال المعتصم: خليفة أميّ ووزير عامّي ـ ثم قال ـ أبصروا من بالباب من الكتّاب. فوجدوا محمد بن عبد الملك، فأدخلوه إليه. فقال له: ما الكلأ؟.

فقال: الكلأ العشب على الإطلاق، فإن كان رطباً فهو الخلأ، فإذا يبس فهو الحشيش، وشرع في تقسيم أنواع النبات[٢].

ووصف المؤرخون المعتصم العباسي بأنَّه كان إذا غضب لا يبالي من قتل، ولا ما فعل[٣].

وكان المعتصم يميل إلى الأتراك؛ لأنَّ والدته كانت تركية، لذا كان يشتريهم من مواليهم فاجتمع له منهم أربعة آلاف. ألبسهم أنواع الديباج، ووسمهم رتباً قيادية في الجيش، حتى أنَّ نعرة العنصرية ثارت عند العسكريين

---

(١) المصدر نفسه: ج٢ ص٤٩١.

(٢) وفيات الأعيان: ج٥ ص٩٤-٩٥.

(٣) تاريخ الطبري: ج٧ ص٣١٥-٣١٨.

العرب في الجيش، ودبّت فيهم روح العصبية العمياء. فحاول عجيف أن يقلب الحكم على المعتصم ليولي العباس بن المأمون، ولكن هذه المحاولة أخفقت وقتله المعتصم[١].

شهادة الإمام الجواد عليه السلام

عندما ظهر علم الإمام الجواد عليه السلام في مختلف المسائل ولكلّ الناس، ومنه مسألة قطع السارق حقد ابن أبي داود عليه، ووشى بالإمام وحرّض المعتصم عليه. وكان المعتصم ينتظر فرصة في قتل أبي جعفر عليه السلام، فأشار إلى ابنة المأمون أن تسمّه؛ لعلمه بانحرافها عن الإمام الجواد عليه السلام وشدة غيرتها عليه، لتفضيله أم الإمام الهادي عليه السلام عليها، ولأنَّها لم ترزق منه الولد.

فأجابته إلى ذلك، وجعلت سمّاً في عنب رازقي ووضعته بين يديه عليه السلام، فلما أكل منه جعلت تبكي. فقال عليه السلام: "ما بكاؤك! والله ليضربنك الله بفقر لا ينجبر، وبلاء لا ينستر». فماتت بعلّة في أغمض المواضع من جوارحها صارت ناصوراً، فأنفقت مالها وجميع ملكها على تلك العلة[٢].

وهكذا توفي الإمام مسموماً شهيداً في آخر ذي القعدة عام ٢٢٠هـ، ودفن بجوار جدِّه الإمام موسى الكاظم عليه السلام في الكاظمية المقدسة.

---

(١)مروج الذهب: ج٣ ص٤٦٥.

(٢) مدينة المعاجز: ج٧ ص٤٠٦.

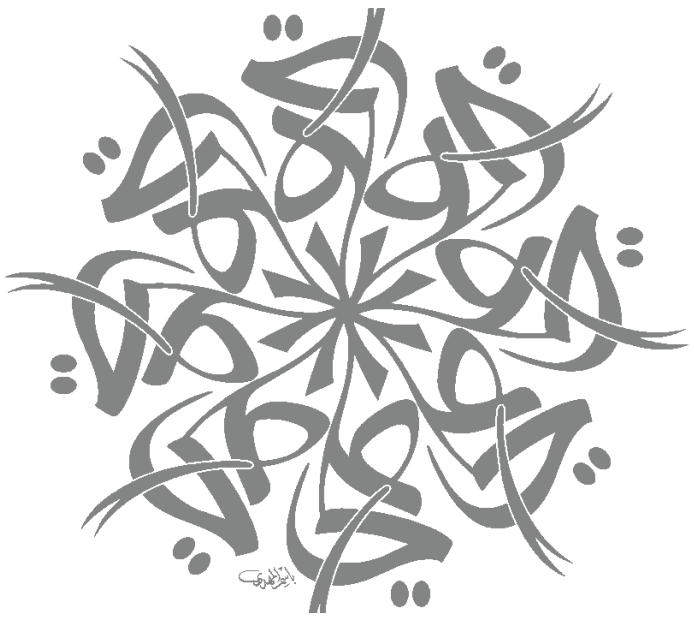

شهـر ذي الحجة

- رحلة إلى عالم التشريع
- الشعار وتأثيره
- الإمام الباقر عليه السلام مع الشيعة
- نفحات من الغدير

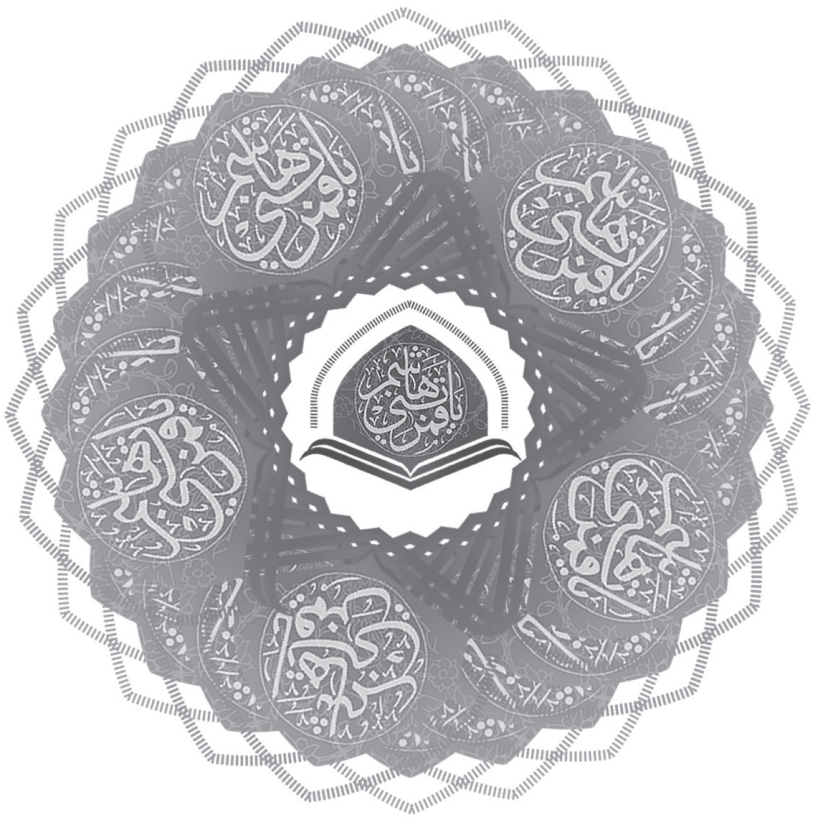

رحلة إلى عالم التشريع

الشيخ عبدالله الجعيفري

بما أنَّ فريضة الحج في الإسلام جزء من نظامٍ عباديٍّ متكامل، يرتبط بطبيعة الحياة الإنسانية في كافة مجالاتها وميادينها الفردية والاجتماعية.

وبما أنَّ الله عزّ وجل قد رسم خطوط الرّحلة العبادية العامة، من خلال دعوة الإنسان للتطبيق الصحيح لما يملى عليه من فرائض وواجبات، تستبطن ما ينفعه وما يصلح شؤون حياته، وذلك بحكم حاجة هذا الإنسان إلى مقوّمات وجوده، وبحكم فقره للخالق المطلق (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**)[١].

وأنّ الإنسان كادح في هذا الوجود، ومتفاعل مع كافة أصعدة الحياة، ولا بدّ له من الرّحيل إلى الله عزّ وجل، كما قال تعالى : (**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ**)[٢].

وبما أنَّ ما نحن فيه من رحلة الحج، التي تتكون – في تسلسلها – من عبادتين متماثلتين إلا في بعض الأركان والواجبات، ولكلّ خطّ من خطوط هذه الرحلة مضمونه ومحتواه التربوي.

فالجدير بالإنسان المؤمن أن يذهب –أوّلاً– بعقله وفكره وروحه إلى كلِّ خطّ من خطوط هذه الفريضة

(١) فاطر : ١٥

(٢) الانشقاق : ٦.

المضنية في تطبيقها، والمشعة في مضامينها التربوية، للتروّي والاستنتاج لما يتيسّر من المفاهيم والمضامين، من كل ما يؤدّيه من الواجبات والفروض الإسلامية، التي تحمل للإنسان معطيات وعنايات السماء، ولكن عليه أن لا يعتبر ما استوحاه من المعطيات هي المعطيات النهائية التي تحملها هذه الفريضة أو غيرها، لأنَّ الاعتراف بالعجز، والإذعان للأمر هو ذاته إدراك للحكمة من كلّ التشريع.

إذ ليس بوسع الذِّهن البشري القاصر أن يستوعب كل أسرار التشريع، كما أنَّه ليس من الواجب معرفة كل سر وحكمة في أوامر التشريع ونواهيه، لأنَّ على الإنسان المؤمن أن يفنى في الأمر الإلهي، وأن يستميت قلبه وبدنه في أداء الواجب بروح اليقين والثقة: بأنَّ أيّة فريضة من الفرائض والواجبات هي ذات مصالح واقعية تعود على البشرية.

غاية الأمر، أنَّ بعض المصالح والمعاني بارزة يتم إدراكها واستيحاؤها وفقًا لثقافة الإنسان المؤمن ودرجة تفكيره، ومنها ما لا يصل إليه عقل الإنسان وتفكيره.

ويسمَّى هذا الجانب بالجانب الغيبي في منهج العبادة، الذي يؤكّد في الإنسان المؤمن روح الانقياد والارتباط المطلق بالله عزّ وجل، وليكون كالجندي المستميت في أداء الواجب، خصوصًا على مستوى فريضة الحج الإسلامي.

وتتكوّن هذه الرحلة في تسلسلها من عبادتين متماثلتين إلا في بعض الأركان والواجبات، ولكلّ خطٍّ من خطوط هذه الرحلة مضمونه ومحتواه التربوي، فلنذهب معًا - في رحلتنا - إلى كلِّ خطٍ من هذه الخطوط:

١ - إلى حكمة الإحرام

فعندما ينزع الإنسان ثيابه على أرض الميقات، فإنَّه ينزع كافة الأقنعة المزيّفة، والمظاهر المترفة التي كانت تجلله وتميّزه عن غيره، سيّدًا كان أم عبدًا، مستكبرًا كان أم متواضعًا، قويًّا كان أم ضعيفًا، غنيًّا كان أم فقيرًا، فهو بعنوانه الإنساني في كل أحواله.

فاليوم هو إنسان واحد، وفرد من نسل آدم وآدم من تراب، لا فضل له على غيره إلا بالتقوى **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ)**[1].

فبالإحرام ينتزع الإنسان أنانيته على أرض الميقات، ويرمي بكل الاعتبارات والعناوين خارج مكة، ليدخل

(١) الحجرات: ١٣.

إلى هذه الباحة المشرّفة بثوبي الإحرام - قميص وإزار - ليصبح أمام ربّه عزّ وجل إنسانًا جديدًا متجرّدًا بروحه وعقله، مقبلاً على ربِّه، راجيًا رحمته.

٢- إلى حكمة الطَّواف

فهنا ومن خط الإحرام وفي الطريق إلى أداء الطواف بالبيت الحرام، يسير الإنسان المؤمن في خطِّ الاقتراب إلى حرم الله عزّ وجل، ليستجير بظلال أمنه وأمانه، ويسأله العفو والرّحمة والفوز في فسيح جنانه، وليؤكِّد في هذا الخط رابطته بربّه تعالى.

وذلك من خلال عمل عبادي بارز وهو: الطواف بالبيت سبعة أشواط لعمرة التَّمتّع، وفي نطاق الحدود التي رسمت للمطاف حول البيت، والتي لا تزيد على ٢٦ ذراعًا بين الرّكن والمقام، ولا تزيد على٣ أمتار حول حجر إسماعيل عليه السلام، وإن كان هناك زيادة في الحدود للتسهيل أيام الزّحام وكثرة الحجيج.

وبما أنّ معنى الطواف: هو الحركة والتنقل من نقطة إلى أخرى، ومن موقع إلى موقع آخر، فإنَّه في بيت الله الحرام، يعني: ضرورة تقييد هذه الحركة في كافة مجالات الحياة، ضمن حدود مرضاة الله عزّ وجل.

فعليك أن تطوف وتتحرّك أيُّها الإنسان المؤمن على بيوت الله والأولياء والمؤمنين، لا أن تطوف وتتحرّك في بيوت المشركين والظالمين، عليك أن تطوف في مواقع الطاعة، وأن تكون كلّ خطوة من خطواتك في خدمة دينك وأهداف رسالتك.

ومن ناحية أخرى: فإنَّ هذا المدار الذي رسمه الله عزّ وجل، يحتوي على أمواج من البشر ممن استجاب لله تعالى، ليؤكِّد كلّ إنسان من خلال هذا المدار، أنَّه يحوم بقلبه وبكل كيانه حول توحيد الله عزّ وجل.

هذه العقيدة التوحيدية، هي التي ترسم للإنسانية خطّ الحركة في الحياة، ولا تتركه يتجاوز الحدود التي رسمها الله عزّ وجل (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون)[١].

٣- إلى حكمة صلات الطَّواف

على الحاج أن يرفد طوافه حول البيت المشرف بركعتي الطواف، وأن يؤدِّيها بجوار أو خلف مقام إبراهيم عليه السلام وبكيفية معينة.

---

(١) البقرة: ٢٢٩

وبهذا يؤكِّد المؤمن عمق الصلة بين هذا المدار التوحيدي الذي يحدِّد له خط الحركة في هذه الحياة ضمن الحدود المشروعة، وبين مصدر الاستلهام للثبات على هذه الحدود، وهو: (الصلاة) التي تتضمّن طلب الإنسان من ربّه عزّ وجل: (إهدنا الصّراط المستقيم)(١) أي: ثبِّتنا على خط التوحيد والطاعة.

ومن ناحية أخرى: ترمز هذه الصلاة إلى تكريم هذا المدار، فهي تحيَّة لبيت الله الحرام، ولمن بذل وسعه في بنائه في غربة من الأهل والديار، وعلّم أمته حج البيت، وأرشد الناس إلى كيفية أداء نسكهم.

٤- إلى حكمة السعي

ويأتي السعي بين الصفا والمروة، تأسّيًا بإبراهيم عليه السلام وبهاجر أم إسماعيل، التي اقترن سعيها بالبحث عن ولدها وعن الماء، وهي مشدودة إلى الله تعالى بالتبتل والدعاء، لتؤكِّد على أنَّ عناية الله تعالى بالعبد، إنَّما تقوم على أساس السعي والحركة في الأرض كما تشاهد.

وهذه هي سُنَّة الله في كلّ شؤون الحياة، إذ تقوم على بذل الجهد والوسع في سبيل تحصيل المطالب وتوفير الرغائب (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**)(٢) (**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**)(٣).

حتى على مستوى تحصيل الملكات والكمالات النفسية والروحية، والمنازل الاجتماعية، فحين يسعى المؤمن لطلب الهداية من ربه عزّ وجل فالله يجزي على هذا السعي، ويبلغ بالمؤمن ما يريد.

ولكن لا بدّ أن يمتزج السعي بالانقطاع إليه تعالى بالطلب، والثقة به والاطمئنان برعايته وعنايته قبل كل شيء، لذلك كانت الصلاة في مقام إبراهيم عليه السلام منطلقًا لهذه الخطى.

وجاء السعي بعد هذه النفحة الرّوحية، لأنَّها هي التي تموّن جهد الإنسان وسعيه بالصبر والأمل والثقة، وإيكال الأمر إليه عزّ وجل بصفته الخالق الغني الذي بيده خزائن العطاء والرّحمة، وتوفير النعمة ودفع النقمة.

هذا التصوّر الذي جسّده خليل الله إبراهيم عليه السلام إذ وضعه النمرود - فرعون زمانه - في المنجنيق ليرمي به في النار التي سجّرها لإحراقه، فلقيه جبرئيل عليه السلام وهو يهوي في طريقه إلى تلك النار، فقال له: يا إبراهيم ألك حاجة؟

(١) الفاتحة: ٦

(٢) الملك: ١٥

(٣) النجم: ٣٩

فأجابه إبراهيم ﷺ: أمَّا إليك فلا.

فهنا يتجلّى لنا درس الثقة بالله تعالى، تلك الثقة التي راحت تستتبعها إيجابية السماء وعناية المعبود الحق كنتيجة حتمية، (**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ**)[1].

٥- إلى حكمة التَّقصير

وهو المنسك الخامس من أعمال عمرة التمتع -كما عرفنا- بعد السعي مباشرة، فهو يقع في فترة من السكون، ووقفة يستعيد فيها الإنسان المؤمن أنفاس الراحة بعد عناء السعي، ولكن لا تكون هذه الفترة بلا نسك، إذ هي فترة إحلال ممّا حرّم الله عليه من شؤون الحياة وممارساتها، ومن ألصق عاداتها في حياته اليومية.

فتراه يقف في نهاية أشواطه لينفض من على قلبه وروحه غبار الإثم كما ينفض من على بدنه غبار التعب والعناء، خصوصًا عندما ينهل من تلك الساقية النقية (ماء زمزم) العين التي تشدّه لمصدر الحياة، وينبوع الحكمة، لتترعرع في قلبه أشجار الشوق إلى مثل تلك الرّحلة إلى الله تعالى من جديد على مرّ العصور والأزمان.

إنَّها العين التي تفجّرت تحت قدمي إسماعيل ﷺ وسقته بجرعة من هذا الينبوع، وأروته بعد الظمأ، ونقلته من صحراء مجدبة إلى رياض يانعة مونقة بالحب والأمل وحكمة النبوة.

فما على الحاج المؤمن إلا أن يتأسَّى بهذا النبي، فيسقي ويغسل صدره ووجهه من هذا الينبوع قائلاً: (اللهم اجعله علمًا نافعًا ورزقًا واسعًا)، إنَّه يجعل هذا الماء الطهور ريًّا لقلبه بالعلم والحكمة، وطهرًا لكسبه وتنزيهًا له عن الحرام والشبهة، لأنَّ العلم والحكمة لا تجتمع مع الحرام والشبهة.

فما أحلى هذه اللحظات التي يحس فيها الإنسان المؤمن أنَّه قد أنهى فرضًا، وأدّى ركنا من ركني الحج، وهو (عمرة التمتع) ليتحرّر من قيود الذنب وأصفاد الخطايا، مع إلقاء ثوبي الإحرام والعودة إلى ملابسه وبزته التي كان عليها، متجمّلاً لله عزّ وجل لا للفخر.

بل لا بد أن يصب التجمّل دائمًا في قناة طاعة الله عزّ وجل (**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[2].

---

(١)الأنبياء: ٦٩ - ٧٠

(٢) الأعراف: ٣٢

٦- إلى القيامة الصغرى

وبعد إنهاء الرّكن الأوَّل من الحج، وهي الفترة التي ملئت بالجدّ والنشاط والكدح إلى الله عزّ وجل، **(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ)**[١].

وبعد فترة من الهدوء بين عمرة التمتع وحج التمتع، والتي هي أشبه بالبرزخ بين دنيا مليئة بالحركة والعمل، وبين الآخرة التي ينتظرها، واليوم الذي يستعد له للمثول بين يدي الله عزّ وجل.

فهنا ينتظر الحاج المؤمن يوم الحج الأكبر، يوم الوقوف بين يدي الله تعالى، (القيامة الصغرى) فيخرج إلى عرفات في اليوم الثامن أو التاسع من ذي الحجة الحرام، ليكون على استعداد للوقوف من زوال الشمس إلى غروبها، كما لو دعي للخروج من قبره مؤتزرًا كفنه، مقلدًا عمله، ينادي: (ربّ ارحمني يوم آتيك فردًا شاخصًا إليك بصري، مقلدًا عملي، قد تبرأ جميع الخلق مني، نعم وأبي وأمي، ومن كان له كدّي وسعيي).

ففي عرفات يقطع الإنسان المؤمن عن كلّ أشغاله ومطامحه وآماله وحركته الدنيويّة، وينصرف بكل كيانه ومشاعره وتفكيره وتأمّلاته نحو الله عزّ وجل.

ليس هناك عمل إلزامي في عرفات، من صلاة أو صيام أو غيره، عدا كونه موقفًا لله عزّ وجل في تلك الأرض الجرداء، مع ماورد من الأدعية والأذكار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

إنّ على الإنسان أن يكون موجودًا فقط، وأن يذكر الله عزّ وجل في أعماق نفسه وقلبه وعقله، ويتذكّر أعماله، ويحصي ذنوبه وخطاياه وزلّاته، ويطلب من الله العفو والمغفرة والرّحمة، كما لو أحصى الله تعالى عليه أعماله يوم القيامة والنشور وأخرج له كتابًا يقرأه.

فما هي إلا دعوة للقيامة سوى أنَّ الفرق: أنَّ هذا يدعى من بيته الذي يسكن فيه، وذلك يدّعى من قبره، وأنَّ هذا يدعى ببدنه وروحه، وذاك يدعى ليجمع رفاته وتحيى عظامه، بعد أن أضحت رميمًا، **(يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ)**[٢].

---

(١) الإنشقاق : ٦

(٢)المعارج : ٤٣

كما أنّ هذا يدعى مع مجموعة من البشر في هذه الرحلة القصيرة، وذاك يدعى مع كل البشرية في تلك الرحلة الطويلة، التي هي رحلة النهاية.

ولكن في كلّ من الرحلتين يتساوى الرعاة والرعية، والأغنياء والفقراء، والشرفاء والسوقة، والمستكبرون والضعفاء، والبيض والسود، **(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا)**[١].

كما أنَّ هذا بعد رحلته ومثوله بين يدي ربه عزّ وجل، سوف يرجع إلى دنياه وعلائقها وطبيعتها، رجعة استجابة كريمة من لدن المولى الكريم عزّ ذكره، وكأنَّه يقول له: عبدي إنِّي غفرت لك ما سلف من ذنبك وتقصيرك، فارجع إلى دنيا جديدة، واعمل صالحًا فيما تركت، فإنَّك لا تعذر بعد ذلك فيما اكتسبت.

أما ذاك فإنَّه يقول: **(رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ..)**[٢] **فيقال له: (كَلاَّ إِنَهَّا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)**[٣].

فهذه هي الفروق التي تميز هذا الموقف عن ذاك، وكلاهما تحت نظر الله عزّ وجل وهيبة سلطانه.

وتعتبر ساحة عرفات موقفًا للاعتراف بالذنب والتقصير تجاه المعبود الحق تعالى، وبابًا من أبواب طلب العفو والصفح عن الذنوب.

ويعطينا دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة هذه المضامين، ويعلّمنا كيفية الاعتراف وطريقة الوصول إلى باحة الرحمة الإلهية.

٧- إلى باحة المشعر الحرام

إذ يبدأ الحاج النفور إلى المشعر الحرام عند غروب الشمس في عرفات، كما قال تعالى: **(فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ)**[٤].

وسميت المزدلفة، من الازدلاف والزلفى، وهو: القرب، فكان موقف عرفات بمثابة الباب الذي يطرقه العبد المؤمن للدخول إلى حضرة الملك الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ليكون المثول بين يديه في أعماق

(١) مريم : ٩٣ .

(٢) المؤمنون : ٩٩

(٣) المؤمنون : ١٠٠

(٤) البقرة : ١٩٨

الليل، وهنا لا بد من معرفة حقيقتين:

الأولى: أنَّ هذه الباحة تمثل موقع قرب العبد من الله عزّ وجل بعد أن كانت الذنوب والآثام قد باعدته من ربّه، إذ لا يصلح الإنسان للقرب من ربه حتى يتنقى ويتطهر مما هو فيه من الخطايا والذنوب، وقد فعل ذلك في ساحة عرفات.

الثانية: تعتبر هذه الباحة موقع استعداد وإعداد لقوة المجابهة مع عدوّ الله والإنسان إبليس، وقد تعهّد الله عزّ وجل أن لا يجعل له سلطانًا على عباده وأوليائه الذين استخلصهم لدينه، ومن اصطفاهم على من برأ من خلقه.

يقف الإنسان المؤمن في فناء المولى، وفي باحة رحمته من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس مستيقظًا، قد استجمع قواه العقلية والروحية، وأبرم عهده مع الله عزّ وجل لمحاربة النفس والشيطان والهوى وكلّ رموز الضلال والانحراف، وأخذ من هذه الباحة عدته الروحية وعتاد المجابهة وهي:

(الحصيات التي تجمع من ساحة المزدلفة) لرجم رمز الشيطان الأكبر (جمرة العقبة) في منى في أوّل جولة، هذه العملية التي تحمل معها المضمون والمدلول الذي سنوضحه.

٨- إلى رمي جمرة العقبة

لا شك أنَّ مما يغيض الشيطان ويؤلمه، وممّا يحفّز فيه المكائد لإغواء الإنسان وإغرائه، هو: أن يرى الإنسان مقبلا بفكره وروحه على ربّه عزّ وجل، حرصًا على قربه.

فمنذ أن امتنع عن السجود لآدم عليه السلام وتمرّد على أمره عزّ وجل، كان يغيضه أن يرى الإنسان عابدًا ملتزمًا بأمر الله تعالى، حيث كشف عن هذه النزعة (نزعة الأنانية) من خلال محاورته مع الله تعالى لما أنزله من علوّ جنته كما حكى عنه القرآن:

(قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ)[1].

فتحداه الله تعالى بقوله: **(قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ)**[2].

---

(١) الأعراف: ١٤ - ١٦.

(٢) الحجر: ٤١ - ٤٢.

فيا ترى، من هؤلاء العباد الذين ألمح الله تعالى إلى قوّة إرادتهم؟ ومن هؤلاء الذين سيشكلون قوّة في مقابل كلّ المكائد التي يحوكها ضدهم الشيطان؟.

الجواب: إنَّهم كلّ الذين على غرار إبراهيم الخليل وهاجر وإسماعيل ﷺ، تلك الأسرة القوية في ذات الله عزّ وجل، والتي كانت أنموذجًا صادقًا للتلاحم والتعاون فيما بين أعضائها على مباهج الحياة ومتاعبها.

تلك الأسرة كانت من النّماذج التي صدق فيها وعد الله عزّ وجل، فواجهت إبليس الذي قعد لها في موقف هو من أحرج المواقف وأعقدها، وهو الموقف الذي يعتبر هو وأمثاله محكًّا لتجربة إيمان الإنسان في الطاعة وطاعته في الإيمان.

ففي صباح اليوم العاشر، وعندما تشرق الشمس، يستعد الحاج المؤمن لخوض المعركة في منى، وهو يستذكر تلك الأسرة المؤمنة التي استجابت طائعة لأمر الله تعالى، بقتل العاطفة وسحق علائقها إيثارًا لقرار الله عزّ وجل وحبّه على حبِّ الدنيا والنفس والمال والأهل والأولاد والآباء.

في هذا اليوم تتركّز المعركة، وتنصب الحملة على ذات إبليس وتمثاله (جمرة العقبة) التي تقف عقبة في طريق الطاعة، وهي تُمنّي الإنسان وتحفّز فيه العاطفة نحو الأهل والمال والولد، حيث تجلى إبليس في هذا الموقع لإبراهيم ﷺ ليحفّز فيه العاطفة نحو ولده إسماعيل، الذي رأى في المنام أنَّه يذبحه بأمر الله تعالى.

فعزم إبراهيم ﷺ على تنفيذ الأمر، فظهر له إبليس ليصده عن تنفيذ الأمر، إيثارًا لعلاقة الأبوة والبنوة التي تحلو في عين الأب كلّما تقادم الزمن ورأى ولده وفلذة كبده يترعرع ويشب، ولاسيما وأنَّ المجتمعات تتفاخر بالأموال والأولاد، وتعتبرهم في الأسرة مصدر قوتها وعنوان نفوذها وهيبتها.

لكنَّ إبراهيم ﷺ قذف إبليس بسبع حصيات، ليؤكِّد للأمة: أنَّ الأبوّة والبنوّة، لا بدَّ أن تذوب في أمر الله عزّ وجل، مهما كان الولد قريبًا من الأب وملتحمًا بمصيره، بل لينقل الذهن إلى التفكير بما هو أولى وأهم وأبعد من ذلك، فيما إذا شكّل الولد موقع عداء لله وللرسالة، أو خرق ضابطًا من ضوابط وحرمات هذا الدين، أن لا تتغلَّب العاطفة على قيم الرسالة وأهدافها ومصالحها، فيمضي الآباء في ركب العداء لله والحق تبعًا لما تمليه العاطفة في حركتها المعاكسة.

وقد يكون من هذا المنطلق – وهو إيثار إرادة الله عزّ وجل على العاطفة – قد فوض بعض الفقهاء للأب إقامة الحد والتعزير على الولد أوالزوجة عند اقتراف الجريمة الموجبة للحدّ في حال غيبة الإمام المعصوم أو نائبه

الخاص.

(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[1].

ولإبليس وقفة أخرى، وفي موقع آخر مع الأم هاجر، بعد أن عجز عن زعزعة موقف إبراهيم ﷺ جاء إلى هاجر ليحفز فيها عاطفة الأمومة نحو ولدها الذي بات ينتظر التضحية، ولكنّ صلابة الإيمان وعمق الثقة بقرار الله تعالى، وبموقف النبوة، دعاها إلى التسليم والرضا بإجراء السلطة التنفيذية، فتحدّت بوعيها وإيمانها هذا تثبيط الشيطان وتسويله.

وقد فعلت كما فعل إبراهيم ﷺ، وقذفت إبليس بسبع حصيات أخرى لصرفه، لتؤكِّد خيبة ما يريد لها من الزلة عن أمر ربِّها، ولتسجّل هاجر الأم موقفًا صادقًا مع خالقها ورسالتها فيما تقضي وتقرر، وتكون المحتذى للنساء اللواتي يقدّمن قرابين الفداء من أفلاذ أكبادهنَّ في سبيل الله والرسالة.

فمن أراد أن يتفحص التأريخ ومسيرته الرّسالية، ومن أراد أن يتابع المواقف النضالية لأمّهات وزوجات وأخوات وبنات الركب الجهادي، فليقرأ تأريخ الإسلام وما فيه من مواقف الإيثار والصبر والوفاء للرسالة، فسيجد أمثلة رائعة للبطولة والفداء في حياة المرأة المسلمة.

ثم تعال إلى آخر المواقع التي يقفها إبليس، وهو موقفه مع إسماعيل الإبن، الذي يتطلّع أمثاله من الفتية إلى حنان الأبوين في تلك المرحلة من العمر.

فيقف إبليس ليثير في نفسه الغيرة والتَّساؤل، لماذا هو فقط الذي يراد به ذلك دون أخيه؟ ولماذا في هذه المرحلة من عمره؟ هذه المرحلة التي يتطلّع فيها الصبي للحياة الهادئة الوادعة، ولكن عمق البصيرة وصدق الوعد مع الله عزّ وجل، دعاه إلى إيثار التضحية والفداء على كافة النوازع والمغريات، **(قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)**[2].

وفي هذا الموقع قذف على إبليس سبع حصيات كما فعل أبواه إيثارًا لأمر المعبود الحبيب عز ذكره، فكان

(١) المجادلة : ٢٢

(٢) الصافات : ١٠٢

المحتذى الصالح في إيمانه وتسليمه، وكان قدوة شبابية حسنة لرعيل من الأبناء والشباب الغيارى على دينهم ورسالتهم في الحياة.

ولما عزم إسماعيل على التسليم والطاعة لأمر الله بذبحه، شاءت إرادة الله تعالى أن تكشف للأمة قوة هذه الإرادة وثبات الموقف، ويستبدل قضاءه في إسماعيل **(فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)**[١].

ومن هنا يستذكر الإنسان المؤمن الحاج خلال مروره بهذه المواقع الثلاثة للجمرات، أنَّ الشيطان يقعد له كل مقعد ويترصد فيه نقطة الضعف، ويستغل كلّ حالة حرجة، لينزغ بينه وبين دينه، وبينه وبين أخيه الإنسان **(وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا)**[٢].

وخلال رجمه لهذه الأشباح، يؤكِّد الإنسان المؤمن بلسان الحال، وبالعمل الذي يزاوله، أنَّه يرمي هذه المواقع لأنَّها تحكي مكائد وحبائل إبليس.

وكأنه يقول له: أيُّها العدو، إنِّي أرجم أثرك وتأريخك ومكرك وكل رمز يدل عليك، وأرفض مكائدك وتسويلك، ولو تجليت لي في واقع الرؤية والمشاهدة لرجمتك بما أوتيت من قوّة، إلا أنَّك تخفيت واسترت وسريت في ابن آدم مسرى الدم في العروق، فلأرجمنَّك بقوّة الإيمان وثبات الموقف والوعي والبصيرة، وإلا فما قيمة هذه الحصيات التي لا تقتل حتى الحشرة الصغيرة التي تدب على وجه الأرض، لولا أنَّ قوّتها تتمثَّل في هذا المدلول أو غيره من المضامين العميقة في واقع الروح المؤمنة؟.

ما للحصيّات وإبليس؟

لذا فإنَّ هناك سؤالاً قد يخطر على الذهن: في هذه الوقفة الحساسة التي امتحن الله بها خليله إبراهيم عليه السلام وأهله، ووضعهم بين تيار العاطفة وبين الأمر الإلهي الذي توجّه إليهم.

إذ يحاول إبليس أن يصدّ هذه الأسرة ويثبّط فيها إرادة الامتثال لأمر الله عزّ وجل، فيبادر كل فرد من هذه الأسرة المؤمنة لحذفه بسبع حصيات صغيرة لصرفه عنه.

---

(١) الصافات: ١٠٣- ١٠٧

(٢) الإسراء: ٥٣

فالسؤال الذي يفرض نفسه على الموقف: ماذا تُشكِّل هذه الحصيات من قوّة حتى أرعبت إبليس وهزمته؟! فيكون الجواب :

أوَّلاً: إنَّ هذه الحصيات، وكيفية الرّمي بها، هي وسيلة تعبير عن قوّة الرّفض الكامنة في داخل الذات المؤمنة، فكما إنَّ الأذكار والكلمات التي يردّدها الإنسان المؤمن في صلاته، مثل كلمة (لا إله إلا الله) تحمل بعدًا ضخمًا من قوة الرفض لكلّ ما عدا الله تعالى من معبودات ومظاهر ومغريات قد تفرض نفسها على واقع الفطرة الإنسانية.

فإنَّ الأعمال والتطبيقات تحمل ذلك المضمون، كما هو في عملية الرجم التي تعبّر عن رفض المكائد والطروحات التي يتبنّاها إبليس وجنوده في طريق العبد المؤمن، وهذه العملية وغيرها من الرموز كافية للتعبير عن هذه الإرادة .

ثانيًا: لو كان الهدف من الرمي هو الانتقام النهائي من إبليس لاحتجنا إلى سلاحٍ فتاك، ولكن ليس الهدف من الرجم هو أن يقتل إبليس وتزهق روحه، لأنَّنا غير قادرين على ذلك، إذ قد شاءت قدرة الله تعالى وحكمته أن ينظر إبليس حيًّا إلى يوم الوقت المعلوم.

إلا إنَّ الهدف هو صرف كيده الذي لا يحتاج إلا إلى ومضة إيمانية تؤجج إرادة الإنسان المؤمن، وترسّخ كلمة الحق في قلبه، وترفع صوت ضميره الرادع، لذا يتم التعبير عن هذه الومضة الإيمانية بهذه العملية الرمزية للرجم، في مقابل كيد الشيطان، وقد قال الله تعالى: **(إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)**[1].

ألا ترى أنَّ القوى الكبرى، في كثير من الأحيان لا ترهبها الأسلحة التدميرية المتطورة كما ترهبها إرادة الشعوب، التي تعبّر عنها بصيغة أو بأخرى من صيغ التعبير.

فإنَّ للتعبير الرمزي دورًا كبيرًا في الوقوف أمام تلك القوى، لأنَّها تعبّر عن الإرادة والقوة الذاتية الداخلية.

٩- إلى عملية الذبح

حيث ينتقل الحاج المؤمن على أرض منى من عملية الرجم إلى عملية الفداء، تأسِّيًا بإبراهيم عليه السلام الذي وفى، حيث سحب ولده ليقدمه فداءً وقربانًا لربِّه عزّ وجل، استجابة لأمره تعالى كما عرفنا، ولكن الله عزّ وجل

---

(١) النساء : ٧٥

أرسل أمينه جبرئيل، ليمسك على يد إبراهيم ﷺ الذي سمت روحه وخلصت نيته، وكسب المعركة بروح الصبر والتحدي لمكائد إبليس.

هذا الموقف الذي يؤكِّد للأمة: أنَّ في عملية الذبح هذه ذبحًا لنزعة الدنيا وشهواتها ومغرياتها، وفوزًا للقيم العليا في هذه الحياة، التي تتصارع على ساحتها نوازع الخير والشر، القيم والمبادئ العليا مع تيّار الشهوة والمغريات.

هذا الموقف الذي تجاوز فيه إبراهيم ﷺ عملية الاختبار الدقيقة بنجاحٍ فائق، وإرادة منقطعة النظير، هذا الموقف الذي قد لا يتجاوز ساعة من الزمن، فقد أصبح جزاؤه أن يكون شعارًا تلتزمه الأجيال، وتفخر به الأمة على مرّ العصور، وكلّها تقدّم الهدي فداء كفداء الله عزّ وجل لإسماعيل ﷺ.

ولعل هذا هو السر في عظمة الفداء، إذ أبدله الله عزّ وجل بذبحٍ عظيم، وهو الكبش الذي اقتاده جبرائيل ﷺ ليقدِّمه فداء مكان إسماعيل ﷺ، والذي جرى على منواله الفداء لكلّ حاج على أرض منى.

فمن ناحية، تعود عظمة الفداء الذي قدَّمه جبرائيل إلى إبراهيم، إلى أنَّ مصدر الفداء هو الله عزّ وجل، والوسيط جبرائيل ﷺ والمستلم إبراهيم ﷺ، والمفدّى إسماعيل ﷺ، فلهذه الخصوصيات أضفيت عليه صفة العظمة.

ومن ناحية أخرى: تعود العظمة إلى الإخلاص في النيّة والطاعة، ونقاء السريرة، ومنطق الرّضا بحكم الله تعالى، وهو ما يتجلّى على لسان إبراهيم الخليل ﷺ **(إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)**[1]. **(قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)**[2].

هذه الكلمات التي لقّن بها إبراهيم ﷺ ذرّيّته، ومن على ملّته من المسلمين على مرّ التأريخ، هي كلمات الإخلاص ذات المضمون العظيم الذي يعتبر مقياسًا لقبول الأعمال وقربويّتها إلى الله تعالى.

فمن قربان هابيل وقابيل ابني آدم **(إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)**[3]، إلى قربان إبراهيم ﷺ الذي قبله الله تعالى بهذا المضمون وبهذه الرّوح والفدائيّة الصّادقة،

(١)الأنعام : ٧٩.

(٢)الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣.

(٣) المائدة : ٢٧.

ليكون المحتذى لقرابين الأمّة وتضحياتها على امتداد تأريخها **(لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ)**[1].

فكأنَّ التقوى هي السّلاح الذي تذبح به النفس الأمّارة بالسّوء، وتقتل به كلّ النزوات والنزعات ومواقع الإغراء، ودوافع السّوء والشّر، وليتهيّأ العبد المؤمن إلى خوض فصل آخر من فصول المعركة مع تلك المواقع والرّموز.

١٠- إلى حكمة الحلق

فاليوم يلقي الحاج بشعر رأسه كله على أرض منى، لينفض من على بدنه ونفسه غبار العناء، كما فعل في التقصير على المروة في إحلاله من إحرام عمرة التمتع، ولكنه هنا يلقي بشعره كله، لينفض معه ما علق في قلبه ونفسه من وساوس الشيطان ونزغه.

وبما أنَّ الرأس في الإنسان هو أشرف عضو من أعضائه، فلا يطأطؤه إلا لأمر الله عزّ وجل، ولأنَّه مركز حياته، ومركز وعيه وعقله وتفكيره، فهو المحطَّة المهمّة الأولى للغزو من قبل إبليس وجنوده، بسموم البدع والأفكار المنحرفة عن جوهر عقيدته وثقافته وأخلاقه.

فعليه أن يستحضر بهذه العملية، أنَّه عندما يلغي هذا المظهر المكثف الذي اعتاد عليه من الشعر، لا بد وأن يلغي معه كل فكرة وكل شبهة تعكر صفاء عقيدته.

بل يلغي كلّ موطن أو مخبأ يترصّد له الشيطان من خلاله، ولا يدع له ولو شعرة واحدة يتسلق بها أو يسري من خلالها إلى واقع الفكر والنفس.

١١- إلى المبيت في منى

بعد انتهاء مناسك نهار العاشر من ذي الحجة، يتبع الحاج نهاره هذا بليلة الحادية عشرة، ليتهيأ لخوض فصل جديد من فصول المعركة مع تلك الرموز الثلاثة، التي تشير إلى المواقع التي ترصد بها الشيطان لتلك الأسرة المؤمنة.

ففي اليوم الحادي عشر من شروق الشمس إلى غروبها، بغض النظر عما إذا أدَّى طواف الحج وصلاته،

---

(١) الحج: ٣٧.

والسعي بين الصفا والمروة، وطواف النساء وصلاته، أم أخّر أداء هذه الأعمال، فإنَّه لا يسمح له أن يبيت خارج هذه الحدود في منى، إلا المسجد الحرام بشرط الاشتغال بالعبادة.

فهنا يخيّر الله عزّ وجل عبده المؤمن بين هذين الأمرين رحمة وكرمًا منه تعالى على عبده، فمن اختار منى فلينَم ويخلد إلى الراحة والهدوء، بعد عناء النهار وأوصاب المعركة، وجعل نومه عبادة يجزى عليها كما يجزى القائم في المسجد الحرام، لأنَّه في ساحة المعركة اليقظة بأنفاسه وإحساسه.

ومن اختار مكة فليقم على العبادة لا يفتر ولا ينام، لكي لا يتلاشى إحساسه ويتبلد بين المشاهد هنا وهناك، وليجزى ما يجزى النائم في منى، فما أروع هذا التخيير وما أرعاه لحق العبد وحق ربّه عزّ وجل.

وهو ممّا يؤكِّد أنَّ الشريعة الإسلاميّة في كافة بنودها وخطوطها التشريعية، تصبّ في هذا الاتجاه، رعاية حق الله عزّ وجل وحق العبد، شريطة أن يبقى الإحساس بالله تعالى حيًّا في نفس العبد المؤمن حتى في مجال ممارسة حقه، في أيّ مجال من مجالات الحياة.

ويتبع ذلك بالمبيت ليلة الثانية عشرة في منى، وبالتخيير السابق نفسه، ليتهيّأ لخوض فصل جديد من فصول المنازلة مع المواقع والشواخص التي ترمز إلى الشيطان، ليؤكِّد الحاج المؤمن، أنَّ له ضد إبليس كرّة إثر كرّة، ويقظة إثر يقظة.

نعم، إنَّه وإن أردى الشيطان في اليوم الأول، فلا يحسبنَّ أنّ هذا هو الانتصار الأخير، ولا يحسبنّ أنه أصبح في أمان ووقاية من مكائد الشيطان، ولا ينبغي أن يعتبر نفسه بطلاً من أبطال المعركة ضد الشيطان، أو أنَّه قد أوصد في وجه الشيطان كلّ ثغرة، كما لا ينبغي أن يظن أنَّ للشيطان قوة واحدة، وطريقًا واحدًا، وقد قضى عليه.

بل لا بد أن يكون على حذر دائم، إذ قد يردي الإنسان عدوّه في أول جولة من الصراع، فيتظاهر العدوّ إما بالموت، أو بالهزيمة، ولكن ليعيد تنظيمه بفتح جبهة جديدة من المواجهة، ولا شك أنَّ الشيطان يملك القدرة على المناورة والخدعة مع ابن آدم، فقد ينهزم فتصل ثقة الإنسان بعمله وطاعاته حدًا كبيرًا، ويتصوّر أن لا سبيل للشيطان عليه.

ولكن من الممكن أن يأتي الشيطان بزيٍّ آخر، أو بهويّة أخرى، فبدلاً من أن يأتي الإنسان في حانة الخمرة، أو أيّ موضع من مواضع المعصية كما كان، فإنَّه سيأتيه في موضع الطاعة، ويدخل معه المسجد، أو يدخل معه في صفوف الصّلاة ليزرع في نفسه عنصر العجب والرّياء، لذا فقد يدخل صدّيق وزنديق المسجد في آنٍ واحد فيخرج

الصدّيق زنديقًا والزنديق صدّيقًا.

كما روي في هذا الصدد، أنَّ عيسى ﷺ مرَّ على عابد متنسّك في صومعة، فبينما هو يحادثه، إذ مرّ شاب معروف بفسقه وانحرافه، فلما وقع بصره على عيسى ﷺ، وقف خجلا، وتسمرت قدماه عن السير، وأخذ يرتجف، وقال في نفسه : ويل نفسي على ما فعلت لو رآني روح الله على ما أنا عليه، فوقع نظر العابد على الشاب، فقال : اللهم لا تحشرني مع هذا الفاسق.

فأوحى الله تعالى إلى عيسى ﷺ : قل لهذا العابد: لقد استجاب الله دعاءك فلم يحشرك معه، لأنَّه أصبح من أهل الجنة لندمه على فعله، وأصبحت من أهل النار لعجبك بعبادتك) مختصرة عن كتاب تزكية النفس.

١٢- عودة إلى البيت الحرام

وإن كان من المفترض أن تكون هذه العودة إلى البيت الحرام لطواف الحج وصلاته، والسعي بين الصفا والمروة، بعد الانتهاء من أعمال منى في اليوم الأول يوم العيد)، ولا ينبغي تأخيرها عن اليوم الحادي عشر، إلا أنه عمومًا لا بدّ من العودة بعد أن أدّى دور المواجهة المسلحة ضدّ عدوّه اللدود.

ومضمون هذه العودة هو : أن يتحرّك المؤمن من جديد في طواف حج التمتع، في مدار طاعة الله عزّ وجل، وفي نطاق الحدود التي رسمها الله لحركته، وصلاته عند المقام أو خلفه، ويلحقه السعي بين الصفا والمروة، إلى طواف النساء وصلاته بنفس الكيفية، وهو نقطة النهاية من أعمال الحج ومناسكه التطبيقية.

في هذه الجولة الجديدة في بيت الله الحرام، يستجمع الحاج المؤمن طاقات روحية ليختزنها عدة دائمة لجولات قادمة من الصراع والمجابهة.

لأنّ للشيطان أوجهاً عديدة، وللإنسان معه مواجهات جديدة، وله باق حتى مع هزيمته في مواجهاته الواقعة.

وبعد هذا كله، فهل يا ترى للحج بداية ونهاية في جلال المعنى وسموّ المضمون التربوي؟ كلا، فإنّ البداية والنهاية إنَّما هي للمناسك والأعمال التطبيقية، التي قد لا يفكر الإنسان بعملية الاستنتاج منها في حينها.

أما المضمون والاستفادة من هذا المضمون، فإنَّه يبدأ عند فراغ الإنسان من أعمال هذه الفريضة، وبعد أن يصبح كيوم ولدته أمه.

كما جاء في الحديث : (من لم يكن فيه ثلاث لم يجد طعم الإيمان - أو لم يتم له عمل - ورع يحجزه عن معاصي الله، وخلق يداري به الناس، وحلم يرد به جهل الجاهل)[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام : (لا يعبأ بمن يؤم البيت الحرام، إذا لم يكن فيه ثلاث خصال، خلق يداري به من صحبه، وحلم يملك به غضبه، وورع يحجزه عن معصية الله)[٢].

وقال عليه السلام : (الحجّاج يصدرون على ثلاثة أصناف، صنف يعتق من النار، وصنف يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه، وصنف يحفظ في أهله وماله، فذلك أدنى ما يرجع له الحاج)[٣].

---

(١) الوسائل : ١٥ / ٢٤٦

(٢)عوالي اللئالي : ٤ / ٣٢

(٣) الكافي : ٤ / ٢٨٥

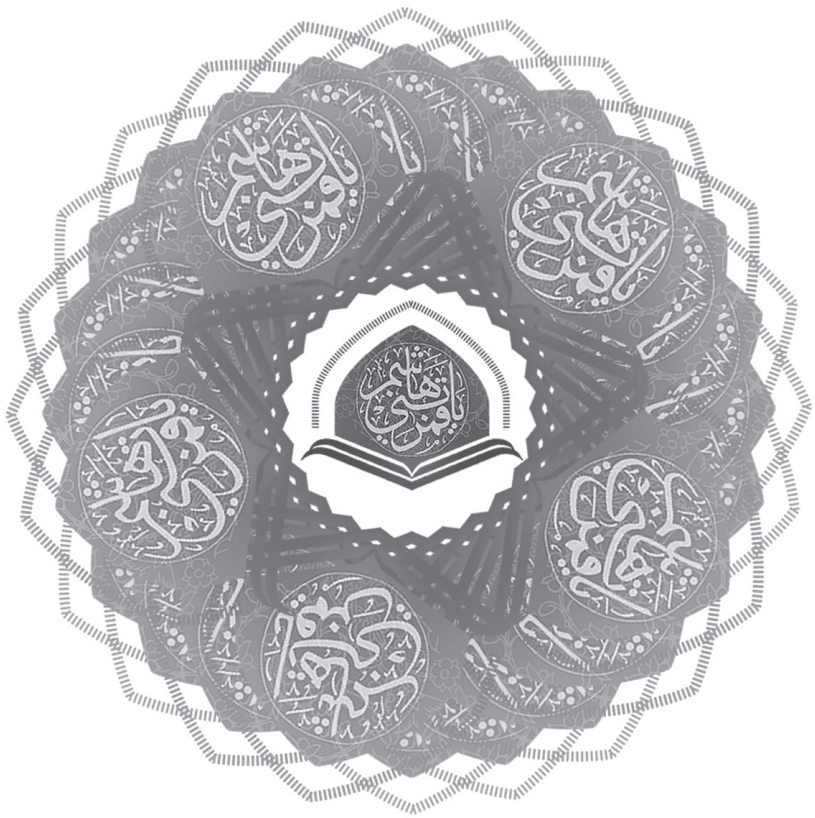

الشعار وتأثيره

محمد يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطَّيبين الطَّاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين الى قيام يوم الدين.

هناك صراع ثقافات في عالم اليوم، والصراع قائم على أشدِّه بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، ومن معالم الثقافات المهمة الشعارات، وكيف يمكن أن يتحوّل هذا المعلم الى نقطة مضادة لو استفيد منها بشكلٍ مضاد.

حينما يولد الإنسان لا يحمل أية فكرة: (**وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)[1]، لكن الله -سبحانه وتعالى- جعل في الإنسان أدوات للعلم السمع والأبصار والأفئدة، فالإنسان عبر السمع والبصر ينقل المعلومات إلى فؤاده الى عقله ودماغه، وتتكوّن لديه بالتدريج الصور والأفكار.

فالطفل يتأثَّر بالمحيط الذي يعيش فيه، وحال الطفل كالمسجلة يسجّل جميع ما يسمع، ويرى ثمَّ يحاول أن يُنفّذ ما سمعه وما رآه فتتشكل اللبنات الأولى لفكر الإنسان في مرحلة الأسرة ثم المدرسة والقبيلة والمجتمع، وهذا الجو الذي يعيش فيه، وهذه اللبنات تبقى معه عادة الى نهاية حياته فتنمو هذه الأفكار تدريجيًا مع نمو الطفل.

---

(١)سورة النحل/ الآية: ٧٨.

وحينما ينمو جسديًا كذلك تنمو أفكاره، وهذه الأفكار تشكّل مخزونًا أساسيًا نعبِّر عنها بالبنى التحتية للتفكير.

إنَّ نمط حياة الإنسان وممارساته العملية تؤثر تأثيراً عظيماً على سلوكه وأفعاله، ولذا يقولون من شبَّ على شيء شاب عليه، أي أنَّ الإنسان في صباه، وفي صغره شب على شيء قد يكون فكرة وقد يكون ممارسة عملية شاب عليها، ولذا من الصعب جدًّا على الإنسان أن يغير نمط تفكيره في كبره، لذلك نجد تركيزًا على الصغار في الروايات والأحاديث الشريفة الواصلة إلينا من رسول الله ﷺ ومن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

هناك حثٌّ شديد على تربية الطفل تربية سليمة وصحيحة وجعل فكره ومخزونه الفكري سليمًا، ولذا ورد في التعاليم الدينية أنَّه يستحب للمرأة الحامل أن تقرأ القرآن الكريم، والأدعية الشريف؛ لأنَّ هذه الأدعية تؤثّر في هذا الطفل وبمجرد أن يولد يستحب قراءة الأذان في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى، فمنذ اللحظة الأولى لوجود، وقبل تكوينه، وبعد تكوينه، وفي مراحل تكوينه، هناك التفات وحثّ؛ لكي يتلقّى الأفكار السليمة والصحيحة.

هذه الأفكار تكون متشعّبة ومتجذّرة لكن ممكن أن تكون عبارة واحدة تختزن كلّ تلك الفكرة وتختزن كل تشعّبات تلك الفكرة، ولذا نشاهد أنَّ الإسلام في تربيته للمجتمع ركَّز على هذه الشعارات وعلى هذه العبارات، وقبل ذلك ركَّز على أن تكون هذه العبارات تعكس الأفكار السامية السليمة، وإليك بعض النماذج من الشعارات الإسلامية:

الأذان: وهذا النموذج الأول ونحن كل يوم نسمع الأذان مرات متعددة عندما يحين الوقت في المساجد المختلفة، وفي وسائل الاتصالات من تلفزيون وإذاعة، فما هو الأذان؟

إعلام بدخول وقت الصلاة، فالنصارى مثلاً لهم إعلام لكن هذا الإعلام متمثل بالناقوس -جرس كبير يدق- لكن الإسلام جعل هذا الإعلام عبارات وشعارات تتضمن الإسلام كله بحيث أنَّ الإنسان كلَّما يسمع هذه العبارات وذلك المخزون يتركَّز فيه أكثر ويظهر، فالأذان يتضمن على التوحيد، والنبوة، والولاية، ويتضمن على المعاد، حي على الفلاح ما يفلحك ما هو سبب فلاحك الدنيوي والأخروي، وحي على خير العمل أفضل الأعمال التذكير بالله -سبحانه وتعالى- تذكير برسوله تذكير بأوليائه، التذكير بالعبادات، التذكير بالصلاح، التذكير بالفلاح، التذكير بالخير، وقبلها تذكير بالتوحيد وبالله -سبحانه وتعالى- وببعض صفاته عز وجل.

هذا الأذان شعار يختزن الإسلام كله، أشهد أنَّ محمّدًا رسول الله ﷺ يتركز في ذهن كل من يسمع هذا

الأمر من المسلمين النبوة، وغير المسلم إذا كل يوم يستمع الى ذلك يؤثِّر فيه يؤثّر في قرارة نفسه يؤثر في نمط تفكيره بالتدريج، وكثيراً ممن أسلموا إنَّما كان إسلامهم نتيجة لأمثال هذه الأمور.

الأذان ، هذا النداء المرتفع من أرجاء العالم الإسلامي مرّات في كلّ يوم ، هو لدى التحليل إعلان بالإسلام، ودعوة إلى الصلاة... وهو لذلك يشكِّل مادّة إعلاميّة تهدف إلى طبع المجتمع بطابع إسلامي.

والإعلام في الإسلام جانب محفوف بالعناية والإتقان، شأن صنعة الله الذي أتقن هذا الدين وأتقن كلّ شيءٍ، وإذا التفتنا إلى أنَّ الإعلام هو : عمليّة تكوين الأفكار والمشاعر في الآخرين ، نعرف كم أنّ تشريعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتجمّع السنوي لأداء الحجّ، وتلاوة القرآن، وإقامة المباني العامّة ـ المساجد ـ والأذان للصلاة، والتجمّع للصلاة... كم هي عمليّات إعلاميّة بليغة ومتقنة.

لقد خطى الإعلام في عصرنا الحديث خطوات واسعة ، ولكنَّه لم يبلغ مستوى الإعلام الإسلامي في القدرة على التأثير.هذا مثال، ومثال آخر الصلاة، فالإنسان عندما يصلي نحن نأخذ من الصلاة مقدار شاهدنا وهو الشعار الذي يختزن الفكر والثقافة التي تشكل البنية التحتية لكل إنسان.

الصلاة مثلًا فيها سورة الحمد ففي كلّ صلاة يجب عليه أن يقرأ الحمد مرتين على أقل تقدير في الركعة الأولى، وفي الركعة الثانية، ويجوز له في الركعة الثالثة والرابعة أن يقرأ التسبيحات الأربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، و يجوز له أن يقرا سورة الحمد وعلى رأي بعض الفقهاء يجب في الركعة الثالثة والرابعة لكن مشهور الفقهاء التخيير في الركعة الثالثة والرابعة، إنَّ هذ التأكيد على سورة الحمد تتضمّن الإسلام كله؛ لأنَّ فيها التوحيد، وفيها المعاد، وفيها الدين وفيها أولياء الله الصالحين، وفيها التحذير من أعداء الله وأعداء رسوله غير المغضوب عليهم الذين غضب الله عليهم، ولا الضآلّين الذين ضلوا الطريق، فهذه السورة حينما يقرأها المسلم في كل يوم مرات متعددة؛ لأنَّها تختزن مفاهيم الإسلام كله.

وهناك أمور أخرى أيضًا لكن اقتطعنا منه الشاهد في كلامنا وإلا الصلاة تتضمن النظافة وتتضمن الاتجاه الى القبلة، والحث على الطهارة، والغسل، والوضوء وما الى ذلك.

أسماء الأبناء

وإنَّ من حقوق الأبناء على آبائهم أن يحسنوا أسماءهم، وهناك أحاديث عن أهل البيت عليهم السلام تُبيّن حقوق الأبناء على آباءهم؛ لأنَّ هناك حقوقًا متبادلة بين الأب والابن، ومن حقوق الأبناء على آبائهم أن يحسن اسمه، أي

يجعل له اسما حسنًا؛ لأنَّ الاسم الحسن يختزن في داخله الكثير من المبادئ السامية، وإذا كان الاسم عظيمًا فيؤدي اقتداء صاحب الاسم بذلك العظيم، أمّا إذا كان الاسم سيئًا فهذا يؤثِّر سلبًا على صاحب الاسم بحيث أنَّه قد يشكِّل له حالة من الانطوائية والانزواء والتّنفر من الذات .

عندنا في روايات أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: " من ولد له أربعة أولاد ولم يسمّ أحدهم باسمي فقد جفاني"[١] .

و عن سليمان الجعفري قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: " لا يدخل الفقر بيتًا فيه اسم محمد أو أحمد أو علي أو الحسن أو الحسين أو طالب أو عبد الله أو فاطمة من النساء"[٢].

وقال الرضا عليه السلام: " لا يولد لنا مولود إلا سمّيناه محمدًا فإذا مضى سبعة أيّام فإن شئنا غيّرنا و إلا تركنا"[٣].

ولذا نشاهد في عالم اليوم أنَّ أكثر الأسماء انتشارًا هو اسم محمد صلى الله عليه وآله إكرامًا لرسول الله، يسمون أبناءهم باسمه، فهذا الاسم يختزن معاني عظيمة . فلذا نجد أنَّ الإسلام يهتمّ اهتماماً بالغاً بالشعارات التي تختزن الفكر، فالطفل من اليوم الأول تتكون له بالتدريج لبنات فكرية وهذه اللبنات الفكرية تقولب تتضمن قوالب لفظية إذا جاز التعبير، وتُستعمل هذه الألفاظ للدلالة على مخزون كبير من المعاني .

إنَّ الإسلام يركِّز على هذه الأفكار، ويركِّز على الشعارات الصحيحة، والنهي عن الشعارات غير الصحيحة، وفي المقابل نجد أنَّ الطرف الآخر الذي يعارض الإسلام، ويحاول أن يجهّز ألفاظًا او يقولب الألفاظ بشكلٍ جاهز، وهذه الألفاظ الجاهزة تختزن ثقافة أخرى ضد الثقافة الإسلامية.

الحجاب والستر من الواجبات على النساء، وهذا من الضروريات في الإسلام، ودل عليها القرآن الكريم بوجوب الستر على النساء إلَّا من المحارم، وهناك ثقافة لا تؤمن بالحجاب بل تعارضه؛ لأنَّ هذه الثقافة تؤيّد الإباحية، وتؤيّد الفساد، وتؤيد انحلال العلاقات الزوجية والأسرية، ولأنَّ الحجاب يقف بمعنى الستر سدًّا أمام تلك الثقافة فيعارض هذا الأمر، ونشاهد في عالم اليوم كيف يعارضون الحجاب.

وترجع فلسفة الحجاب الإسلاميّ إلى عدّة عوامل، بعضها ذو جانب نفسيّ، والآخر ذو جانب أُسريّ،

(١) عدة الداعي/ ص٥٠.

(٢) المصدر نفسه/ ص٥٠.

(٣) المصدر نفسه/ ص٥٠.

وبعضها ذو بُعدٍ اجتماعيّ، وآخر يرتبط برفع مستوى المرأة واحترامها، والحيلولة دون ابتذالها. وتنبثق كلُّ هذه العوامل من قاعدة أعمّ وأشمل وهي أنَّ الإسلام يُريد حصر ألوان المتعة الجنسيّة سواء كانت بصريّة أو سمعيّة أو لمسيّة في محيط الأُسرة والزواج القانونيّ، ويبقى المحيط الاجتماعيّ العامّ ميداناً للعمل والإنتاج. خلافاً لنظام الغرب في عالمنا المعاصر، حيث يخلط العمل والإنتاج باللّذّة الجنسيّة. فالإسلام يُريد فصل هذين المُحيطَين أحدهما عن الآخر بشكلٍ كامل.

ولكن كشاهد الآن ترى امرأة مسلمة سافرة تقول لها لماذا أنتِ سافرة؟ الجواب يأتيك عبارة معلبة مقولبة بأنَّه المهم أنَّ قلبك يكون نظيفًا، سواء لابسة للحجاب او غير لابسة، ساترة نفسها او لا، والمهم أن يكون القلب نظيفاً.

فهل المرأة المحجبة قلبها أسود او ترتكب المعاصي الخفية أفضل أو المرأة الشريفة السافرة التي قلبها أبيض مثلا؟

هذه العبارات تراها بهذه القوالب اللفظية وبشكلٍ جميل تُعرض عليك، ولكنها مغلوطة؛ لأجل تسويق ثقافة معارضة للثقافة الإسلامية، ولأجل تسويق ثقافة تتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي، وإلا لو هذا المنطق كان صحيحاً، فإنَّ واحدًا يمشي بسيّارته يخالف قانون السير وإذا شرطي المرور قال له لماذا خالفت قانون السير يقول المهم أنَّ قلبي أبيض وغير مهم أنا بأيّ سرعة أمشي، وليس المهم أن أتوقف عندما تكون الإشارة حمراء، وليس المهم أن أراعي القانون..، فأي ثقافة هذه؟!!

هذه مغالطة واضحة جدًّا لا يقبل بها أي أحد، فنلاحظ أن هذه العبارة تختزن ثقافة وفكرة تتعارض مع الفكر والثقافة الإسلامية، فبناءً على ذلك نحن في عالم اليوم من أدوات التعارض والمعارضة مع الثقافة الإسلامية إيجاد قوالب لفظية جميلة في الظاهر تأخذ بالألباب والأسماع لجمالها الظاهري ولأدبها مثلاً لكنها تختزن ثقافة معادية تمامًا للثقافة الإسلامية.

مثال آخر، عندما يريدون الانتقاص أو معارضة بعض الشعائر الإسلامية الدينية يقولون عجبًا الناس وصلوا الى القمر وأنتَ لاتزال تضع جبهتك على الترابو تمشي في الموكب الحسيني ... .

فالظاهر عبارة جميلة لكنها تختزن ضرب الشعائر الإسلامية الدينية وضرب الصلاة، والصوم، والحج وضرب الشعائر الحسينية، وما الى ذلك مع أنَّه لا يوجد أي ارتباط، فالناس إذا وصلوا الى القمر ليس لأجل

أنَّهم تركوا المسير في الشوارع لقضاياهم، ليس لأجل أنَّهم تركو الذهاب الى أماكن عباداتهم، ليس لأجل التزموا بثقافتهم الدينية أو القومية أو الإقليمية، والناس إذا وصلوا القمر بسبب أنَّهم طوّروا جامعاتهم وطوّروا علومهم واهتمّوا بعلمائهم، وهناك إمكانيات موجودة تخصّص للعلم والعلماء اكتشفوا بعض القوانين الموجودة في الكون وتمكّنوا من تطبيق أنفسهم على تلك القوانين، ووصلوا الى القمر ليس لأجل ترك ممارساتهم وإلّا تجد الكثير من علمائهم في مجال العلوم الطبيعية في ممارساته اليومية قد يرتكب بعض الأمور القبيحة؛ لأنَّه ليس له رب، وهذا عمله الشخصي في ناديه او في بيته، واختراعه مربوط بجانبه العلمي التجريبي شيء غير مرتبط بشيء آخر.

هذه العبارات المعلبة المقولبة تأتي لأجل ضرب بعض البنى الفكرية في الثقافة الإسلامية، ولأجل تركيز بعض البنى الفكرية للثقافات المعادية للثقافة الإسلامية.

من أدوات نشر ثقافة أو ضرب ثقافة هو استعمال الشعارات او حسب تعبيرنا العبارات والألفاظ المعلبة المقولبة التي ظاهرها جميل وتخدع الناس وتأخذ بالألباب ولكن في الوقت نفسه تتضمّن أفكاراً سيئة وثقافة سيئة وحضارة سيئة، لذلك نحن علينا أن لا ننخدع بالشعارات البرّاقة، وأن ننظر أنَّ هذا الشعار يعكس ماذا، ثمَّ علينا أن نهتمّ بشعاراتنا الإسلامية وبشعاراتنا الدّينية، ولا نهتم لمن يقول ما فائدة هذه الألفاظ او هذه الشعارات الإسلامية او الدينية.

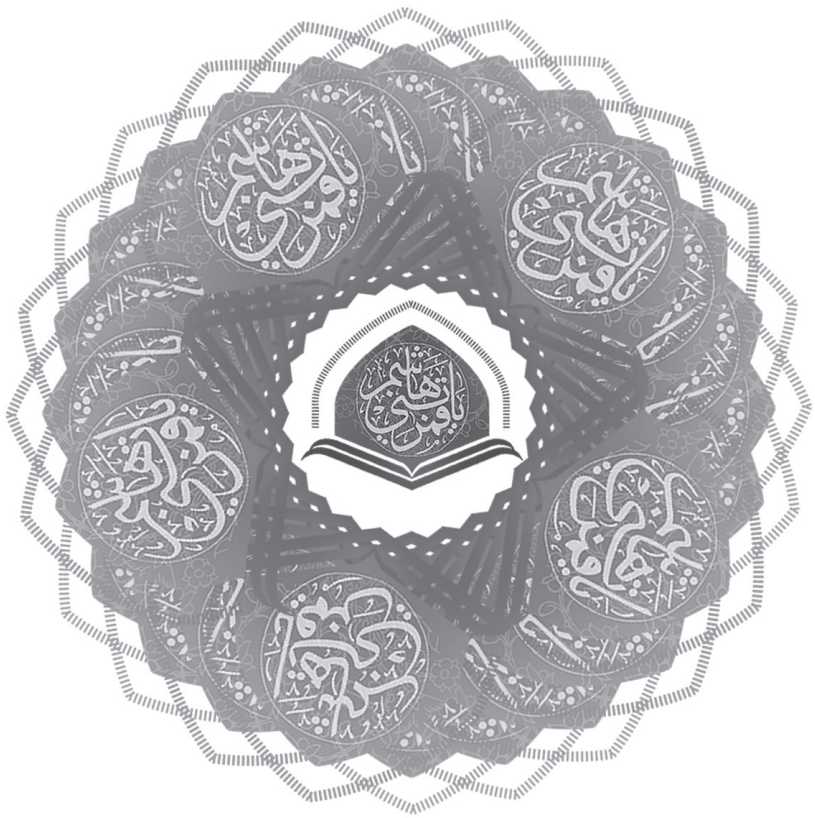

الإمام الباقر عليه السلام مع الشيعة

العلامة الشيخ باقر القرشي

كان الإمام أبو جعفر عليه السلام وسائر أئمة أهل البيت عليهم السلام حريصين كل الحرص على أن تكون شيعتهم مقتدين بهديهم، ومتميّزين في سلوكهم، ومتورّعين في مكاسبهم، ومتحرّجين في أمور دينهم كأشد ما يكون التّحرّج؛ ليكونوا قدوة لبقيّة المسلمين بما يحملونه من طاقاتٍ إسلامية مشرقة، تضيء الطريق، وتهدي الحائر، وتدلل على واقع أهل البيت عليهم السلام، وقد أثر عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال لبعض شيعته بما مضمونه كونوا زينًا لنا، ولا تكونوا شينًا علينا، حتى يقول القائل: رحم الله جعفر بن محمد قد أدَّب شيعته، ورأى الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام بعض شيعته قد شذّ في سلوكه، وارتكب ما حرم الله، فوجه عليه السلام إليه هذه النصيحة الرائعة قائلاً له: « إنَّ الحسن من كل أحد حسن، ومنك أحسن، والقبيح من كلِّ أحد قبيح ومنك أقبح نظرًا لاتصالك بنا أهل البيت »[1].

أما الإمام أبو جعفر عليه السلام فقد أهتمَّ كأشد ما يكون الاهتمام في تربية الشيعة وتهذيبهم، وقد وجّه لهم النصائح الرفيعة، والتعاليم الكريمة التي يجب أن يسيروا عليها، ويقتدوا بها، وهذا بعض ما أثر عنه.

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر.

١ ـ وصيته لشيعته:

إنَّ من الواجب على من انتحل مبدأ أهل البيت عليهم السلام أن يأخذ بهذه الوصية الخالدة ويعمل بما تضمنته من بنود مشرقة ليكون مثالاً للإنسانية، وأنموذجًا يقتدى به، وهذا نص وصيّته:

« يا معشر شيعتنا، اسمعوا وافهموا وصايانا، وعهدنا الى أوليائنا، أصدقوا في حديثكم، وبرّوا في إيمانكم لأوليائكم وأعدائكم، وتواسوا بأموالكم، وتحابّوا بقلوبكم، وتصدَّقوا على فقرائكم، واجتمعوا على أمركم، ولا تدخلوا غشًّا ولا خيانة على أحد، ولا تشكّوا بعد اليقين، ولا تولوا بعد الاقدام جبنًا، ولا يول أحدكم أهل مودته قفاه، ولا تكونن شهوتكم في مودة غيركم، ولا مودتكم في سواكم، ولا عملكم لغير ربّكم، ولا إيمانكم وقصدكم لغير نبيكم، واستعينوا بالله، واصبروا فإنَّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

وأضاف عليه السلام قائلًا:

إنَّ أولياء الله وأولياء رسوله من شيعتنا من إذا قال صدق وإذا وعد وفى، وإذا أوتمن أدّى، وإذا حمل احتمل في الحق، وإذا سئل الواجب أعطى، وإذا أمر بالحق فعل، شيعتنا من لا يعدو علمه سمعه، شيعتنا من لا يمدح لنا معيبًا، ولا يواصل لنا مبغضًا، ولا يجالس لنا خائنًا، إن لقي مؤمنًا أكرمه، وإن لقي جاهلًا هجره، شيعتنا من لا يهر هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل أحدًا إلَّا من إخوانه وإن مات جوعًا، شيعتنا من قال: بقولنا، وفارق أحبّته فينا، وأدنى البعداء في حبِّنا، وأبعد الغرباء في بغضنا.

وبهر بعض الجالسين من وصف الإمام لشيعته وراح يقول له:

« أين يوجد مثل هؤلاء؟. »

فأجابه الإمام:

« في أطراف الأرضين، أولئك الخفيض عيشهم، القررة أعينهم، إن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن خطبوا لم يزوّجوا، وإن وردوا طريقًا تنكبوا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، ويبيتون لربهم سجّدًا وقيامًا.

وراح بعض الجالسين يندد بالشيعة ممن عاصروا الإمام قائلًا:

« يا ابن رسول الله: وكيف بالمتشيّعين بألسنتهم، وقلوبهم على خلاف ذلك؟ »

وانبرى الإمام فأجابه:

«التمحيص يأتي عليهم بسنين تفنيهم، وضغائن تبيدهم واختلاف يقتلهم، أما والذي نصرنا بأيدي ملائكته، لا يقتلهم الله إلَّا بأيديهم، فعليكم بالإقرار إذا حدّثتم، وترك الخصومة فإنَّها تقصيكم، وإيَّاكم أن يبعثكم قبل وقت الأجل فتطل دماؤكم وتذهب أنفسكم ويذمكم من يأتي بعدكم، وتصيروا عبرة للناظرين، وإنَّ أحسن الناس فعلًا من فارق أهل الدنيا من والد وولي وناصح، وكافى إخوانه في الله وإن كان حبشيًّا أو زنجيًّا، وإن كان لا يبعث من المؤمنين أسود، بل يرجعون كالبرد قد غسلوا بماء الجنان، وأصابوا النعيم المقيم، وجالسوا الملائكة المقرَّبين، ورافقوا الأنبياء المرسلين، وليس من عبد أكرم على الله من عبد شرد وطرد في الله حتى يلقى الله، على ذلك شيعتنا المنذرون في الأرض سرج وعلامات، ونور لمن طلب ما طلبوا وقادة لأهل طاعة الله، شهداء على من خالفهم ممن ادعى دعواهم، سكن لمن أتاهم، لطفاء بمن والاهم، سمحاء، اعفاء، رحماء، فذلك صفتهم في التوراة والإنجيل والقرآن العظيم.

إنَّ الرجل العالم من شيعتنا إذا حفظ لسانه، وطاب نفسًا بطاعة أوليائه وأظهر المكائدة لعدوّه بقلبه، ويغدو حين يغدو وهو عارف بعيوبهم، ولا يبدي ما في نفسه لهم، ينظر بعينه إلى أعمالهم الردية، ويسمع بأذنه مساوئهم، ويدعو بلسانه عليهم، مبغضوهم أولياءه، ومحبوهم أعداءه .. »

وانطلق رجل من الحاضرين فقال للإمام:

« بأبي أنت وأمي ما ثواب من وصفت إذا كان يمشي آمنا، ويصبح آمنا ويبيت محفوظًا، فما منزلته وثوابه؟ .. »

فقال عليه السلام:

« تؤمر السماء باظلاله، والأرض بإكرامه، والنور ببرهانه .. »

فقيل للإمام:

« فما صفته في الدنيا؟ »

قال عليه السلام: « إن سئل أعطى، وإن دعي أجاب، وإن طلب أدرك، وإن نصر مظلومًا أعز ..»[1].

لا أكاد أعرف وصية أثرت عن أئمة المتقين مثل هذه الوصية الحافلة بالتعاليم الرفيعة التي تسمو بالإنسان،

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار (ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥).

وترفعه الى أرقى ما يصل إليه الأبرار والمتقون ففيها الدعوة الى التحلي بالأخلاق الكريمة، والتجنب عن مساوئ الأخلاق والتخلي عن النزعات السيئة، ولو سار المسلمون على ضوئها لكانوا سادة الأمم، وقادة الشعوب.

إنَّ هذه الوصية من كنوز الإسلام، وهي تحمل جوهره وواقعه، وما ينشده من خير ورحمة وهدى الى الناس، فمن حقّ كل مسلم أن يجعلها منهاجًا يسير عليها في حياته.

٢ ـ الشيعة الأوائل:

وأشاد الإمام أبو جعفر عليه السلام بالشيعة الأوائل، وبين معالي أخلاقهم وما اتصفوا به من الصفات الرفيعة والخيرة فقال عليه السلام:

« أولياؤنا، وشيعتنا فيما مضى خير من كانوا فيه، إن كان أمام مسجد في الحي كان منهم، وإن كان مؤذن في القبيلة كان منهم، وإن كان صاحب وديعة كان منهم، وإن كان صاحب أمانة كان منهم، وإن كان عالم في الناس يقصدونه لدينهم ومصالح أمورهم كان منهم .. »[١].

وألّمت هذه الوصية بما اتصفت به الشيعة الأوائل من النسك والورع والتقوى والحريجة في الدين حتى نالوا ثقة الناس فأتمّوا بهم في صلاتهم، وائتمنوهم على أموالهم ودينهم، وقد عرفوا بهذا السمت من الورع والصلاح، وذاع عنهم ذلك، ومن طريف ما ينقل أنَّ شيعيًّا مثل شاهدًا أمام القضاء فردّ القاضي عليه شهادته لأنَّه من الرافضة، فأغرق فى البكاء فبهر القاضي، وتوهم أنَّ بكاءه لردّ شهادته، وسأله عن ذلك فأجابه بما مضمونه أنَّك حدت عن الحق فنسبتني الى طائفة لا ينتسب إليها إلا الأنبياء والمتّقون.

٣ ـ صفات الشيعة:

وأدلى عليه السلام في كثير من أحاديثه عن الصفات الرفيعة التي ينبغي أن يتحلّى بها من انتحل مذهب أهل البيت عليهم السلام، وهذا بعض ما أثر عنه.

١ ـ قال عليه السلام: « ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع، والتخشع، وأداء الأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة والبر بالوالدين، وتعهد الجيران من الفقراء، وذوي المسكنة، والغارمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلَّا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء .. »[٢].

(١) دعائم الإسلام ١ / ٧١.

(٢) تحف العقول/ ص ٢٩٥ .

ولا يتحلى بهذه الصفات إلَّا الأبرار والمتّقون الذين يخشون الله، ويخافون عقابه.

٢ ـ قال عليه السلام: « إنَّما شيعة علي عليه السلام المتباذلون في ولايتنا، المتحابون في مودّتنا، المتزاورون لإحياء أمرنا، الذين إذا غضبوا لم يظلموا واذا رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاورهم، وسلم لمن خالطوا »[١] .

ومن توفّرت فيهم هذه الصفات من الشيعة فإنَّهم يكونون بركة ورحمة لمن جاورهم، وأمنًا وسلمًا لمن خالطهم إذ لا تصدر منهم بادرة من بوادر الظلم سوى الخير العميم الى الناس.

٣ ـ وتحدَّث عليه السلام مع أبي المقدام عن شيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وما اتّصفوا به من معالي الأخلاق قال عليه السلام: « يا أبا المقدام إنَّما شيعة علي الشاحبون، الناحلون، الذابلون، ذابلة شفاهم، خميصة بطونهم، متغيّرة ألوانهم، مصفرة وجوههم، إذا جنهم الليل اتخذوا الأرض فراشًا، واستقبلوا الأرض بجباههم، كثير سجودهم، كثيرة دموعهم، كثير دعاؤهم، كثير بكاؤهم، يفرح الناس وهم يحزنون .. »[٢].

وهذه صفات عباد الشيعة ونسّاكهم أمثال عمار بن ياسر، وأبي ذر، وحجر بن عدي، وميثم التمار، ونظراؤهم من هداة هذه الأمة وقادتها.

٤ ـ نصائحه للشيعة:

وزود الإمام أبو جعفر الشيعة بكثير من نصائحه الرفيعة وتعاليمه القيمة ومن بينها.

أ ـ روى جابر بن يزيد الجعفي قال: كُنَّا جماعة فدخلنا على أبي جعفر عليه السلام بعد ما قضينا مناسكنا فودعناه، وقلنا له: أوصنا بشيء يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فوجه عليه السلام لهم هذه النصيحة القيمة قال عليه السلام:

« ليعن قويّكم ضعيفكم، وليعطف غنيّكم على فقيركم، ولينصح الرجل أخاه كنصيحته لنفسه، واكتموا أسرارنا، ولا تحملوا الناس على أعناقنا، وانظروا أمرنا وما جاءكم عنَّا، فإن وجدتموه للقرآن موافقًا فخذوا به، وإن لم تجدوه موافقًا فردّوه، وإن اشتبه عليكم الأمر فقفوا عنده، وردّوه إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا .. »[٣].

---

(١) تحف العقول / ص ٣٠٠ .

(٢) الخصال ص ٤١٣ .

(٣) ضياء العالمين الجزء الثالث مخطوط.

لقد أوصاهم بمعالي الأخلاق، ودلّهم على ما يصلحهم في دنياهم وآخرتهم، كما أوصاهم بعرض ما أثر عن الأئمة من الأخبار على كتاب الله فما وافقه فيأخذون به، وما شذّ عنه فيطرحونه، وإنَّما عهد لهم بذلك؛ لأنَّ كثيرًا من الأخبار قد افتعلت عليهم، فقد وضعها من لا حريجة له في الدين لتشويه واقع أهل البيت عليهم السلام وتشويه أحكامهم.

ب ـ قال عليه السلام: « عليكم بالورع والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم برًّا كان أو فاجرًا، فلو أنَّ قاتل علي بن ابن أبي طالب ائتمنني على أمانة لأدّيتها إليه .. »[١].

وهل هناك أسمى وأرفع من هذه النصائح القيمة التي تنشد خير الإنسان وتوازنه في سلوكه مع الناس.

ج ـ وأوفد عليه السلام بعض أصحابه إلى جماعة من شيعته، وأمره أن يبلغهم بما يلي:

قال عليه السلام: « بلّغ شيعتنا عنَّا السلام، وأوصهم بتقوى الله العظيم، وبأن يعود غنيّهم على فقيرهم، ويعود صحيحهم عليلهم، ويحضر حيّهم جنازة ميّتهم ويتلاقوا في بيوتهم فإنَّ لقاء بعضهم بعضًا حياة لأمرنا.

رحم الله امرءًا أحيا أمرنا، وعمل بأحسنه، وقل لهم: إنَّا لن نغني عنهم من الله شيئًا إلا بعمل صالح، ولن ينالوا ولايتنا إلا بالورع والاجتهاد، وإنَّ أشدّ الناس حسرة يوم القيامة لمن وصف عملاً ثم خالفه الى غيره. »[٢].

لقد أوصاهم بالخير بجميع رحابه ومفاهيمه، وأمرهم بالتماسك، والتضامن، وما يصون جماعتهم من الاختلاف والفرقة.

د ـ قال عليه السلام: « رحم الله عبدًا حببنا إلى الناس، ولم يبغضنا إليهم، أما والله لو يروون عنَّا ما نقول: ولا يحرفونه، ولا يبدلونه علينا برأيهم ما استطاع أحد أن يتعلّق عليهم بشيء، ولكن أحدهم يسمع الكلمة فينيط إليها عشرًا ويتأولها على ما يراه، فرحم الله عبدًا سمع من مكنون سرّنا فدفنه في قلبه ... والله لا يجعل الله من عادانا ومن تولانا في دار واحدة »[٣] .

وحذّر عليه السلام بهذا الحديث من تحريف أخبارهم وتبديلها؛ لأنَّها تعود بالأضرار البالغة على أهل البيت عليهم السلام فإنَّ فيها تشويهًا لسيرتهم وواقعهم.

---

(١) تحف العقول (ص ٢٩٩).

(٢) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢٢٣).

(٣) المصدر نفسه (ص ٢٢٣).

٥ ـ حبّ أهل البيت عليهم السلام:

وتحدّث الإمام أبو جعفر عليه السلام في جملة من أحاديثه مع جماعة من شيعته عن حُبِّ أهل البيت عليهم السلام وما يترتب عليه من مزيد الأجر عند الله -تعالى-، وفيما يلي ذلك:

١ ـ وفد عليه جماعة من شيعته من خراسان، فنظر عليه السلام الى رجل منهم، وقد تشقّقت رجلاه فقال عليه السلام له: ما هذا؟ فقال: بعد المسافة يا ابن رسول الله، والله ما جاءني من حيث جئت إلَّا محبّتكم أهل البيت، فقال عليه السلام:

« أبشر فأنت والله معنا تحشر ».

وطار الخرساني فرحًا وراح يقول:

« معكم يا ابن رسول الله؟ .. »

قال عليه السلام: « نعم ما أحبَّنا عبد إلَّا حشره الله معنا، وهل الدين إلَّا الحب، إنَّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: (**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**)[١] .

٢ ـ وفد زياد الأسود على الإمام أبي جعفر عليه السلام وقد قصده من مسافة طويلة، ومكان بعيد، وقد جهد في طريقه من كثرة السير حتى تشقَّقت رجلاه فقال له الإمام أبو جعفر عليه السلام:

« ما هذا يا زياد؟. »

فقال زياد: يا مولاي أقبلت على بكر لي[٢] ضعيف فمشيت عامة الطريق، وذلك إنَّه لم يكن عندي ما أشتري به مسنا وإنَّما ضممت شيئًا إلى شيء حتى اشتريت هذا البكر.

ورقّ الإمام أبو جعفر عليه السلام على حاله، وجرت دموع عينيه، وقال له زياد: جعلني الله فداك، إنّي والله كثير الذنوب مسرف على نفسي، حتى ربما قلت: قد هلكت، ثم اذكر ولايتي إياكم وحبِّي لكم أهل البيت فأرجو بذلك المغفرة، فأقبل عليه الإمام بوجهه وقال له بعطفٍ وحنان:

« سبحان الله!! وهل الدين إلَّا الحب، إنَّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه:(**حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي**

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار (ص ٢٢٦).

(٢) البكر: الفتي من الأبل.

قُلُوبِكُمْ)[١] وقال:

(**إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**)[٢] وقال: (**يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ**)[٣] إنَّ أعرابيًّا أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنِّي أحبّ المصلّين ولا أصلي، وأحب الصائمين ولا أصوم، يعني لا أصلّي ولا أصوم التطوع ـ أي المندوب ـ فقال له رسول الله: (أنت مع من أحببت) .. ما الذي تبغون؟ أما والله لو وقع أمر يفزع الناس له ما فزعتم إلا إلينا، ولا فزعنا إلا إلى نبيّنا، إنَّكم معنا فابشروا ثم ابشروا والله ما يساويكم الله وغيركم، لا والله ولا كرامة »[٤].

٣ ـ قال عليه السلام: إنَّ الجنة لتشتاق ويشتد ضوؤها لمجيء آل محمد صلى الله عليه وآله وشيعتهم، ولو أنَّ عبدًا عَبَدَ الله بين الرّكن والمقام حتى تتقطّع أوصاله، وهو لا يدين بحبِّنا وولايتنا أهل البيت ما قبل منه .. »[٥]

٤ ـ قال عليه السلام: لجماعة من شيعته « إنَّما يغتبط أحدكم إذا بلغت نفسه هاهنا، ـ وأومأ بيده الى حلقه ـ ينزل عليه ملك الموت فيقول له: أمّا ما كنت ترجوه فقد أعطيته، وأمّا ما كنت تخافه فقد أمنت منه، ويُفتح له باب الى منزله من الجنة، فيقول له: انظر الى مسكنك من الجنّة فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي والحسن والحسين عليهم السلام هم رفقاؤك .. وهو قول الله عز وجل: (**الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ**)[٦][٧] وتواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الأئمة الطاهرين بهذا المضمون وقد ذكرتها مصادر الحديث والأخبار.

٦ ـ تسمية الشيعة بالرَّافضة:

وحدّث أبو بصير قال: قلت لأبي جعفر: جعلت فداك اسم سمّينا به استحلت به الولاة دماءنا وأموالنا وعذابنا، قال عليه السلام:

« ما هو؟ »

---

(١) سورة الحجرات: آية ٧.

(٢) سورة آل عمران: آية ٣١.

(٣) سورة الحشر: آية ٩.

(٤) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢٢٦).

(٥) المصدر نفسه (ص ٢٢٧).

(٦) سورة يونس: آية ٦٣ و ٦٤.

(٧)عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢٢٧).

« الرافضة »

قال عليه السلام: بعد حديث له « إنَّ ذلك اسم قد نحلكموه الله .. »[١].

لقد أصبح هذا الاسم علمًا للشيعة الذين هم دعاة الإصلاح الاجتماعي في الأرض، وقد أخذ يعيبهم به من لا خلاق له، إنَّ الشيعة لتعتزّ بهذا الاسم، وتفخر به، فقد أصبح لهم وسامًا لحبّهم وإخلاصهم لآل البيت عليهم السلام (الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا) وقد فخر به الإمام الشافعي بقوله:

إن كان رفضًا حب آل محمد فليشهد الثقلان أنِّي رافضي

٧ ـ دعاؤه لشيعته:

وكان الإمام أبو جعفر عليه السلام يخلص لشيعته كأعظم ما يكون الإخلاص، وكان يدعو لهم بهذا الدعاء:

« يا دانٍ غير متوانٍ، يا أرحم الراحمين اِجعل لشيعتي من النار وقاءً لهم ولهم عندك رضاً واغفر ذنوبهم، ويسِّر أمورهم، واقض ديونهم، واستر عوراتهم، وهب لهم الكبائر التي بينك وبينهم، يا من لا يخافُ الضيم ولاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ اِجعل لي من كلّ غمٍّ فرجاً ومخرجاً.. »[٢].

وكان عليه السلام يدعو لشيعته بهذا الدعاء:

« اللّهمّ إن كان لي عندَك رِضوانٌ ووُد، فاغفر لي ولمَن تَبِعني من إخواني وشيعتي وطيِّبِ ما في صُلبي، برحمتك يا أرحم الراحمين. »[٣].

---

(١) محاسن البرقي / ص ١١٩ .

(٢) مهج الدعوات / ص ١٨ .

(٣) المصدر نفسه/ ص ١٨ .

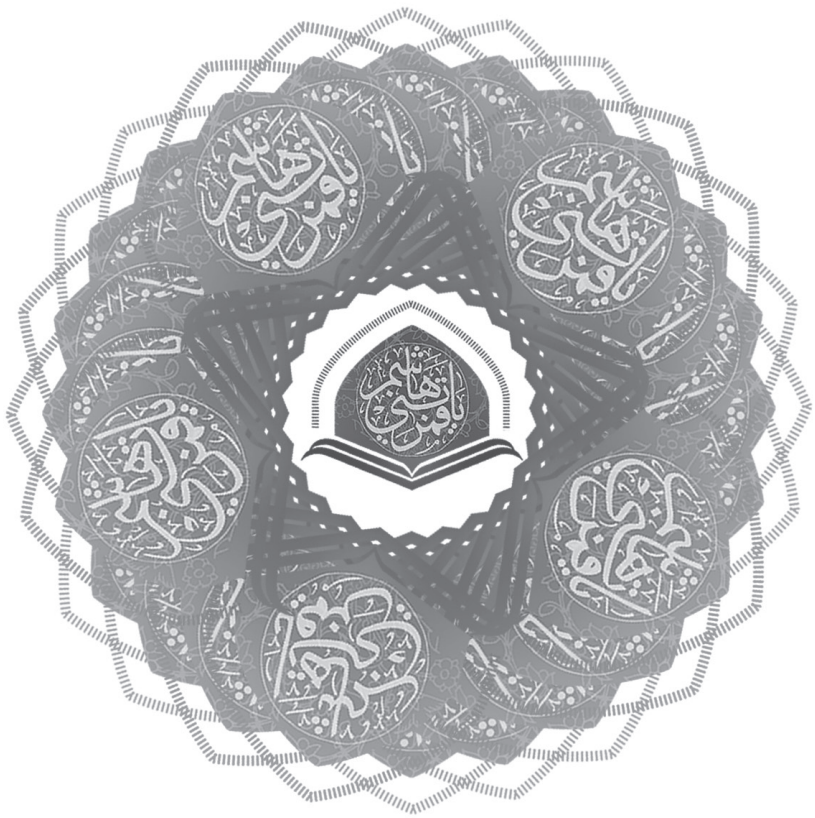

نفحات من الغدير

السيد منير الخباز

بسم الله والصلاة والسلام على محمد وآله المعصومين.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)[1] صدق الله العلي العظيم.

تمر علينا ذكرى يوم الغدير وتثير فينا مشاعر جمّة، فهو أشرف الأعياد وَأعظمها، وَهو من جهة أخرى يوم إكمال الدين وَإتمام النعمة باتصال مسيرة النبوة بمسيرة الإمامة، وَمن جهة ثالثة هو يوم التمحيص وَالتمييز بين فريقين، فريق جانب الغدير فتاه في الصحراء القاحلة ضلالاً، وَفريق نهل من الغدير لذة الولاية وَحف به يذود عن لآلئه ودرره.

وَوراء ذلك كله هو يوم الميثاق كما عبَّر عنه في الروايات، وَالمقصود بذلك أنَّه يوم البيعة، لا بمعنى البيعة لعلي بن أبي طالب عليه السلام بالإمامة وَإمرة المؤمنين فهذه هي الصورة الظاهرية ليوم الغدير.

بل بمعنى البيعة للرسول صلى الله عليه وآله بالطاعة، وَالبيعة لله بالخضوع وَالتسليم، حيث قال عزوجل: (**إِنَّ الَّذِينَ**

---

(١) سورة المائدة/ الآية: ٦٧.

يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ)[١] وَهذه هي رقيقة الحقيقة ليوم الغدير، وَاللوحة الواقعية لحدث التنصيب.

فإنَّ المستفاد من قوله عزوجل: (**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)**[٢] إنَّ الإقرار بالرسالة وَالإيمان بالنبوة يستلزم الإقرار بالبيعة لأمير المؤمنين علي عليه السلام الوصي بالإمامة، كما أنَّ العكس صادق أيضاً.

فكما أنَّ هناك تلازماً واقعياً بين العدل وَالنبوة فلا عدل إلهي بدون نبوة، فإنَّ العادل مع بريته هو الذي يلبِّي حاجة البشرية لوجود النبي، وَالشريعة التامة، وَكذلك العدل يقتضي نصب الإمام لإقامة الحجّة على الخلق في رفع كلّ أمرٍ معضل، وَامتداداً للنبوة، فالتلازم بين الثلاثة واقعي.

وَبما أنَّ هناك تلازماً واقعياً فكذلك بين الثلاثة تلازم في الإقرار والإيمان فلا إيمان بالرسالة إلَّا بالإيمان بما هو امتداد لها ألا وَهو الإمامة، وَلا بيعة للرسول بالرسالة إلَّا بالبيعة للإمام علي بالإمامة وَإمرة المؤمنين.

فذكرى الغدير ذكرى تجديد البيعة لله بالعدالة وَاللطف، وَللرسول بالنبوة وَالطاعة وَلأمير الأمة بالإمامة وَالخضوع، وَلذلك اقترنت الثلاثة في قوله عزوجل: **(أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)**[٣] كما اقترنت الشهادة في الأذان لله وَللرسول بالشهادة لأمير الأمة.

في ذكرى عيد الغدير الأغر، ذكرى تجديد البيعة لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وتجديد الثبات على عهد الإمامة الذي عهد الله به إلى خلقه، في الإقرار به، والإيمان به، نلحظُ أموراً:

الأمر الأول:

إنَّ ظاهر النصوص الشريفة؛ نحو قوله – عزَّ وجلَّ –: (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)**[٤]، وقوله صلى الله عليه وآله: "مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَه، ُ اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ"[٥]؛ إنَّ مفادها ثبوت الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام بالفعل، أي في عرض ولاية النبي المصطفى زمناً، فليس

---

(١) سورة الفتح/ الآية: ١٠.

(٢) سورة المائدة/ الآية: ٦٧.

(٣) سورة النساء/ الآية: ٥٩.

(٤) سورة المائدة، الآية ٥٥.

(٥) الكافي: ج ١ ص ٢٩٤.

المقصود بهذه النصوص – كما تَوَهَّمه بعض الكُتّاب – أن لا ولاية للأمير إلَّا بعد استشهاد النبي صلى الله عليه وآله، فإنَّ هذا:

– أولاً: خُلف معنى الإمامة؛ فإنَّ معنى كون الشخص إماماً أنَّ له الولاية بالفعل، في كلّ أمرٍ وشأنٍ من شؤون الأمّة، مضافاً لحجية ما يصدر منه، قولاً، وفعلاً، وتقريراً، لا أنَّ معنى كونه إماماً أنَّ له الولاية في المستقبل، فالإمامة مساوقة للولاية، إذ معنى الإمامة: أنَّ ما يصدر منه من أمرٍ أو نهيٍ في جميع الشؤون يكون نافذاً، وأنَّ إذنه في جميع الشؤون معتبرٌ بالفعل، فإنَّ هذا هو معنى الإمامة.

– وثانياً: بأنَّ هذا منافٍ لظاهر اللفظ؛ حيث ذكر في علم الأصول: أنَّ المشتق ظاهرٌ في الفعليّة، فعندما يقول تعالى: **(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)**[1]؛ أي إنَّما وليُّكم الأنوار الثلاثة فعلاً لا مستقبلاً.

– مضافاً لقرينية السياق؛ وهو أنَّه كما أنَّ ولاية الباري بالفعل، وولاية المصطفى بالفعل، فولاية الذين آمنوا بالفعل أيضاً.

وهذا هو معنى حديث الغدير، حيث أنَّه إخبارٌ عن ولايتين بالفعل، فعندما يقول: "فمن كنت مولاه" أي وليّاً عليه بالفعل، فإنَّ هذا أيضاً وليٌّ عليه بالفعل، لا إنَّه سيكون مولىً له بعد الممات.

ولو فُرض أنَّ بعض النصوص عبرت بكلمة "بعدي"؛ فإنَّ المقصود بها "البعدية الرُّتبيّة" لا "الزمانية"، لأنّه إذا قلنا بأنَّ للإمام أمير المؤمنين، ولسائر الأمَّة، ولايةٌ بالفعل، فهذا لا يعني أنَّها ولاية حتّى على الحجة عليه، فمثلاً؛ ولاية النبيِّ عامّة حتّى للإمام علي، والحسنين، والزهراء، فإنَّه وليٌّ عليهم، بينما ولاية الإمام علي على جميع الأمّة ما عدا رسول الله، فيتحقق بذلك التأخُّر الرتبيّ، وتتحقّق الطولية، وإلَّا فالولايتان من حيث الأمّة في عرض واحد، بحيث لو تصرّف أحد الوليَّيْنِ، لكان تصرُّفه نافذاً، كما ذكر ذلك الفقهاء في ولاية الأب والجد على البنت البكر، في أنَّ ولايتهما في عرضٍ واحد، ولا يلزم من ذلك المفسدة في اجتماع وليَّيْنِ فإنَّ المفسدة إنَّما تلزم لو لم يكن الوليّان معصومَيْنِ، بحيث يقع التضارب والتعارض بينهما، وأمّا على فرض كون الوليَّيْن معصومَيْنِ، فلا معنى لهذا الإشكال؛ وهو أنَّ افتراض ولايتين في وقتٍ واحدٍ لازِمُه التضارب والتعارض.

وقد ورد في عدة روايات صحيحة سؤال للصادق عليه السلام: "أفيكون إمامان في وقت واحد؟ قال: لا؛ إلا وأحدهما صامت، قلت: فالإمام يعرف الإمام الذي من بعده؟ قال: نعم، قال: قلت: القائم إمام؟ قال: نعم إمام

(١) سورة المائدة/ الآية ٥٥.

ابن إمام قد أوتم به قبل ذلك"[١].

ومفادها أنَّ كلا الإمامين له الولاية فعلاً، إلَّا أنَّ ولاية الثاني منهما في طول ولاية الأوّل، بحيث لا يُجري ولايته في أمرٍ إلاّ في ظلّ ولاية الأول، أو أنَّه لا يُجري ولايته في أي أمرٍ ما دام الأول موجوداً احتراماً له.

هذا من جهة الأمر الأول.

الأمر الثاني:

نلاحظ في بعض النصوص كما في قوله: "عليٌّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ، اللهم أدِرِ الحقّ مع عليٍّ حيث ما دار"[٢]قد يقال: بما أنَّ الإمام علياً عينُ الحقِّ، ومحض الحقِّ، فكيف يقول عنه الحديث: يدور الحق معه، أو هو مع الحقّ، بل المناسب لمقامه أن يقال: "عليٌّ هو الحقّ"، لا أنَّه معه، أو يدور معه.

إلَّا أنَّ هذا التعبير ناظرٌ لمقام الإثبات، لا لمقام الثبوت، فهناك فرقٌ بين مقام الثبوت، ومقام الإثبات، فبحسب مقام الثبوت: عليّ هو الحقّ، وليس شيئاً آخراً، فإنَّ هذا هو مقتضى كون الذات معصومة لا تخطئ أبداً، علماً وعملاً، ولكن في مقام الإثبات، إذا اشتبهت الطرق، فحينئذٍ؛ ما كان مع عليٍّ فهو الحقّ، وما كان ضمن نهج عليٍّ فهو الحقّ، وما كان على غير نهج عليٍّ فهو باطلٌ، فلأجل نظر هذه النصوص لمقام الإثبات عبّرت بالمعية والدوران.

الأمر الثالث:

بما أنَّ علياً هو الحقّ، والحقّ معه، فالإمام علي هو المناط والمحور في الأُخوّة.

فالأُخوّة على نوعين:

أُخوّة صورية تنزيلية.

وهناك أخوَّة حقّيّة، بمعنى أنَّها ناشئةٌ عن الحقّ نفسه.

فإذا كان عليٌّ هو الحقّ، وعين الحقّ، فلا محالة: لا أُخوَّة حقيقية حقّة إلَّا ما كان ناشئاً عن ولاية علي، والاعتقاد بإمامة علي، فما نشأ عن الحقّ نفسه يكون حقّاً، فلذلك ينصرف عنوان الأُخوَّة في النصوص إلى الأُخوَّة

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ص٢٢٣.

(٢) فتح الباري ٨: ١٣٦.

الحقيّة، لأنَّ غيرها مجرد أُخوَّة صورية مجازية، وبما أنَّه ينصرف إلى الأُخوَّة الحقيّة؛ فالأحكام المترتبة في النصوص على عنوان الأُخوَّة موضوعها الأُخوَّة الحقيّة، لا الأُخوَّة بالعنوان الأعمِّ، ولو كانت أُخوَّة صورية، ولأجل ذلك فإنَّ من المظاهر الحسنة في يوم الغدير أن يجري المؤمن مع أخيه المؤمن عقد الإخاء، ليبرز الأُخوَّة الحقيقية الحقّة، التي تجمع الطرفين في ولاية الإمام علي عليه السلام، ويصافحه ويقول - كما في بعض المرويات -:

"وآخيتك في الله، وصافيتك في الله، وصافحتك في الله، وعاهدت الله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وأنبياءه، والأئمة المعصومين، على أنِّي إن كنت من أهل الجنة والشفاعة، وأذن لي بأن أدخل الجنة، لا أدخلها إلَّا وأنت معي، فيقول الأخ المؤمن: قبلت، فيقول: أسقطت عنك جميع حقوق الأُخوّة، ما خلا الشفاعة والدعاء والزيارة"[1].

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من المتآخين في ولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأن يجعلنا معه دنياً وآخرة، وأن يرزقنا في الدنيا زيارته، وفي الآخرة شفاعته، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على محمّدٍ وآله الطيبين الطاهرين.

(١) مستدرك الوسائل/ ج٦/ ص٢٦٩.

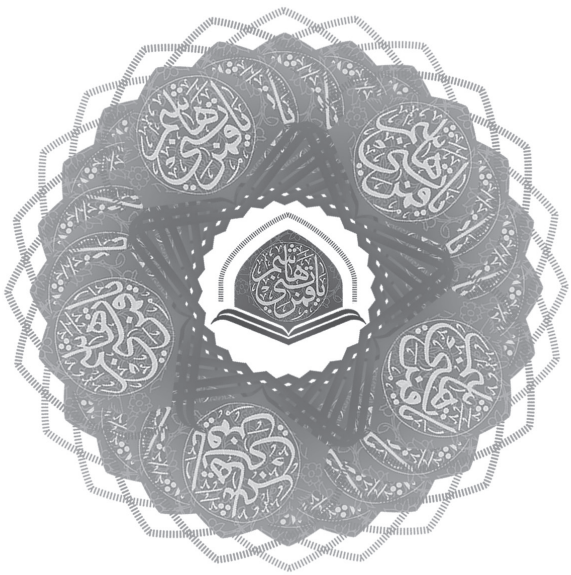

القصيدة

تسبيح العراق

الشاعر نجاح العرسان

قصيدة (تسبيح العراق)
للشاعر نجاح العرسان

جَـرَحَ الغريـبُ خطـى الضيـاع وأقفـرا ... وعصـاه تُخطـئ مـا يخـطُّ عـلى الثـرى
صـحّ الـسَّراب لدقّـة الأخطـاء في ... المـاء الـذي خـان الظـما وتصحّـرا
فصدقـتُ أشـهد، والقصيـدة شـاهد ... الحـزن الـذي يصفـرّ شـعراً أخـضرا
وقَفَـت ببـابي تـصرخ الخنسـاء ... أيـن بقيّـة الشـعراء مـن شـعر الـورى
فقـرأتُ تسـبيح العـراق، وشـاعرٌ ... ذَكَـرَ العـراق تفـوح مـن فمـه القُـرى
هـو طينـة الـسّر القديـم ومـاؤُهُ ... مـا شـاء شـيّأهُ القديـمُ وصـوَّرا
قدمـايَ تسـبقها دمـايَ أمينـةٌ ... فامـر خُطـاي بـما تريـد ومـا تـرى
وأنـا فـداك فـإن رضيـت دمـي فخـذ ... حبـل الوريـد لوعـد نـصركَ معـبرا
الرافـدان مـن العـراق إلى العـراق ... كعاشِـقَين مـن العنـاق تكـسَّرا
مـاء النّفـوس وإن تكـدَّر سـاعةً ... ليعـود أصفـى سـاعتين تكـدَّرا
حـيٌّ كحـيّ عـلى الصـلاة خلـودُهُ ... مهـما افـترت شـفت الـزوال المفـترى
إنَّ الـذي خُـطَّ العـراق بعينـه ... يأبـى العـراق لغـيره أن ينظـرا
وطـنٌ تُقبّلـهُ السـماء بـكلِّ حـزن ... الأنبيـاء فـراح يبكـي أنهـرا
الحـبُّ فيـه بـراءة الـبرديّ حـين ... أسرّ سـاقية المسـاء وأسـكرا
ودمٌ تحـرّر بالشّـهادة علَّـم ... الأنهـار معنـى المـاء أن يتحـرّرا
النخـلُ أطرقـت السَّـماء لتمـره ... وبرفَّـةٍ مـن سـعفهِ قطـف الـذُّرى
ولـذاك نخلـع نعلنـا إذ نرتقيـه ... تأدُّبًـا منّـا وليـس تحـذّرا
مـن هـذه الأسـماء اِسـمُ الحشـدِ جـاء ... وأعجـزَ الأسـماء أن يتكـرّرا
يسـتأنسُ النَّـار التـي أفتـى بهـا ... الـبرد السـلام لنسـتلذَّ ونثـأرا

ممّـن تجـرَّأ أن يحـل ظفـيرةً ... حتـى تُحنّـى بالدِّمـا لـن تضفـرا
لسـبيّةٍ خـان القميـص، وأجُـبرت ... معـذورةَ الكـسر الـذي لـن يُجـبرا
أمِـنَ الدَّخيـل جوارهـا لّمـا رأى ... في الجـار رُخـص ضمـيره فاسـتأجرا
كـسرت مـراود كُحلهـا يـا ابـن الغيـور ... فـأيَّ عُـذرٍ تدَّعيـه لتصـبرا
أعَـذرتَ سـيفك أن تُضـام بظلـه ... وبغـير حتفـك دونهـا لـن تُعـذرا؟!
فلكـزتَ ظهـر الريـح حـين وصلتهـا ... قبـل الرّصـاص وثـرت غيظـاً أحمـرا
يـا ذخـر كل كريمـةٍ لكريهـةٍ ... قـد أفلتتهـا النائبـات مـن العُـرى
ءأمنـت ظهـرًا والعـراق بظهـره ... مَـن ثـأْرُ خيـبر جَـدَّ فيـه ليغـدرا؟
ورمـاد مـن ذرَّ الرمـاد بعينـه ... آثرتـه كـفَّ الجهـاد لتنـصرا
المـوت أقـرب خطوتـين لعينـه ... في موقـفٍ وقـف الـرَّدى متحـيّرا
خيّرتُـه بـين العـراق وبينَـهُ ... فأعـاب أن خيرتـه فتخـيّرا
يـزن الحيـاة بحبّـةٍ مـن رملـهِ ... دمـه الـذي زِنـة العـراق وقـد جـرى
يتغـيّرون لأنَّهـم يتغـيّرون ... فـلا تقـل إنَّ العـراق تغـيّرا
وإذا شـعرتَ بـما تُريـدُ قصيـدتي ... أعفيتنـي ألّا أقـول وتشـعرا
إنَّ الفصيـح فتـىً أقـل مـن الـكلام ... وقـد رأى فعـل الحُسـام فأكثـرا
إنَّ الصبـور عـلى الكثـير مـن القليـل ... هـو الجـزوع إذا القليـل تأخَّـرا
لم تلمـس الصَّحـراء روحـك لم تـزلْ ... رهـواً طـريَّ البـال نايًـا أسـمرا
أوقفـت ظهـرك سُـلَّمًا، وعفـوت عمَّـن ... عـاش دهـراً خلـف ظهـرك خِنجـرا
فسـترتَ عـن عـين القصيـدة سـوء مـن ... وَرِثَ الرجولـة أن يخـون ونسـتُرا
تمـشي وأدري لـو مشـيتَ عـلى دمـاك ... لخضتهـا مـن غـير أن تتعثَّـرا
فـاشرب عـلى شرف النخيـل دماءنـا ... نخبـاً ترفَّـع أن نُـذال ونعـصرا
لا عـين تؤمـن بالعـراق وصبحـه ... إلا وقـام لهـا الظـلام مكفِّـرا
الليـلُ حـاول أن يُبعثـر شـملنا ... فتوحّـدت أسـماؤنا وتبعثـرا